مهرجان القراءة للجميع
٢٠٠١
مكتبة الأسرة
محمد عبد المنعم
الحادث الصاعقة
١١ سبتمبر
قبل .. وبعد !
الأعمال الخاصة
الهيئة المصرية
العامة للكتاب

الحادث الصاعقة
١١ سبتمبر
قبل .. وبعد !

لوحة الغلاف

اسم العمل الفني: أحداث ١١ سبتمبر
التقنية: تصوير فوتوغرافى

قام مهندس الكمبيوتر بمزج أربع صور فوتوغرافية فى صورة واحدة تتوسط الغلاف، والصور الأربعة تلخص حادث إسقاط برجي مركز التجارة العالمى فى نيويورك، وضرب البنتاجون، وهو حدث يفوق الخيال، لكن المصور استطاع تسجيل أدق تفاصيل الحدث بصورة واضحة، ساعده على ذلك التقدم التكنولوجى لعدسات التصوير وإمكانات الكاميرات المتطورة.

محمود الهندى

الحادث الصاعقة

١١ سبتمبر
قبل .. وبعد!

محمد عبد المنعم



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

الحادث الصاعقة
١١ سبتمبر
قبل . . وبعد !
محمد عبدالمنعم

الغـلاف
والإشراف الفنى:
الفنـان : محمود الهندى
المشرف العام :
د . سـمير سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشـباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سـبيل التقـديم :

كان الكتـاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غـاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبـارك التى لم تبـخل بوقت أو جـهـد فـى سبـيل إثراء الحـيـاة الثقافيـة والاجتماعية لمواطنيـهـا.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهـمـه للمعـرفـة دون عناء مـادى وعلى مـدى السنوات السبع الماضيـة نجـحـت مكتبـة الأسـرة أن تتربع فى صدارة البـيت المصرى بثـراء إصـداراتهـا المعـرفـيـة المتنوعـة فى مـخـتلف فـروع المعـرفـة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليـون نسخـة كتـاب بين أيادى أفراد الأسـرة المصرية أطفالاً وشبـاباً وشـيـوخًا تتـوجـهـا موسوعـة «مصـر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعـة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصريـة زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سـمير سرحـان

١١ سبتمبر، قبل .. وبعد!

مفهومى للصحافة أنها اشتباك دائم مع الواقع، تفاعل دائم مع الأحداث الجارية، وبالتالى فإن الأرشيف الصحفى الصادق والرصين يكون تسجيلا أمينا للتطور التاريخى لأى حدث.. وشاهدا ناطقا على أى حدث بكل جوانبه.. ومصدرا أساسيا للوقائع المتتالية لا يخلو من عمق ودلالات واضحة.. وليس عجيبا - بسبب هذه القيمة العلمية للمادة الصحفية التاريخية - أن بدأ مؤرخو العصر الحديث فى الاعتماد على الأرشيف الصحفى خلال تأريخهم لأية حقبة أو أى حدث، فى إطار منظومة المصادر الحديثة المختلفة التى من بينها كذلك الفنون السينمائية والبرامج التسجيلية والأفلام الوثائقية.

وليس من شك أن تلك المصادر يعتمد عليها

المؤرخون وهم يكتبون قصة ذلك الحدث المهم الذى زلزل العالم كله، وسيكون له تأثير على شكل العالم فى السنوات القادمة.. ونعنى بذلك أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التى وقعت فى الولايات المتحدة الأمريكية وما تلاها من نتائج وردود أفعال سياسية وعسكرية واقتصادية وأمنية واجتماعية.. لم تزل مستمرة حتى اليوم، وسوف تبقى كذلك فترة من الوقت لا تنتظر لها نهاية قريبة.

ولم نكن فى مصر والعالم العربى بمعزل عن كل هذا، وإنما كان هناك تداخل حاد وعميق بين مشاكل العالم العربى وموقف مصر وبين الأحداث الإرهابية التى أشرنا إليها. فمن جانب أدت جنسية الإرهابيين وانتماؤهم الدينى والقومى إلى أن تؤثر أفكارهم الكارثية والخاطئة على المجتمعات التى أنجبتهم، وانقلبوا عليها وكفروها قبل أن ينقلبوا على الحضارة الإنسانية كلها ويكفروها.. ومن جانب آخر حاول البعض فى الغرب والولايات المتحدة التشكيك فى موقف مصر تجاه الأزمة.. والادعاء تارة بأنها لم تتخذ موقفا واضحا ضد الإرهاب.. والادعاء تارة أخرى بأن هناك أوضاعا معينة أدت إلى نشوء الإرهاب

فى البيئة العربية.. والادعاء ثالثا أن عوامل استمرار الإرهاب موجودة فى هذه البيئة.. ومن ثم كان أن حاول أصحاب تلك المحاولة بادعاءاتهم تلك توظيف اتجاهات الرأى العام فى الولايات المتحدة و«الفورة» التى خلقتها أحداث الإرهاب فى اتجاه إيذاء مصر أو دفعها إلى شرك خداعى ليس له قرار.

لقد كان هؤلاء هم أنفسهم الذين حاولوا التشكيك من قبل فى عدالة وشرعية القضايا العربية كلها.. وعلى الرغم من أن كافة أساليبهم وخططهم قد فشلت فى تحقيق أهدافها - وإن أعاقتنا - إلا أنهم حاولوا مجددا استخدام نفس الأساليب فى هذه الأزمة الدامية والمتفجرة عالميا والتى بدأت فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

وليس من شك - كذلك - أن المؤرخين وهم يكتبون قصة تلك المرحلة المهمة سوف يتوقفون أمام ذلك. وسوف يؤكدون حقيقة أن مصرمبارك استطاعت بحكمة شديدة أن تنجو بنفسها بعيدا عن هذا الشرك وأنها تصدت وتجاوزت عقبة أخرى ليست سوى فصل عابر فى كتاب التاريخ المصرى الطويل المملوء بالعقبات والعوائق التى استهدفت موقف مصر الحقيقى، وتستهدف بنفس

القدر كافة قضايانا وتطلعاتنا إلى مستقبل يليق بمكانتنا الحضارية الأصيلة.

من هنا كانت سلسلة المقالات التى قمت بكتابتها فى «روزاليوسف» منذ اندلعت هذه الأزمة، وهى - أى المقالات - تمثل التطور الواقعى لتلك الفكرة التى تحدثت عنها هنا.

ودون أن أزكى نفسى، أو مقالاتى تلك، فإننى هدفت منها إلى ما هو أبعد من الهدف اليومى للعمل الصحفى.. وهو متابعة الأحداث وتحليلها السريع والعابر.. وكانت أهدافى هى:

- الكشف عن الجوانب الخفية لمسببات الأحداث الإرهابية، وتأصيلها التاريخى،ووضع النقاط التى أهدرت عمدا فوق أحرف مبعثرة قصدا حتى تكتمل جملة الحقيقة أمام التاريخ.. ويعرف كل طرف مسئوليته وموقفه الكامل الذى حاولت سحب الغبار أن تخفيه وتحجب وقائعه التى لا تقبل الشك.
- إعادة رصد وتحليل الأساليب الذكية التى استطاعت بها مصر أن تتجاوز محنة الإرهاب، وأن تنتصر فى معركتها ضده، حيث كانت هدفا وحيدا فى الميدان الأسود، تصوب نحوه القنابل والطلقات وتحاك ضده المؤامرات، بينما هو

صامد قادر متصد يقف بالمرصاد لكل هذا.. دون عون من أحد.. ودون أن يسانده أى فريق فى كل أنحاء العالم.. ودون أن يحرك الجيوش وناقلات الجنود وحاملات الطائرات، ورغم ذلك استطاعت مصر مبارك بحكمة بالغة أن تحقق نصرا فريدا فى هذه المعركة القاسية التى تواصلت لسنوات.

■ كان هدفى كذلك هو أن نستشرف صورة المستقبل الذى نريده لمصرنا ولكل الحضارة الإنسانية.. حتى لا تتكرر مأساة الإرهاب ولعناته التى طالت الجميع، وفى هذا فإننى لم أتوقف فقط أمام الجوانب الأمنية والعسكرية والسياسية، وإنما غصت كذلك فى الجوانب الثقافية والعقيدية المسئولة مباشرة عن إفراز الإرهاب ودعمه قبل غيرها من العوامل والجوانب.

وفى هذا المضمون كان هدفى أيضا تنقية العلاقات المصرية الأمريكية من الافتعالات والتآمر بهدف إفساد هذه العلاقات التى من شأنها حسم قضايا ومشاكل عديدة محلية وإقليمية وعالمية ، وهناك من يحلو لهم تعكير هذه العلاقات كلما نشبت أزمة هنا أو هناك ، وهو تعكير يخصم من رصيدنا ويضيف إلى رصيد الخصوم والأعداء..وما أكثرهم بالنسبة للمنطقة العربية

عموما وبالنسبة لمصر بشكل خاص بسبب أهميتها ومحورية دورها.

لقد كانت تلك هى أهدافى، وهى إجمالا تندرج تحت بند وضع الحقائق أمام شهود التاريخ وجها لوجه.. دون زيف أو مواربة، وفى ذلك أشير إلى أن اهتمامى بهذا الأمر الحيوى والحدث الجلل لم يكن فقط بسبب أهمية ما جرى وعمق تأثيره وتبعاته، ولكن لأن ذلك يأتى فى سياق خاص من الاهتمام الذاتى بمشكلة الإرهاب وتأثيرها على مصر والحضارة الإنسانية.

وفى مثل هذا الوقت من العام الماضى كنت قد أصدرت كتابا آخر فى نفس الإطار عنوانه «الإسلام وحدائق الشيطان» تناولت فيه العمليات القذرة التى أرادت أن تدفع بالعقيدة الإسلامية إلى حقول الألغام التى تنفجر بمجرد الاقتراب منها.. ولا يخفى على القارئ أن هذه العمليات هى - فى الأصل - سبب نشوء فكر الإرهاب الشاذ.

محمد عبد المنعم

ثلاثة أيام قبل ١١ سبتمبر

”كانت الأجواء تتحرك فى صالح القضية الفلسطينية، وكان الرئيس مبارك يركز بشكل خاص على الدور الأوروبى ليكون دورا نشطا ومحفزا للدور الأمريكى حتى يتم التوصل إلى حل لهذه القضية المستعصية والتى باتت تؤرق العالم كله لأكثر من نصف قرن من الزمان!“

جولة مبارك الأوروبية وتحولات لايراها الكثيرون

إن ثمة تحولا جوهريا فى وسائل حل الصراع العربى الإسرائيلى يجرى حاليا بعيدا عن أعين المتشنجين وأصحاب الرؤى أحادية النظرة والأبعاد، ففى الوقت الذى تبدو فيه واشنطن كما لو كانت تتخبط بين مشاعر الحيرة والارتباك والميول السلبية تجاه ما يجرى من أحداث مخيفة فى منطقة الشرق الأوسط، فإنه فى نفس الوقت نلاحظ تنشيطا جادا للدور الأوروبى فى المساهمة فى حل الصراع دون أن نسمع عن الاعتراض المعتاد من جانب واشنطن على هذا الدور الأوروبى، ولا عن الاعتراض المعتاد من داخل أوروبا والذى يثار لأسباب تاريخية بين دول القارة وخاصة فيما بين فرنسا وألمانيا!

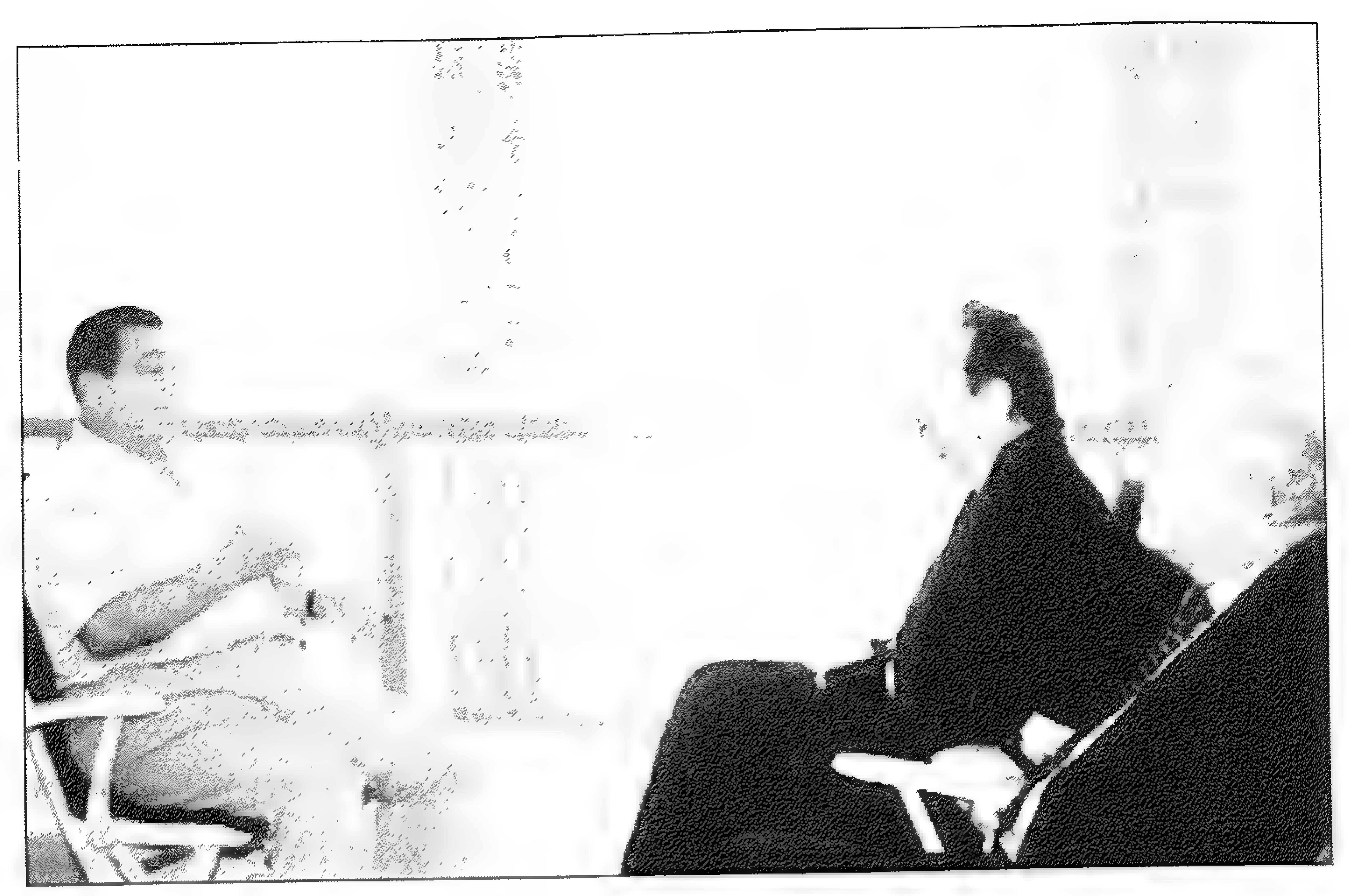
وفى نفس هذا التوقيت تجىء زيارة الرئيس مبارك المرتقبة - فى النصف الثانى من الشهر الحالى - لعدد من العواصم الأوروبية وفى مقدمتها «باريس» التى يعرف الجميع ولع شعبها بكل ما هو مصرى، كما يعرف الجميع تقديرها البالغ لشخص الرئيس مبارك، وذلك فى الوقت الذى تضع فيه إسرائيل حكومة وشعب فرنسا على رأس قائمة الدول الأوروبية التى تربطها علاقات تاريخية طويلة مع الدول العربية، مما يهدد بانحيازها إلى وجهة النظر العربية!

ومن هنا كان إحجام إسرائيل الدائم عن أى دور أوروبى فى مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى، والاكتفاء بالدور الأمريكى، وياحبذا لو كان هذا الدور يتخبط - كما قلنا - بين مشاعر الحيرة والارتباك والسلبية... و... و

إن التطورات الدولية الراهنة تشير إلى أن الدول الأوروبية بدأت تشعر بالانزعاج من الموقف الأمريكى إزاء تصاعد أعمال العنف بين الفلسطينيين وإسرائيل، وبدا واضحا للجميع أن صانع القرار الأمريكى قد نفض يديه عن هذا الصراع، وأنه يتبع سياسة الابتعاد والانعزال عما يجرى فى هذه المنطقة الساخنة، وذلك رغم حرصه التقليدى الذى استمر سنوات طويلة على أن يكون طرفا مباشرا وقويا فى إيجاد تسوية نهائية لهذا النزاع التاريخى.

وإزاء هذا الموقف الأمريكى الجديد بدأ القادة الأوروبيون يفصحون علانية عن استيائهم من الموقف الأمريكى الجديد والغريب فى الوقت ذاته، ووجه «هيبورت فيدرين» وزير الخارجية الفرنسى اتهاما صريحا لواشنطن بأنها تتعمد الابتعاد عن الأزمة وتحرص على البقاء بعيدا عما يدور فى المنطقة من أحداث خطيرة، وأضاف «فيدرين» فى حديثه لصحيفة «لو فيجارو» الفرنسية أن بلاده - وباقى الدول الأوروبية - ترغب فى أن ترى واشنطن تتخلص من سياساتها السلبية تجاه أزمة الشرق الأوسط، وأن تبتعد عن سياسة «انتظر حتى ترى» وأن تعود لممارسة دور رئيسى فى حل أزمة خطيرة تمتد آثارها إلى جميع أنحاء العالم. وأكد «فيدرين» فى نهاية تصريحاته أن إدارة الرئيس الأمريكى بوش تتسم «بميول انعزالية»!

ومن السخرية أن تجىء هذه الانتقادات الأوروبية للسياسة الأمريكية الحالية التى تتسم بالسلبية إزاء ما يجرى فى الشرق الأوسط، وذلك لأن أوروبا طوال العقود الماضية كانت تنتقد بشدة احتكار الولايات المتحدة لدبلوماسية صنع السلام بين العرب وإسرائيل!



الرئيس مبارك خلال اجتماعه فى برج العرب مع خافيير سولانا الأمين العام للاتحاد الأوربى

على أن هذا الموقف المتناقض ينبع أساسا من مخاوف أوروبية من أن تؤدى سلبية الموقف الأمريكى إلى إيجاد مخاطر سياسية جادة لكافة الأنظمة العربية، مما يهدد بزعزعة الاستقرار فى منطقة حيوية هى بمثابة شريان الحياة للاقتصاد العالمى بما تنتجه من ثروات وموارد.. فى مقدمتها البترول!

وهكذا، فإنه فى الوقت الذى تقاعست فيه الدبلوماسية الأمريكية فى صراع الشرق الأوسط، فإنه على الجانب الآخر كان هناك نشاط ملحوظ من الدول الأوروبية.. تجلى فى تنسيق جهود الوساطة لوضع ترتيبات الانسحاب للقوات الإسرائيلية من بلدة «بيت جالا»، ويبدو أن هذا الموقف الأوروبى عمل على حفز الجانب الأمريكى للتدخل، فقام وزير الخارجية الأمريكى «كولين باول» بإلقاء كل ثقله وراء التسوية التى توصل إليها المسئولون الأوروبيون ومن بينهم وزير الخارجية الإيطالى

«ريناتو راجييرو»، والفرنسى «هيوبرت فيدرين»، والألمانى «جوشكا فيشر» والذى كان أيضا وراء إقناع الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات ووزير الخارجية الإسرائيلى شيمون بيريز بالاجتماع معا.. فى محاولة للوصول إلى تسوية للموقف المشتعل بين الجانبين!

ورغم تباين الموقفين الأمريكى والأوروبى، فإن هناك اتفاقا بين الجانبين على أن الأطراف الخارجة عن الصراع لا تملك حاليا النفوذ والتأثير الكافيين لإنهاء الأزمة المشتعلة منذ أشهر بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، والتى تغذيها إراقة الدماء بين الجانبين، كذلك يدرك الجانبان الأوروبى والأمريكى أن الخلافات العميقة والكامنة فى جذور الصراع والمشكلة تصل إلى حد عميق من الصعوبة والتعقيد، بحيث يصعب حلها بين يوم وليلة.. كما يتصور أولئك الذين لا يدركون جذور وأبعاد هذا الصراع.

وهكذا، يبدو أن جميع الأطراف التى تتناول هذه الأزمة المستعصية أصبحت الآن على دراية كافية بمدى حجمها وتعقيداتها، وهذا فى حد ذاته يعتبر أساسا ناجحا لاحتمالات أية تسوية مستقبلية والخروج من المأزق الحالى، كذلك يلاحظ أن التحفظ الأمريكى التقليدى على أى تدخل أو أى دور من جانب أوروبا بات معدوما الآن، وقد يكون مصدره الأساسى هو الحذر الأوروبى فى الاقتراب والتعامل مع المشكلة، والذى يتضح حاليا من اكتفاء الدول الأوروبية بالعمل على وقف إطلاق النيران بين الجانبين، أو أن يكون سبب اختفاء التحفظ الأمريكى المعتاد، والذى شاهدناه فى السنوات السابقة للصراع، هو تردد واشنطن وحيرتها حيال طبيعة هذا الصراع وطبيعة المنطقة التى تختلف بالطبع لأسباب سياسية وإنسانية عن أية منطقة فى العالم!

وهنا يبرز دور مصر والرئيس مبارك بشكل خاص لأنه طوال حقبات الصراع كانت آراء الرئيس مبارك هى الصائبة دائما وهى الأقرب للواقع كما لو كان الرئيس المصرى يقرأ كتابا مفتوحا!

ومن هنا فإن جولة الرئيس مبارك المرتقبة لعدد من العواصم الأوروبية خلال النصف الثانى من الشهر الحالى تجىء فى توقيت مثالى للعمل على تشجيع الدور الأوروبى، وأيضا الدور الأمريكى الحائر أو المتردد، وربما أدى الدوران معا إلى احتواء الموقف الذى يزداد اشتعالا منذ الزيارة المشئومة التى قام بها شارون إلى المسجد الأقصى محاطا برجال الأمن المدججين بالسلاح، كما لو كان يقود غزوة عسكرية ظافرة وليس انتهاكا متعمدا لمقدسات الملايين من المسلمين فى مختلف أرجاء العالم، وهى الزيارة التى تصاعدت آثارها بعد ذلك إلى الانتفاضة ولجوء إسرائيل إلى استخدام المقاتلات والصواريخ الحديثة فى ملاحقة وضرب المدنيين الفلسطينيين!

وفى تصورى أن شارون ليس من السذاجة بحيث إنه لم يتوقع هذه التطورات المخيفة.. لقد كان يعلم ويتوقع، ولكنه رأى فيها «فتحة هروب» للخروج من مأزق المفاوضات والتعهدات التى قطعتها إسرائيل على نفسها تحت ضغوط الرأى العام العالمى، والتى كانت لابد أن تنتهى إلى الانسحاب من الأراضى المحتلة، وبنفس المنطق فإن إسرائيل كانت تعارض دائما التدخل الأوروبى بحجة أن الدول الأوروبية تربطها علاقات تاريخية وثيقة مع عدد من الدول العربية، مما يهدد بانحيازها إلى الجانب العربى، ومن هنا تنبع مرة أخرى أهمية جولة الرئيس مبارك المرتقبة فى عدد من العواصم الأوروبية، وأهمية توقيت الزيارة رغم المشاكل والمهام العديدة فى أرض الوطن!... وفى نفس هذا المضمون تأتى اتصالات الرئيس مع «فلاديمير بوتين» رئيس روسيا، ومع زعماء الصين ودول آسيا وضعا للمجتمع الدولى كله أمام مسئولياته، وتطبيقا للحكمة المصرية التى تقول: «لما نشوف آخرتها إيه».. ولكن المتشنجين وأصحاب الرؤى أحادية النظرة والأبعاد.. لا يرون شيئا من هذا! ويكتفون بجلجلة الحناجر والانفعالات التى لا تؤدى إلى شىء.. إلا التوتر وتعميق مشاعر الاخفاق!■

١١ سبتمبر ٢٠٠١
والحادث الصاعقة

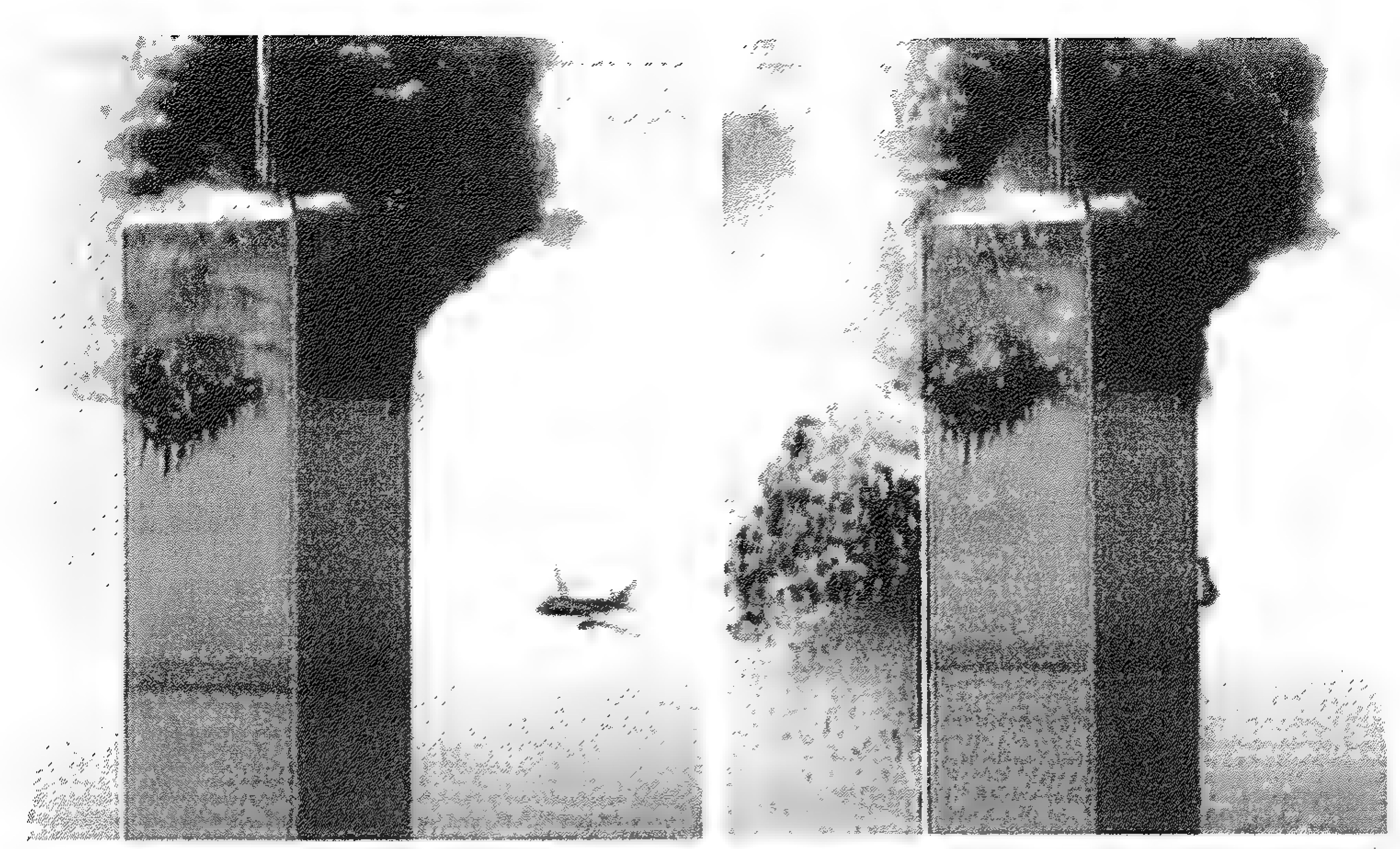
"كان كل شيء يسير طبيعيا داخل الولايات المتحدة الأمريكية التي ظلت قروناً طويلة في منأى عن الأخطار والتهديدات الخارجية بسبب موقعها النائي .. وفجأة تغير كل شيء واشتعلت النيران في الأرض وفي السماء .. وأصبحت الولايات المتحدة مهددة ـ كسائر الدول ـ ولكن لأغرب الأسباب وأقلها توقعا وحسبانا!"

الحادث الصاعقة

كانت الأمور تسير على طبيعتها ووتيرتها المعتادة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكان يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تقليديا للغاية، ثم فجأة انفجرت الأحداث بشكل مذهل عندما قامت عدة طائرات مدنية بتغيير مسارها المعتاد داخل أجواء الولايات المتحدة، ولم يكن أحد يتصور وجهتها وأنها فى لحظة ستتحول إلى أداة سهلة فى أيدى الإرهابيين ليرتكبوا بها عملا إرهابيا غير مسبوق ضد الولايات المتحدة التى كانت دائما تعيش بعيدا عن أى أخطار وعن أى تهديدات بسبب موقعها الجغرافى النائى!!

.. وفى لحظات اختفى كل ذلك وتبدد وفوجئنا بها هدفا سهلا لجماعات إرهابية نجحت فى مهاجمة رموز القوة الاقتصادية والقوة العسكرية الأمريكية، وتحول يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر إلى أسود يوم فى تاريخ الأمريكيين، وبدأ شكل العالم نفسه يتغير منذ هذا التاريخ.

وفيما يلى التسلسل الزمنى بتوقيت واشنطن للاعتداءات التى شهدتها مدينتا نيويورك وواشنطن يوم الثلاثاء الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وتطورات تنفيذها، والإجراءات الاحتياطية التى اتخذتها السلطات الأمريكية بهدف تقليل عدد الضحايا بأية صورة ممكنة:.



لحظة إصطدام الطائرة بالبرج الثانى

«٨:٥٦»

طائرة تصطدم بأحد برجي مركز التجارة العالمى فى نيويورك وتحدث فجوة كبيرة فى الواجهة بعد تدمير العديد من طوابقه الوسطى، وسحابة دخان ضخمة تنتشر من الطوابق العليا.

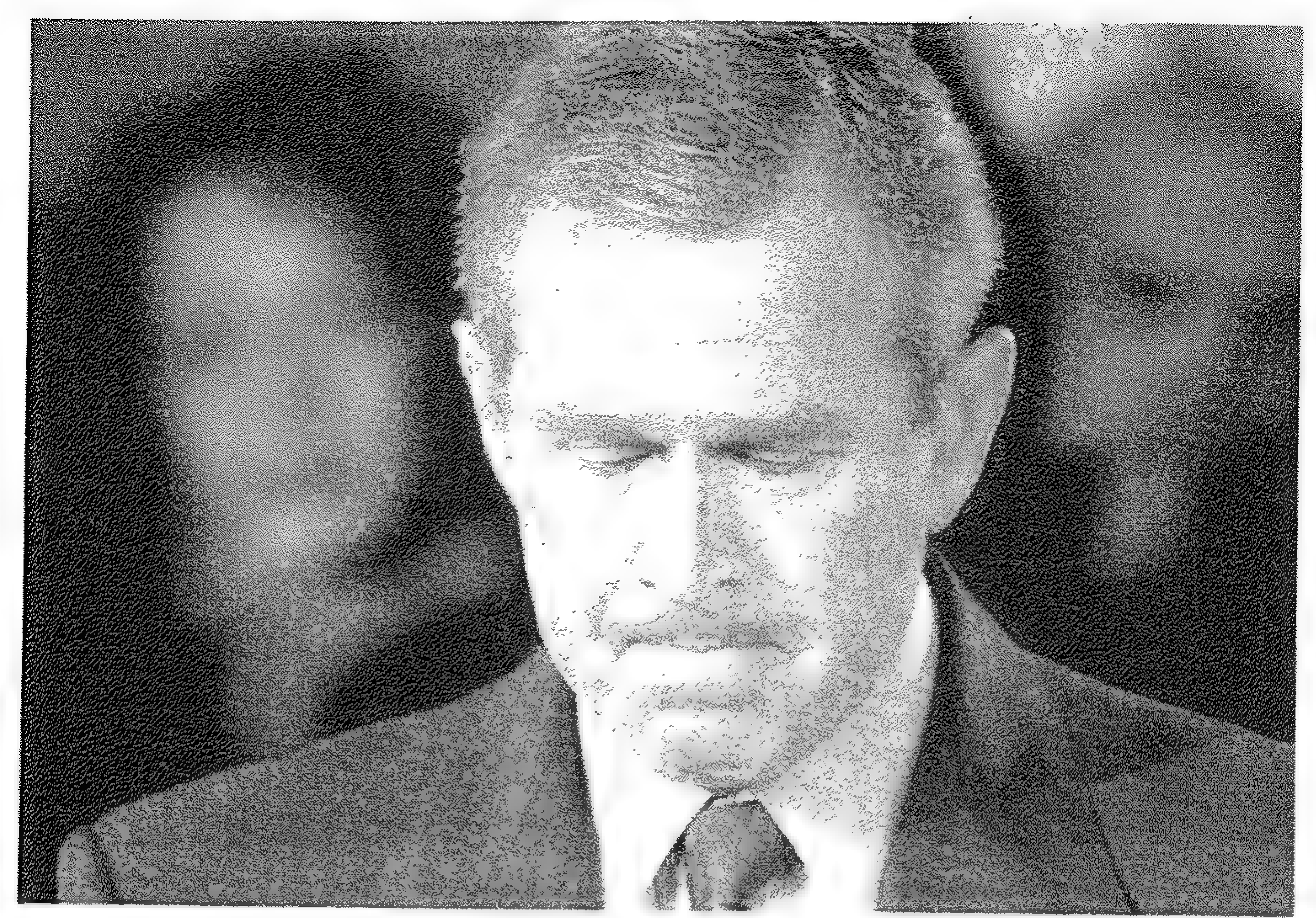
- بعد حوالى عشر دقائق من الحادث خرج الرئيس الأمريكي بوش الابن على وسائل الإعلام العالمية ليلقى كلمة سريعة لم تستغرق الدقيقتين على الشعب الأمريكي. واساهم فيما حدث واختفى بعدها ولم يظهر إلا فى نهاية اليوم الملئ بالأحداث والانفجارات.

«٩:١٤»

طائرة أخرى تصطدم بالبرج الثانى من مركز التجارة العالمى وتحدث انفجارا قويا بثته شبكات التليفزيون مباشرة لأنها كانت قد وضعت كاميراتها لتغطية تداعيات الاصطدام الأول.

«٩:٣٠»

صدور حصيلة أو تصور أولى تتحدث عن سقوط ما لا يقل عن



الحادث على وجه الرئيس الأمريكى« بوش الابن»

ستة قتلى وألف جريح انتقدها الجميع لعدم واقعيتها.

«٩:٤٠»

الرئيس بوش الابن الذى كان يقوم بزيارة إلى ساراسوتا بولاية فلوريدا، وخاصة مدارس الأطفال هناك، يعلن أن الأمر يتعلق على ما يبدو باعتداء إرهابى، وقد أمر بفتح تحقيق كامل من أجل ملاحقة الإرهابيين ومعاقبتهم، وأضاف أنه سيعود فورا إلى واشنطن لمتابعة الموقف.

«٩:٥٠»

إخلاء البيت الأبيض فى واشنطن بعد إخلاء وزارة الدفاع «البنتاجون».

«٩:٥٣»

إخلاء مبنى وزارة الخارجية الأمريكية الذى يقع فى وسط واشنطن.



هليوكوبتر تراقب دمار مبنى البنتاجون

«٩:٥٤»

انفجاران يدويان فى البنتاجون وسحب الدخان تتصاعد من أحد جدران المبنى، وأعلن متحدث باسم البنتاجون أنها قنبلة وأخرجوا حصيلة أولية تتحدث عن وقوع سبعة قتلى. ولكن اتضح بعد ذلك أن طائرة ثالثة اصطدمت بمبنى البنتاجون وانهار جزء منه، ويقع مكتب وزير الدفاع الأمريكى «دونالد رامسفيلد» فيه.

«١٠:٠٠»

سلطات الطيران المدنى الأمريكى تأمر بإلغاء جميع الرحلات الجوية التجارية فى الولايات المتحدة.

«١٠:٠٥»

انهيار أحد برجى مركز التجارة العالمى كليا بعد تفجيره وانتشار سحب ضخمة من الغبار، والخوف والهيستيريا



إخلاء أحد الضحايا من المبنى

يسيطران على الأمريكيين فى الشوارع.

«١٠:٢٨»

انهيار البرج الثانى من مركز التجارة العالمى كقصر من كرتون فجأة وانتشار آلاف الأطنان من الحطام فى الشوارع المحيطة وسحابة ضخمة من الغبار تغطى كل الجزء الجنوبى من جزيرة مانهاتن.

«١٠:٣٨»

انفجار سيارة مفخخة فى وزارة الخارجية بواشنطن مما أثار الاعتقاد أن البيت الأبيض يتعرض لهجوم مسلح، لكن اتضح بعد ذلك أنه لم يمس.

«١٠:٤٢»

وزير الخارجية الأمريكى «كولين باول» الموجود فى ليما - وقتها - يلغى زيارته التى كان سيقوم بها «الثلاثاء» ١١

سبتمبر إلى كولومبيا.

«١٠:٥٠»

شركة الطيران الأمريكية «يونايتد إيرلاينز» تعلن فى باريس أن إحدى الطائرات التى اصطدمت فى مركز التجارة العالمى تابعة لأسطولها، وهى من طراز بوينج ٧٣٧.

«١٠:٥٥»

مسئول فى مكتب التحقيقات الفيدرالى «FBI» يعلن أن طائرة مخطوفة تتجه نحو البنتاجون، وفى واشنطن يعوق الحطام الحركة فى وسط المدينة وعدد كبير من المشاة يغادر منطقة البيت الأبيض.

«١١:١٧»

رئيس بلدية نيويورك «رودولف جوليانى» يطلب من سكان نيويورك مغادرة جنوب جزيرة مانهاتن لبداية أعمال الإنقاذ والتخلص من الحطام المتراكم وبسبب غبار الأتربة المتزايد فى سماء نيويورك.

«١١:٣٣»

الإدارة الفيدرالية للطيران المدنى تعلن أنها فقدت السيطرة على طائرة أو عدة طائرات.

«١١:٣٤»

طائرة بوينج ٧٤٧ كانت تقوم برحلة بين شيكاغو ونيويورك تتحطم غرب بنسلفانيا بين نيويورك وواشنطن، وشركة «يونايتد إيرلاينز» تعلن على أثر ذلك أن إحدى طائراتها تحطمت فى بنسلفانيا.

«١١:٣٨»

شركة الخطوط الجوية الأمريكية «أمريكان إيرلاينز» تعلن بدورها عن خسارة طائرتين تجاريتين كانتا تقلان ما مجموعه

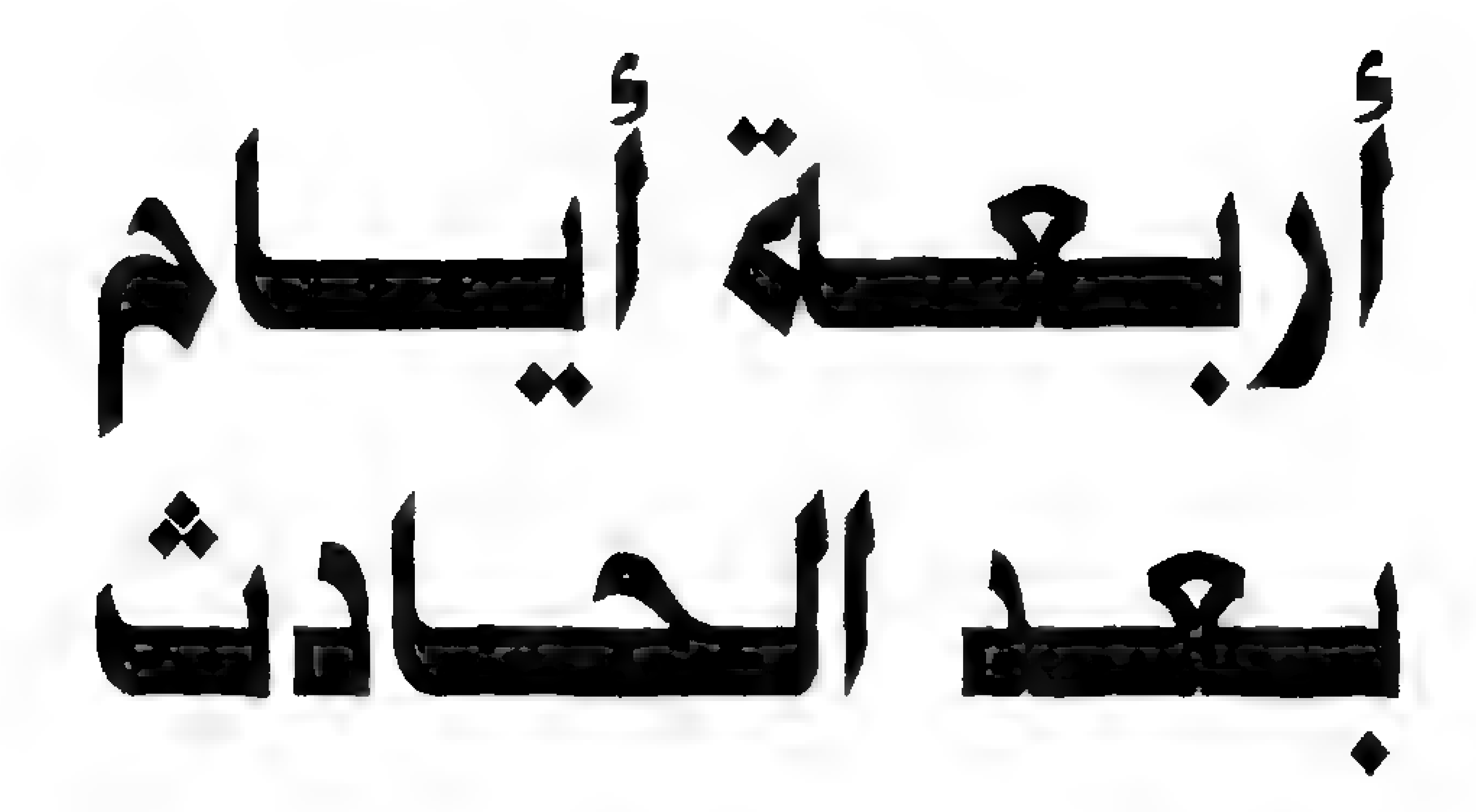
١٥٦ راكبا.

- انتشرت حاملات الطائرات الكبيرة قبالة الساحل الشمالى الشرقى لنيويورك بينما انتشرت خمس مدمرات وبوارج حربية فى أعالى البحار الأمريكية لحماية المياه الإقليمية الأمريكية من أية مخاطر!!.. ورفض المسئولون الحديث حول احتمال الرد الأمريكى على هذه الهجمات أو حتى المسئول عنها!!

- انهيار البورصات العالمية وارتفاع أسعار البترول والذهب إثر التفجيرات التى وقعت فى الولايات المتحدة، وتم إخلاء مقصورة تداول بورصة نيويورك التجارية للبترول «نايمكس» وبلغت خسائر الأسهم المدرجة على مؤشر «فايننشيال تايمز» ٦٧ مليار جنيه استرلينى وارتفع سعر البترول فى بورصة لندن.

- إخلاء مبنى الأمم المتحدة وإلغاء اجتماع مجلس الأمن واحتمال إلغاء أو تأجيل الدورة المقبلة للجمعية العامة.

- انهيار الإنترنت والمواقع الإخبارية الشهيرة مثل السى إن إن و بى بى سى والصحف الأمريكية بسبب الإقبال الشديد عليها من كل أنحاء العالم لمتابعة الأخبار. ■


أربعة أيام
بعد الحادث

”اشتعل العالم كله بعد أن اشتعلت النيران فى قلب واشنطن ونيويورك وازداد التوتر العالمى بشكل غير مسبوق، وحاول الأعداء استثمار هذا المناخ لإشعال الصدام بين العالم الغربى والعالم الإسلامى وهو صدام لم يكن ليستفيد منه إلا أعداء الإسلام.“

سيناريو الحرب العالمية الثالثة العالم كله ضد الإرهاب

أصبح يوم ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١ يوما حاسماً فى تاريخ البشرية، وكما قال المستشار الألمانى «شرودر» فإن العالم قد تحول فى هذا اليوم ولن يعود أبدا إلى ما كان عليه قبل هذا التاريخ، ففى هذا اليوم تمكن الإرهاب، وقوى الظلام من تحقيق ما لم تستطع تحقيقه القوى العالمية العظمى، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية حتى يوم ١١ سبتمبر الحالى هى أكثر دول العالم أمانا، بسبب موقعها الجغرافى الفريد كقارة نائية وآمنة لا يمكن الوصول إليها بكافة أنواع الأسلحة، فيما عدا الصواريخ الاستراتيجية أرض ـ أرض بعيدة المدى.. أو الصواريخ عابرة القارات التى يملكها الاتحاد السوفيتى وروسيا حاليا.

وحتى خلال الحرب العالمية الثانية حاول اليابانيون الوصول إلى شواطئ الولايات المتحدة بواسطة الغواصات، ولم يفلحوا فى ذلك، بينما اكتفى الأسطول الألمانى النازى بقيادة الأدميرال دونيتز بمهاجمة السفن المارة عبر المحيط الأطلنطى وظلت القارة الأمريكية بمنأى عن كل الهجمات والحروب، حتى جاء



الرئيس مبارك خلال الحديث التاريخى الذى أدلى به عام ١٩٩٣ للصحفية الأمريكية كارول ميرفى رئيس مكتب «الواشنطن بوست» فى الشرق الأوسط

يوم ١١ سبتمبر الحالى عندما استطاع عدد من الأشخاص أن يستولوا على طائرات ركاب مدنية أمريكية بوينج ٧٦٧ وبوينج ٧٥٧ وبوينج ٧٤٧ ويحولوا إياها إلى قنابل أو صواريخ بما تحمله من أطنان هائلة من الوقود تعمل على الانفجار والاشتعال عندما يصطدمون بها - فى عملية انتحارية بربرية - بكافة رموز القوة فى الولايات المتحدة الأمريكية: المركز التجارى العالمى أو المركز العصبى للعالم المتقدم، ورمز القوة الاقتصادية والرخاء الأمريكى، والبنتاجون رمز القوة العسكرية لأقوى قوة فى تاريخ العالم، بينما فشل الهجوم على البيت الأبيض الأمريكى مقر رئيس الدولة الأولى على سطح الكرة الأرضية! وهو إنجاز لم تكن الصواريخ العابرة للقارات لتحققه بهذا القدر الهائل من الدقة!

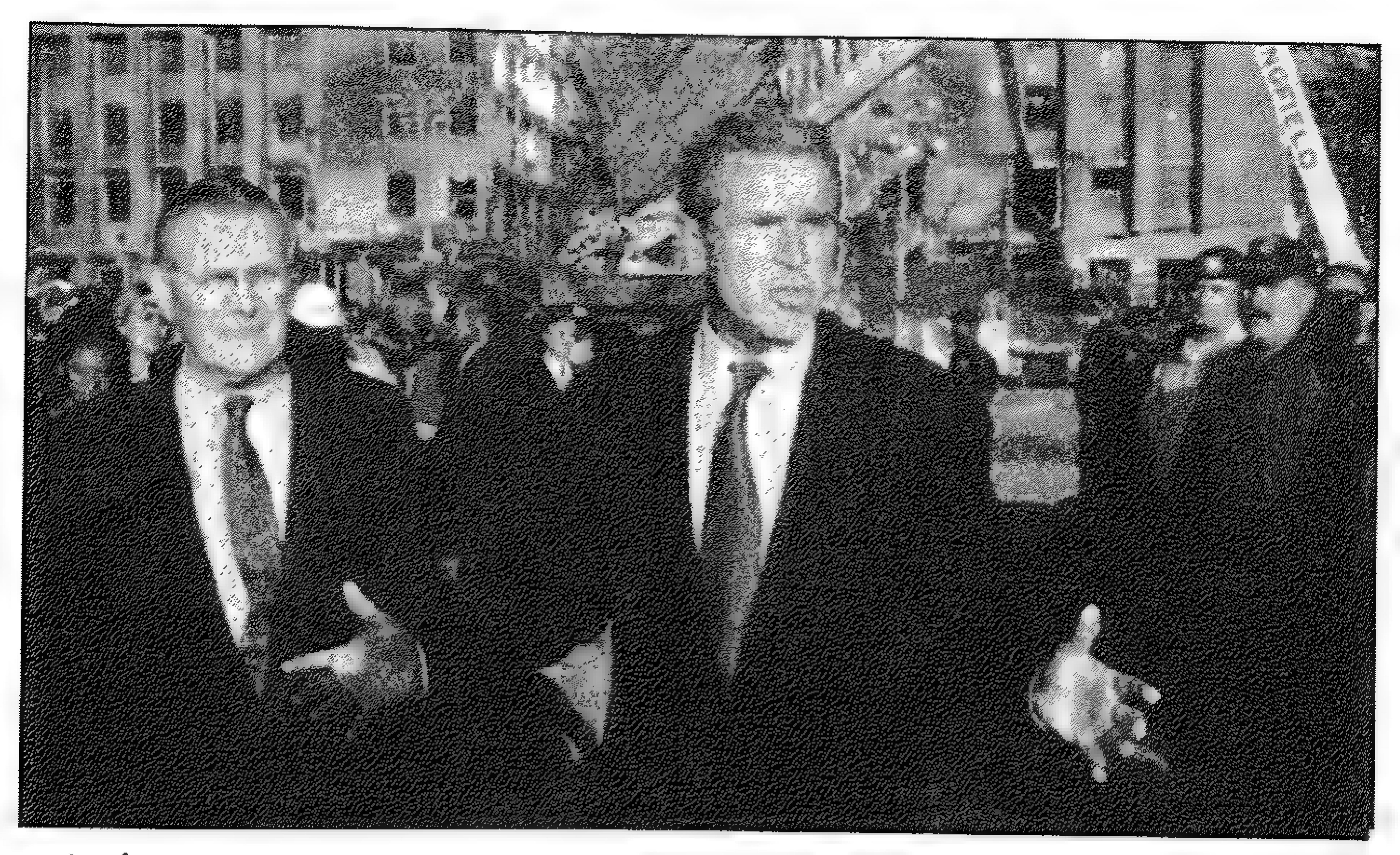
وهكذا كانت كل الأهداف رموزا لمعانٍ معينة، ولكنها لا تعنى أبدا تدمير القوة الاقتصادية أو القوة العسكرية الأمريكية، وكل ما فعلته أنها «أيقظت المارد الأمريكى» ليقوم بدوره فى محاربة

الإرهاب الذى أصبح ظاهرة عالمية، ويحتاج إلى تعاون جميع دول العالم حتى يمكن القضاء عليه تماما كما قال الرئيس مبارك منذ أكثر من ثمانى سنوات فى حديث موثق مع الصحفية «كارول ميرفى» رئيس مكتب صحيفة «الواشنطن بوست» فى الشرق الأوسط.

يومها اندهشت الصحفية الأمريكية كثيرا بما قاله لها الرئيس مبارك وأخذت تستفسر منّى حول طبيعة هذا التصريح، فقد كنت وقتها أشرُف بالعمل سكرتيراً صحفياً للرئيس مبارك، وكانت كارول ميرفى تزهو بأن بلادها لا تعرف الإرهاب، وكذلك دول العالم الغربى، وأن الإرهاب مقصور على الإسلاميين، وعلى الشرق الأوسط.

ولم تمض ٤٨ ساعة حتى وقع انفجار المركز التجارى العالمى فى نيويورك على أيدى جماعة من أنصار الشيخ عمر عبدالرحمن، وفوجئت بالصحفية الأمريكية الشهيرة تطلبنى تليفونيا للاستئذان فى نشر الحديث فورا لأن الاتفاق المسبق كان يقضى بنشر الحديث عند وصول الرئيس مبارك لزيارة واشنطن بعد أسبوعين من هذا التاريخ، ولكن لأن الأحداث أثبتت صحة وجهة نظر الرئيس المصرى وآرائه، فقد رأت الصحيفة الأمريكية الكبرى سرعة نشره نتيجة تطور الأحداث داخل الولايات المتحدة، وطلبت كارول ميرفى «تحديث» الحديث بمزيد من آراء الرئيس فى هذه الظاهرة، فكان أن أبلغت رغبتها للسيد الرئيس فأضاف عبارة واحدة: «إن الإرهاب أصبح طاعونا أصاب العالم كله وليس الشرق الأوسط وحده، وإنه لا سبيل للقضاء عليه إلا بتعاون وتكاتف جميع دول العالم».

وهذا بالضبط هو ما تنادى به واشنطن الآن، فقد شرع الرئيس الأمريكى بوش فى تكوين تحالف دولى - على غرار التحالف الذى وقف أمام غزو العراق للكويت - ليقف فى وجه الإرهاب، وتنادى



الرئيس الأمريكي جورج بوش يتفقد آثار الدمار الرهيب الذى لحق بمبنى وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن من جراء الحوادث الإرهابية الأخيرة

واشنطن بإعلان موقف جميع الدول: هل هى مع العالم المتحضر، ومع الحضارة والمدنية، أم مع الإرهاب الفوضوى.. وبمعنى آخر، فإن العالم الآن ـ كما قال المستشار الألمانى شرودر ـ قد تغير شكله تماما وأصبح ينقسم إلى كتلتين: كتلة العالم المتحضر وكتلة الدول والجماعات التى تساند الإرهاب، لم يعد هناك شرق وغرب أو عالم رأسمالى وعالم شيوعى، ولكن يوجد عالم يساند الحضارة والتقدم، وعالم يساند الإرهاب والفوضوية.. وبمعنى آخر وأكثر تحديدا فقد استوعب الأمريكيون والعالم الغربى التصريح الذى قاله الرئيس مبارك ـ والموثق فى أرشيف صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية ـ منذ أكثر من ثمانى سنوات، ولكن وقتها لم تأبه واشنطن وغيرها، لأنهم كانوا جميعا بمنأى وفى مأمن من دموية الإرهاب، وبعد هذه السنوات الطويلة، وبعد ما حدث فى نيويورك وواشنطن يوم ١١ سبتمبر الحالى تغير الموقف تماما وتغير العالم كله، وليعودوا جميعا إلى ما قاله الرئيس

المصرى العظيم ولم يلتفتوا إليه حتى وقعت الكارثة.

وإذا كان الهجوم الأخير مفاجئا وغير متوقع بالمرة، فإن هذا لايعفى السلطات الأمريكية من سلسلة أخطاء قاتلة وإهمال جسيم، فإذا استثنينا إخفاق أجهزة الأمن والمخابرات وفى مقدمتها جهاز الـ CIA الذى لم يلتقط معلومة واحدة عما يحدث، فإن شبكة الدفاع الجوى الأمريكى وجهاز مراقبة المجال الجوى الأمريكى قد أهملا إهمالا جسيما عندما انحرفت الطائرات الأربعة عن مساراتها وأخذت مسارات مختلفة فى اتجاه واشنطن ونيويورك، وفى ذلك فإنه إذا كانت الطائرات المدنية تعتبر أهدافا صديقة، فإن هذه الصفة تنتفى تماما عندما تنحرف هذه الطائرات عن مساراتها أو تغير اتجاهاتها، ومجرد الانحراف فى قاموس الدفاع الجوى يعتبر سلوكا عدائيا تنطلق على أثره المقاتلات الاعتراضية لاعتراض مسار الطائرات المخالفة!

والأدهى من ذلك أن هناك مناطق فى كل دولة من دول العالم تعتبر مناطق محظورا الطيران فيها والتحليق فوقها لأى سبب من الأسباب، ومنها بالطبع البيت الأبيض ومقر البنتاجون ومواقع المنشآت النووية والاستراتيجية، وعندما يحدث ذلك فإنه يتم على الفور إسقاط هذه الطائرات بكل الوسائل المتاحة، ولكن كما رأينا فإن طائرات يوم ١١ سبتمبر حلقت وناورت فوق كل هذه المواقع الحيوية دون أن يتعرض لها إنسان واحد ولو «بطلقة طبنجة»، فكان أن حدث ما حدث من خسائر هائلة!

أما الخطأ الاستراتيجى والأساسى الذى كان السبب وراء كل النكبات فقد بدأ عندما قررت واشنطن مساعدة الإرهاب والإرهابيين فى أفغانستان خلال حربهم مع الاتحاد السوفيتى، وكما رأينا فقد انهار الاتحاد السوفيتى بعد ذلك وبدون حرب، بينما بقى الإرهاب وترعرع وعانينا منه جميعا حتى طال

الولايات المتحدة نفسها!

أما الحديث عن أسامة بن لادن فهو بدوره ينطبق عليه نفس ما قلناه عن التشجيع الأمريكى للإرهاب الأفغانى، ومازالت هناك حلقة مفقودة بين المخابرات المركزية الأمريكية وأسامة بن لادن الذى يشعر أن أمريكا قد خانته ومن ثم شرع فى الانتقام من كل ما هو أمريكى.. هناك حلقة مفقودة ينبغى أن ينتبه إليها الرأى العام الأمريكى ويطالب بمعرفة حقيقة ما جرى هناك فوق أرض أفغانستان، التى يبدو واضحا الآن أنها الهدف القادم للهجوم الأمريكى المزمع!

وفى هذا المضمون فقد تكون تلك الإخفاقات القاتلة من الأسباب الرئيسية لعملية التعتيم التى صاحبت تلك الحوادث وانفرد الإعلام الأمريكى وعلى رأسه شبكة CNN ببث كل المعلومات التى تحصل عليها، وبشكل غير موضوعى كان ومازال منحازا ضد العرب والمسلمين فكان أن تم شحن الرأى العام الأمريكى شحنا طاغيا فى اتجاه الرد الانتقامى!

إن الولايات المتحدة الآن حكومة وشعبا يتحدثون عن الانتقام وأن البلاد أصبحت فى حالة حرب مع أية دولة ساندت هذه العمليات الإرهابية بأى شكل من الأشكال، وعلينا أن ننتظر انتهاء التحقيقات لنرى ما سوف تسفر عنه، وما يمكن أن يترتب عليها من أعمال عسكرية عنيفة وصل البعض إلى تصويرها بأنها «الحرب العالمية الثالثة».. بينما يميل الجميع إلى تصوير ما حدث على أنه نسخة عصرية من معركة «بيرل هاربور» الشهيرة التى وقعت فى السابع من ديسمبر عام ١٩٤١ عندما شنت اليابان هجوما جويا خاطفا على الأسطول الأمريكى الذى كان رابضا فى هذا الميناء فى جزيرة «أواهو» فى «هاواى».

وجدير بالذكر أن الهجوم اليابانى الخاطف الذى اشتركت



آثار الدمار الذى لحق بالقوات الأمريكية فى معركة «بيرل هاربور» بعد الهجوم اليابانى الساحق عليها



قذف هيروشيما ونجازاكى بالقنابل الذرية بعد تطور الموقف عقب الهجوم اليابانى الشهير

فيه ٣٥٣ قاذفة قنابل تحرسها المقاتلات من طراز «زيرو» أسفر عن مصرع ٢٣٤١ جندياً أمريكياً و٥٤ مدنيا، بينما أصيب بجراح ٣٤٨٤ جنديا و٣٥ مدنيا، كما أسفر الهجوم عن تدمير ١٥٤ طائرة قتال و١٢ سفينة حربية أمريكية.. بجانب إلحاق أضرار بـ ١٥٩ طائرة و٩ سفن حربية أخرى، والواضح أن حجم الخسائر فى الأرواح والمنشآت والممتلكات من جراء العملية الأخيرة هو أضعاف أضعاف خسائر «بيرل هاربور» من جراء الهجوم الجوى اليابانى الذى أدى إلى إعلان الولايات المتحدة الحرب على اليابان، وشرعت على الفور قاذفات القنابل الأمريكية من طراز «ب-١٧» بقيادة «الكولونيل دوليتل»، بالإغارة بعد أيام على العاصمة طوكيو وقذفها بالقنابل رغم أن المدى التكتيكى لهذه القاذفات لم يكن يسمح لها بالعودة إلى قواعدها بعد هذه الغارة الانتقامية واضطر معظم الطيارين إلى الهبوط اضطراريا وخاصة فى الأراضى الصينية.

كذلك أدى تطور عمليات القتال والعناد العسكرى اليابانى إلى لجوء واشنطن إلى استخدام القنابل الذرية فألقت واحدة منها فوق هيروشيما فى ٦ أغسطس عام ١٩٤٥، وقنبلة ذرية أخرى فوق ناجازاكى بعد ذلك بثلاثة أيام مما أدى إلى مصرع الآلاف وإصابة آلاف غيرهم وتشويه جميع سكان الجزيرتين الذين مازال بعضهم يعانى حتى يومنا هذا.

وإذا كنت قد استطردت فى الحديث عن «بيرل هاربور»، فليس ذلك من قبيل التخويف أو الإرهاب - ولو أن الإرهابيين لا يعرفون غير لغة الخوف والترهيب - ولكن أساسا لأن الحديث الآن فى جميع وسائل الإعلام الأمريكية، وفى كافة أنحاء البلاد يربط بين ما حدث يوم ١١ سبتمبر الحالى، وبين معركة «بيرل هاربور» التى تصاعدت وتطورت إلى ما تطورت إليه فى شكل حرب

عالمية، ثم استخدام الأسلحة الذرية بعد ذلك ولأول مرة فى تاريخ البشرية.

وحتى يكتمل حجم المخاطر القادمة فلابد وأن ننتبه إلى إعلان حلف الأطلنطى أن الاعتداء على أحد أعضائه هو اعتداء على الجميع، وبمعنى آخر فإن أعضاء الحلف أصبحوا الآن يقفون فى خندق واحد مع الولايات المتحدة كيفما كان قرارها بالحرب والانتقام.

وفى النهاية فإنه من الجدير بالذكر أن القائد العسكرى اليابانى الذى كان تجسيدا للعسكرية والاستراتيجية فى بلاده فى ذلك الوقت، وهو الأدميرال إيسوروكو ياماموتو، بعد أن نجح الهجوم الجوى الخاطف على الأسطول الأمريكى فى «بيرل هاربور»، ورغم أنه هو الذى وضع الخطة الهجومية وأشرف على تنفيذها، فقد كان هو نفسه الذى قال العبارة المأثورة: «إن كل ما فعلناه هو أننا عملنا على إيقاظ المارد الأمريكى». وقد جاء ذلك لأن الرجل يتصف بقدر كبير من العقل والذكاء جعله يدرك ويقدر الموقف تقديرا صحيحا، أما الإرهاب والفوضوية فليس لهما عقل ولا قدرة علــى تقدير الموقف.. أى موقف!■

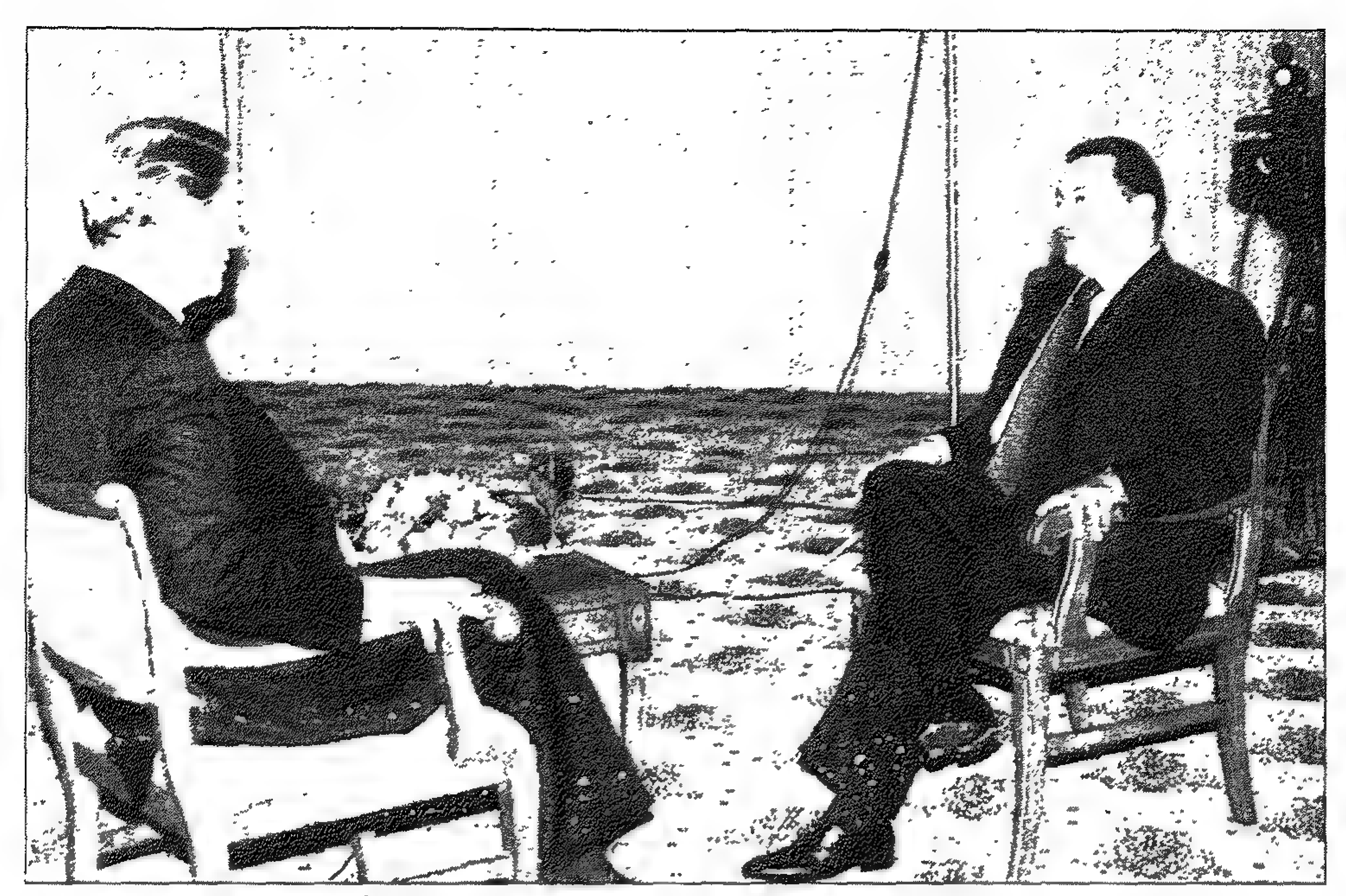
مصر تقول

”عندما خرج الرئيس مبارك ليتحدث بعد الأزمة كان حديثه مختلفا نتيجة خبرات سابقة وعميقة مع ظاهرة الإرهاب، وفى الوقت الذى حاول فيه أعداؤنا تصوير هذا الموقف على أنه مساندة للإرهاب، فإن جماهير الشعب المصرى - ومن بعد ذلك الرأى العام العالمى - أدركت استقلالية قرار الرئيس وازدياد تماسكها خلفه ومساندتها له فى هذه السياسة التى خلصت نفسها تماما من شوائب التحيز والانفعال.“

رئيس يزداد تألقا..
وشعب يزداد زهوا برئيسه

للرئيس محمد حسنى مبارك أن ينعم بهذا القدر الهائل من التألق على مستوى العالم كله، وليس مصر وحدها.. وللوطن العظيم الذى أنجب مثل هذه النوعية من الرجال أن يزهو بتفاعلات تاريخه وصراعه فى الحياة، هذا الصراع وتلك التفاعلات التى تنحت لنا بين الحين والحين نوعية خاصة من الرجال لتقود المسيرة فى رحلة تحدٍ وعناد ضد كل الموانع، وضد كل المصاعب التى قل أن تواجه أى مجتمع إنسانى على مر التاريخ!.. وخلال هذه المواجهة كانت مصر على مر تاريخها الطويل ترتبط صعودا وهبوطا، وانتصارا وانكسارا، بحجم وإمكانات الرجل الأول الذى يتربع على قمة هرمها القيادى الفريد!

ومع ذلك، ورغم مكانة الرئيس التى تجسدت أمامنا جميعا بعد أزمة نيويورك وواشنطن، فإن الرئيس محمد حسنى مبارك لن يسمح لنفسه بمتعة الزهو ونشوة التألق، سيظل كما هو بسيطا متواضعا وتلقائيا. لا يقول غير ما يشعر به فى أعماقه، ولا يتظاهر بغير حقيقته، ولا يقدم على أى عمل إلا إذا كان فيه خير للوطن الذى



الرئيس يتحدث إلى مراسل شبكة N.B.C كيث ميلر ضمن واحد من الأحاديث التى سعت إليها وسائل الإعلام العالمية لسماع رأى الرئيس المصرى ووجهة نظره فى الأحداث الجارية

أنجبه، وللمجتمع الذى أفرزه وتبادل معه العطاء، كما لو كان إنسانا ضد الزيف، وضد كل ميول النفس للاستعلاء والتفرد، وضد كل زخارف الافتعال ومغريات أشباه الحقائق !

حتى عندما كان طيارا شابا، ورغم أنه كان أبرع زملائه فى الطيران، ورغم أن مهنة الطيران ذاتها تغرس في أعماق العاملين بها إحساسا طبيعيا بالزهو بالنفس وبالتفرد بين الجميع .. رغم ذلك فقد كان الرئيس مبارك أبعد الجميع عن هذا الإحساس وهذا الافتعال، ولكنه فى الوقت ذاته كان أكثر الجميع أناقة وهنداما، وانضباطا، وقدرة على - وإخلاصا فى - العمل الذى يبدو أنه ترسخ فى ذهن الرئيس على أنه الحياة بذاتها، وأن ما عداه لا علاقة له بظاهرة الحياة وفكرة الوجود!

خرج الرئيس مبارك ليتكلم بعد كارثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فجاء كلامه مختلفا عما تنادى به واشنطن ودول الأطلنطى والقارة الأوروبية .. ومع ذلك، ورغم الانفعال الجارف الذى صاحب هذه الكارثة، فقد توقفت واشنطن وكل عواصم أوروبا والعالم أجمع لتستمع جيدا لما يقوله رئيس مصر .. كانوا جميعا يطالبون بتحالف دولى والشروع في الانتقام من جماعات الإرهاب والدول التى تساندها، ووقف هو وحده يطالب بمظلة دولية توفر الشرعية لهذه الحملة ضد الإرهاب ويحذر من الأضرار التى ستلحق بالأبرياء.

وقف الجميع يستمعون لما يقوله الرئيس مبارك، تماما كما وقفوا من قبل يستمعون لما يقوله نفس الرئيس أثناء حرب تحرير الكويت، ووقتها كان الرئيس المصرى أيضا يقول كلاما مخالفا لما يقوله الجميع، وأثبتت الأحداث أنه لم يقل كلمة واحدة خطأ .. فهو قائد عسكرى محترف من الطراز الأول، حق للعسكرية المصرية أن تزهو به على مر العصور، وفى هذا المضمون أتذكر جيدا حديثا أدلى به للمعلقة التليفزيونية الشهيرة ديانا سوير تناول فيه توقعاته بالنسبة لعمليات القتال المتوقعة بريا وجويا، وجاءت توقعاته مخالفة تماما لتوقعات جميع القادة الأمريكيين بما فيهم الجنرال كولين باول. ، الذى كان وقتها يشغل منصب رئيس أركان القوات المسلحة الأمريكية.. وبعدها تدفق على القاهرة كبار المسئولين الأمريكيين وأعضاء الكونجرس ليلتقوا بالرئيس المصرى، ويستمعوا ويتأكدوا من آرائه التى كانت تخالف آراء كل المسئولين الأمريكيين، وأتذكر جيدا أن رد فعل الجنرال كولين باول، عندما واجهه المسئولون الأمريكيون بما سمعوه من الرئيس مبارك خلال لقائهم معه، أنه قال مازحا : «إن لم يتحقق ما يتوقعه الرئيس مبارك فإننى سأرفع قضية تعويض عليه» .. وعندما نشبت عمليات القتال برا وجوا كان أن جاءت نتائجها وفترة اشتعالها تماما كما توقع رئيسنا العظيم .. ومع ذلك فإن رئيس مصر - كما قلنا فى بداية

المقال- لم يخرج إلى الدنيا يزهو ويتفاخر بما قاله وبما تنبأ به وتحقق على أرض الواقع، بل على العكس تماما فقد لزم الصمت والتزم بالتواضع، وكان الذى خرج وتكلم هو الرئيس الأمريكى جورج بوش الأب الذى أشاد بآراء ونصائح الرئيس المصرى مؤكدا أنها كانت وراء النجاح فى تحقيق الهدف وتحرير الكويت، وأكد فى نهاية تصريحاته «أن صداقته مع الرئيس مبارك هى الصداقة الوحيدة التى سيظل يحتفظ بها حتى آخر يوم فى حياته».

والآن خرج الرئيس ليتحدث بعد كارثة نيويورك وواشنطن .. خرج باقتدار وثقة وخبرة متفردة، فهو الرئيس الوحيد الذى واجه الإرهاب وانتصر عليه، ومع ذلك - وكعادته- فإنه لم يقم الاحتفالات والمهرجانات، ولم يلق الخطب العصماء رغم أنه تنبأ منذ حوالى عشر سنوات بهذا الذى حدث فى الولايات المتحدة يوم ١١ سبتمبر الحالى، وطالما حذر الجميع من أن الإرهاب ظاهرة عالمية وليست محلية تقتصر على الشرق الأوسط وحده والعالم الثالث، وأن الدول التى تؤوى الإرهابيين وتمنحهم الحريات ستكتوى يوما بنيرانهم... وقد كان! ومع ذلك فإن رئيسنا العظيم لم يخرج ليتباهى بما تنبأ به وحذر منه، ولم يعاملهم بالمثل عندما تركونا وحدنا فى معركتنا الحاسمة ضد الإرهاب، بل إن بعض منظماتهم السقيمة - مثل منظمة «واتش» التى لا نسمع لها الآن صوتا أو رأيا- وتحت مسميات بلهاء كانت تكيل الانتقادات للإجراءات التى نتبعها فى حربنا ضد هذه الظاهرة، فى الوقت الذى امتنعت فيه الدول المتقدمة عن تسليم الإرهابيين القتلة الذين يقيمون فى مختلف العواصم الأوروبية، ويتمتعون بحرياتها إلى أن انقلبوا عليها بغدر معتاد، وقسوة مجنونة أعادت إلى ذاكرتنا ترويع حادثة الدير البحرى التى كان وراءها أيضا أسامة بن لادن .. يومها لم يطالب أحد برأسه.. واليوم شرع العالم كله فى مطاردته!

وحتى عندما تعرض رئيسنا العظيم لمحاولة الاغتيال الفاشلة فى

أديس أبابا ، فإن أحدا لم يتحرك، بل إن الرئيس مبارك نفسه تسامى عن الانتقام لا لشيء إلا لأنه كان واثقا أن الانتقام سيودى حتما بأرواح بريئة، ورغم أن نجاح ضربة الانتقام المصرية ضد قواعدالإرهاب فى الدولة الشقيقة التى تؤوى الإرهابيين وقواعدهم، كان مضمونا بنسبة أعلى بكثير من ضربة الانتقام الأمريكية المحتملة ضد «أشباح» تختفى فى كهوف منطقة جبلية وعرة، لا يوجد بها هدف حيوى واحد يمكن أن يؤدى ضربه وتدميره إلى وجع قومى أو إيلام هؤلاء الذين يعيشون على زراعة وتجارة وتعاطى «الأفيون».. وياله من مزيج مرعب عندما يختلط «الأفيون» مع «الكلاشنكوف»!

ورغم المشاكل الداخلية المتعددة التى خرجت علينا فى الآونة الأخيرة، فإن الشعور السائد الآن فى مصر كلها هو الإحساس بالزهو والفخر لأن «رجلها الأول الذى يتربع على قمة هرمها القيادى الفريد» هو من هذا الطراز النادر الذى يجذب احترام الجميع : داخل وطنه، ووسط أمته والإقليم الذى نعيش فيه، وعلى مستوى العالم كله بكل أقطابه ومحاوره ... معادلة تكاد أن تكون مستحيلة لم يحققها غير إنسان واحد شديد التواضع والاتزان .. اسمه مبارك.■

التحرك السريع

”وكما تحرك الرئيس قبل الأزمة سعيا لحل المشكلة الفلسطينية، كان أن تحرك مرة أخرى إلى أوروبا في جولة سريعة لاحتواء التهديدات المفتعلة التي استهدفت العرب والمسلمين ولإجهاض مخطط صدام الحضارات، وأيضا لتوضيح موقف مصر من مساندة الولايات المتحدة في حربها المشروعة ضد الإرهاب وقواعد الإرهاب في أفغانستان حيث كان المنشأ وحيث ينبغي أن يكون العلاج.“

نتائج حاسمة لجولة مبارك الأوروبية

ما جرى أمام أعيننا جميعا هو أن الرئيس مبارك أقلع صباح الأحد الماضى فى جولة أوروبية استغرقت ثلاثة أيام فقط، زار خلالها ثلاث دول: فرنسا وألمانيا وإيطاليا، حيث اجتمع مع رؤساء هذه الدول وكبار المسئولين فيها فى الوقت الذى انفصل فيه السيد أحمد ماهر وزير الخارجية عن الوفد الرسمى المصرى واتجه فى اليوم الثانى للجولة إلى واشنطن حاملا رسالة مهمة إلى الرئيس الأمريكى جورج بوش بعث بها الرئيس مبارك.

وكان من الواضح للجميع أن ثمة أموراً وقرارات مهمة يجرى بحثها فى العواصم الثلاثة، ومع ذلك تجنب جميع المسئولين هنا وهناك الخوض فى التصريحات الصحفية واكتفوا فى لقاءاتهم مع الصحافة ببيانات ختامية مقتضبة، مما يؤكد أن العالم كله فى طريقه إلى عمل ضخم لايريد أحد أن يتحدث عن تفاصيله أو مجرد الإشارة إليه من قريب أو من بعيد!

ومع ذلك فقد كانت هناك نتائج واضحة وملموسة وفى غاية الأهمية لجولة الرئيس مبارك الخاطفة التى لم تستغرق إلا ثلاثة أيام عاد بعدها إلى القاهرة ليواصل لقاءاته واجتماعاته مع



الرئيس مبارك خلال مباحثاته مع الرئيس الفرنسي جاك شيراك تصوير: مصطفى عطية

وفود ومبعوثين مختلفين من كل دول العالم.

ويجوز لنا أن نقول أن أهم نتائج هذه الجولة هى تبرئة الإسلام من الإرهاب، وفك هذا الارتباط البغيض بين دين سماوى عظيم «الإسلام» وبين أسوأ ظاهرة عرفتها البشرية «الإرهاب».. إنه ارتباط سعى إليه أعداء الإسلام فى مخطط شيطانى حثيث.. ولم لا ما دام هناك من المسلمين من يقوم بهذا العمل اللا إسلامى والذى يتنافى تماما مع روح وطبيعة الإسلام الذى يحض على التسامح، وعلى إطاعة أولى الأمر، وعلى عدم إزهاق الأرواح البريئة؟ لقد كان الرئيس مبارك هو أول من فطن إلى ربط الإسلام بالإرهاب، ولذلك فإنه خلال معركتنا الكبرى ضد الإرهاب كان أن وجه نظر الجميع إلى عدم استخدام عبارات «الإسلاميين»



المستشار الألمانى شرودر يرحب بالرئيس مبارك

و«الأصوليين» و«المتشددين المسلمين»، وطلب من رجال الإعلام أن يسموا الأشياء بحقيقتها، وأن هؤلاء «إرهابيون» وليسوا أكثر من ذلك. من هنا فإنه بعد أحداث واشنطن ونيويورك فإن رجل الشارع هنا وهناك كان مازال متأثرا بالقناعة القديمة التى تربط بين الإسلام والإرهاب، وبقيام الرئيس مبارك بزيارته السريعة إلى قلب أوروبا وإعلانه الوقوف ضد الإرهاب كان أن جرى على الفور تصحيح هذا المفهوم الخاطئ فمن المعروف للجميع أن مصر هي واحدة من أكبر الدول الإسلامية، والدولة التى تفخر بوجود الأزهر الشريف الذى كان حامى حمى الإسلام على مر الأزمنة والعصور، والدولة التى كانت أول - وأكثر - من عانى من بربرية الإرهاب وبشاعة تلاميذ بن لادن.. وهاهو رئيس مصر

يقف بنفسه فى قلب أوروبا يعلن موقفه الحاسم من الإرهاب وتسانده تجربة طويلة ومريرة فى هذا المجال !

هذه الحقائق كلها كانت كفيلة بتبديد الروابط بين الإسلام والإرهاب، وكان وجود الرئيس مبارك فى قلب هذه العواصم الأوروبية معلنا الحرب ضد الإرهاب.. هذا الوجود وهذا الاتجاه بدد من عقول الجميع الربط الخاطئ بين الدين الإسلامى العظيم وبين هذه الظاهرة البربرية التى خرجت أول ما خرجت من العالم الغربى، ومازالت منتشرة فى العالم كله على أيدى منظمات شاذة - من بينها منظمات أمريكية - لاتعرف شيئا واحدا، ولم تسمع يوما ،عن الإسلام.

أما النتيجة الثانية التى حققتها زيارة الرئيس مبارك فقد تمثلت فى إجهاض تلك الفكرة الشيطانية التى خرجت فى السنوات الأخيرة، وبالتحديد فى كتاب «صدام الحضارات» الذى كتبه المفكر صمويل هنتنجتون وفيه تنبأ بالصدام بين الإسلام وبين الغرب، وحاول أن يضع الإسلام فى نفس الموقع الذى كان يشغله السوفييت ،ويصور المسلمين على أنهم العدو الجديد للعالم الغربى الحر، والملاحظ أنه بعد أحداث واشنطن ونيويورك تجددت فى الأذهان هذه النظرية الشيطانية بعد أن تأكد أن الجناة جميعا من المسلمين الذين خرجوا من مدرسة بن لادن الإرهابية، وهذا بالضبط هو رد الفعل التلقائى للعامة والتكتلات البشرية التى تلتقط رؤوس الموضوعات ولا تضيع وقتا فى التعمق أو التفكير، ومن ثم بدأت تتبلور فى الأذهان قناعة أن الإسلام هو العدو الجديد.. ولذلك فإن إعلان مبارك بالوقوف ضد الإرهاب وحقيقة أنه هو نفسه كان هدفا للإرهاب والإرهابيين، بجانب وقوف الدول العربية والإسلامية إلى جانب التحالف ضد الإرهاب.. كل ذلك عمل على دحض هذه النظرية



..وخلال اللقاء مع سيلفيو بيرلسكونى رئيس وزراء إيطاليا

الشريرة التى يحلم الإرهابيون والفوضويون بأن تتحقق يوما ما حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم الفوضوية التى لا يمكن أبداً أن تتحقق فى ظل النظام والقانون!

والهدف الثالث الذى حققته الجولة يأتى كنتيجة منطقية لتحقيق الهدفين السابقين، فقد كان الموقف الصريح الذى اتخذته مصر ـ أول من حارب الإرهاب بنجاح ـ عاملا على اتساق الهدف والاتجاه مع رغبة وإرادة المجتمع الدولى فى ضرورة التخلص من هذه الآفة التى تهدد البشرية جمعاء.. وغير هذا الاتجاه، وهذا الموقف، كان يمكن أن يزج بنا فى معسكر أعداء العالم الغربى الذين يشجعون معسكر الإرهاب بشكل أو بآخر، وبالتالى يشجع فكرة «صدام الحضارات» ويشوه صورة الإسلام والمسلمين.. تسلسل منطقى وحتمى!



مبارك خلال لقائه مع الرئيس الألماني يوهانس راو



.. ومع الرئيس الإيطالي تشامى

ومع اتساق الهدف والاتجاه كان أن توجه وزير الخارجية أحمد ماهر إلى واشنطن حاملا رسالة الرئيس مبارك، وفى ذلك جاء تحقيق الهدف الرابع الذى يتمثل فى ترسيخ العلاقات المصرية الأمريكية، وهو الهدف الذى يشترك فى عدم الرغبة فى تحقيقه كل من إسرائيل، والجماعات الإرهابية التى تتستر وراء الدين، والجماعات الفوضوية التى تعادى النظام والقانون، وبقايا فلول اليسار الذى ولى واندثر، وتكتل لا بأس به من الضحايا الذين ضللتهم وسائل إعلام معينة فى حقبات معينة من التاريخ الحديث! كل هؤلاء متساوون فى الشراكة فى عرقلة التقارب المصرى الأمريكى بأى شكل من الأشكال، ويمكننا أن ندرج أحداث يوم ١١ سبتمبر فى نفس هذا المضمون الذى يهدف إلى خلق العداء والمواجهة القاتلة بين العالم الإسلامى والعالم الغربى.. مخطط شاذ؛ والأكثر منه شذوذاً هو تصور الإرهاب الجاهل أنهم بذلك ينصرون الإسلام ويعيدون له سالف أمجاده..! إن الأنباء المتاحة حتي الآن تشير إلى أن الجناة ينتمون إلى جماعة إرهابية تتستر بالإسلام، وزعيم الجماعة له علاقات مشبوهة بالمخابرات الأمريكية وغيرها شعر بعدها أنه قد خدع!! وقد نسمع فى المستقبل عن وعود لم تنفذ بالنسبة لهذا الرجل الذى يعادى الجميع، وقد تكون وعوداً شخصية متعلقة بمناصب سياسية أو قيادية أو غيرها!! المهم أنه بعدها أراد أن يهدم المعبد على رؤوس الجميع هنا وهناك! أما من يقومون بتنفيذ هذه المخططات فلا ناقة لهم ولا جمل فيما حدث بين بن لادن وأجهزة المخابرات العالمية، ولكنهم مغيبون إما بالطبيعة أو نتيجة عمليات غسيل مخ شيطانية زرعت فى عقولهم أفكاراً خاطئة بدأ العالم كله يعانى منها الآن.

وأخيرا فقد كان الهدف الخامس الذى حرص الرئيس مبارك على إعلانه بكل وضوح، هو أنه لابد من إيجاد حل عادل لمشكلة

الصراع فى الشرق الأوسط ، لأن عدم حل هذه المشكلة سيعمل على تشجيع الإرهاب الذى لن تنجو منه أية دولة من الدول.. فى ذلك كان الرئيس يردد ما قاله مرارا منذ سنوات من أن عدم حل مشكلة الصراع سيعمل على تشجيع الإرهاب وسيطرته على الأوضاع.. ومرة أخرى نقول أن أحدا لم يستمع جيدا إلى ما قاله الرئيس مبارك إلى أن حدث ما حدث وما لم نأمل حدوثه، أو نرغب فيه نحن المسلمين الحقيقيين.. أما أدعياء الإسلام ومحترفو الإرهاب فقد كان لهم رأى آخر.. لعل العالم كله أن يكون قد تنبه لهم الآن ولحقيقة الأوضاع والمشاكل فى منطقة من أهم المناطق فوق هذه الكرة الأرضية العجيبة! ■

ضبط الصورة

"تعمد البعض تزييف شكل الصورة وحاولوا رسمها بشكل آخر يختلف تماما عن صورة الموقف المصرى من هذه الظاهرة، فكان أن نشط الإعلام المصرى فى ترسيخ الصورة الحقيقية فى أذهان الجميع وطرح الأدلة التى تؤكد أن مصر كانت دائما فى حرب ضد الإرهاب منذ سنوات طويلة حذرت خلالها من كل الأحداث التى شهدها العالم بعد ذلك."

التحالف ضد الإرهاب.. من يتحالف مع من؟

نأمل أن يكون الرئيس الأمريكي بوش ووزير خارجيته، كولين باول، وكل المسئولين الأمريكيين، بل وكل فئات الشعب الأمريكي، قد أدركوا أن التحالف العالمى ضد الإرهاب الذى يسعون إليه بلهفة شديدة، لا ينقصه الآن غير انضمام حكم طالبان إليه ليكون الإرهاب ممثلا فى هذا التحالف تمثيلا كاملا!

وفي ذلك فإننى لا أمزح، إدراكا منى بأننى لا أجيد فن المزاح، ولكن باستقراء خريطة التحالف الذى سيقف ضد الإرهاب يستطيع أى عاقل أن يدرك سرعة انضمام دول تضم منظمات إرهابية وتعمل على تشجيعها إلى هذا التحالف، بل يستطيع أى فطن أن يدرك أن هذه الدول بالذات قد سارعت بالانضمام إلى التحالف قبل غيرها.

وعلى سبيل المثال، وبدون أى رغبة فى تجريح أحد، فإنه من المعروف جيدا أن المخابرات الباكستانية كانت طوال السنوات الماضية على علاقة وطيدة بمنظمة بن لادن وتنظيم القاعدة الذى توجه إليه واشنطن أصابع الاتهام، وأن المخابرات الباكستانية ساعدت كثيرا وأرسلت رجالها إلى معسكرات تدريب الإرهابيين فى أراضى أفغانستان، كذلك فإن هناك تنظيمات إرهابية داخل باكستان



الرئيس مبارك　　　　الرئيس بوش　　　　الرئيس بوتين

ذاتها، وأكثر من هذا أن هناك رجلا يدعى «تارير خان» يملك مؤسسة بنكية اسمها «حوالة» تعمل على تحويل الأموال التى يرسلها بن لادن إلى أعوانه فى مختلف أنحاء العالم، وفى ذلك يباشر الرجل ومنظمته أعماله غير المشروعة من بناء ضخم أشبه بالملاجئ العسكرية فى قلب العاصمة الباكستانية، ويكفى توافر خط تليفون دولى وجهاز فاكس ليقوم مكتب «حوالة» بإرسال الأموال التى يوفرها بن لادن إلى معاونيه هنا وهناك.

ولايخفى على أحد أن الأموال هى شريان الحياة الرئيسى بالنسبة للإرهاب العالمى، وأنه بدون توافر هذه الأموال لن يستطيع أى إرهابى أن يقوم بأى عمل، ولايخفى على أحد أن هذه الأموال يأتى جزء منها من ثروة أسامة بن لادن، أما الجزء الأكبر فيأتى من تبرعات لجمعيات تتستر وراء الأعمال الخيرية وتحمل أسماء إسلامية مثل جمعية «الرشيد ترست» الباكستانية وغيرها فى دول أخرى

إسلامية، كذلك لا يخفى على أحد أن بنوكا كثيرة ومتعددة فى جميع أنحاء العالم تساهم فى عمليات غسيل الأموال التى يستغلها ويستفيد منها الإرهابيون فى وقت تسكت فيه على ذلك الدول الكبرى ومؤسساتها البنكية - ومنها الولايات المتحدة والبنوك الأمريكية الكبرى - فى مقابل فوائد وأرباح قصيرة المدى، وعلى سبيل المثال هناك فى «جزر كيمان» - التى ربما يكون القارئ الكريم وأنا معه نسمع عنها لأول مرة - فى هذه الجزر الصغيرة ارتفعت الأرصدة البنكية خلال ثلاث سنوات فقط من ٥٠٠ مليار دولار إلى ٨٠٠ مليار دولار!! أى بمعدل مائة مليار دولار سنويا... هكذا بمنتهى البساطة، ودون أن يعترض أى مسئول فى أية دولة، ومعنى ذلك، وهذا هو الهدف من هذه الكلمات، أن هناك «نظاما ماليا إرهابيا عالميا» يعمل منذ سنوات، وأن أحدا لم يعترض عليه ولم يلفت النظر إلى نشاطه طوال هذه السنوات التى كنا خلالها نعانى - وأقصد مصر بشكل خاص - من نشاط هؤلاء الإرهابيين.. لم يتنبه أحد إلى هذا النظام ولم يقم أحد بتوجيه النظر إلى نشاطه الإرهابى إلا بعد أحداث واشنطن ونيويورك.. كلنا لم نسمع شيئا واحدا عن ذلك قبل هذا التاريخ!

وعلى سبيل المثال أيضا هناك انجلترا والتحمس الزائد عن حده للتحالف ضد الإرهاب ومهاجمته عسكريا، والجانب المحير فى ذلك هو أننا جميعا، وأولنا انجلترا، نعلم جيدا أن نشأة الإرهاب والتطرف الدينى سواء فى شبه القارة الهندية أو فى منطقة الشرق الأوسط، وبشكل خاص فى مصر على أساس أنها أكبر دولة عربية، جاء نتيجة العبقرية الشريرة للاستعمار البريطانى، وفى إطار سياسة «فرق تسد» للتفرقة بين المسلمين والمسيحيين، وبين المسلمين والهندوس، وبين المسلمين والمسلمين! والسؤال الآن: أليس من الأصلح أن تفرج بريطانيا عن وثائقها فى هذا المجال، وتعلن عن الأساليب التى اتبعتها لزرع هذا الإرهاب الذى نعانى منه

جميعا الآن؟ وإذا تركنا الماضى وتناسيناه فإن السؤال الذى يطرح نفسه الآن - أيضا - هو: ماذا فعلت بريطانيا مع قادة الإرهاب الذين يعيشون فى أحضان لندن والشعب البريطانى؟ وكيف يمكن أن تأوى بريطانيا زعماء الإرهاب، مثل أبوحمزة المصرى الذى كان يعمل فتوة «بودى جارد» فى ملاهى لندن الليلية وحوَّله الإعلام البريطانى إلى متحدث رسمى يتحدث باسم الإسلام!! تماما كما فعلت مع جيرى آدامز الذى كان يعمل نادلا فى حانة «يعنى بار مان» وتحول إلى متحدث رسمى باسم منظمة الجيش الجمهورى الأيرلندى ورئيس للجناح السياسى لهذه المنظمة التى تعانى منها بريطانيا دون غيرها! لماذا تميل لندن إلى احتضان الإرهاب والإرهابيين؟! أليس هذا سؤالا منطقيا ينبغى الإجابة عنه وتسويته قبل الانضمام إلى التحالف ضد الإرهاب؟

نفس الشىء ينطبق على جميع الدول التى تؤوى زعماء الإرهاب منذ سنوات وترفض تسليمهم رغم صدور أحكام قضائية نافذة ضد هؤلاء جميعا، وينطبق على الدول الجاهلة التى خلطت بغباء وعمدا بين الهوية الدينية والهوية السياسية للدول الأخرى، وينطبق على أسلوب تعامل إسرائيل والموساد مع كل ما هو عربى منذ عام ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا. كذلك فإن الدهاء والميكافيللية اللذين مارسهما الاستعمار البريطانى عندما زرع بذور الإرهاب هنا وهناك، هذا الدهاء وهذه الميكافيللية رأيناهما بالأمس القريب فى صورة خطط ومشروعات تقوم بتنفيذها مخابرات الدول الكبرى وعلى رأسها المخابرات المركزية الأمريكية التى تعد صاحبة براءة اختراع شخص بن لادن والتى ساعدت فى البداية أثناء الحرب بين الاتحاد السوفيتى وأفغانستان على تجنيد معاونين وأتباع لـ«بن لادن» من مختلف الدول العربية والإسلامية. وإذا أردتم دليلا حيا وواضحا على هذا الكلام فانظروا إلى الأسلحة التى يحملها الأفغان وسوف ترون جنبا إلى جنب الكلاشنكوف الروسى مع صواريخ ستـنجر المضادة للطائرات،



بن لادن ووراءه خريطة العالم.. وإلى جواره صبى يحمل الكلاشنكوف

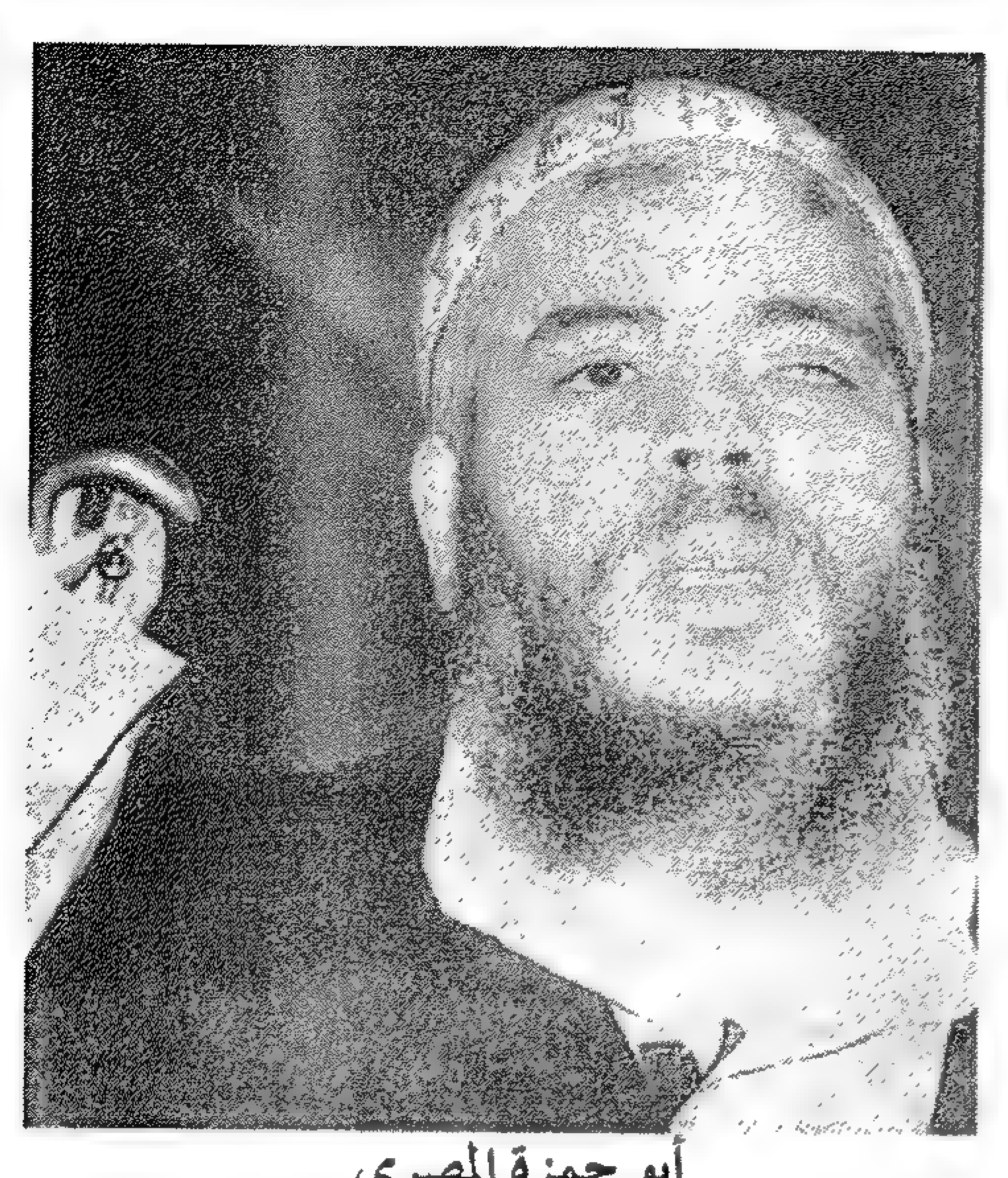
والتى تعتبر أحدث سلاح أمريكى فى هذا المجال!.

وإذا كنا نذكر ونشير إلى هذه الحقائق الآن فليس هذا من قبيل التأنيب أو التوبيخ، فعندما يسقط ضحايا أبرياء فى أى مكان فوق الكرة الأرضية لابد أن يتعاطف معهم كل من ينتمى للبشرية، ولابد أن يقلق الإنسان فى كل مكان، كما قال الشاعر البريطانى العظيم جون دن فى قصيدته الخالدة: «لمن تدق الأجراس» والتى يؤكد فيها أن الإنسان لا يمكنه الحياة فى عزلة عن مصائر الغير، وبشكل خاص مصير الموت، وأن موت أى إنسان يقتل جزءا منا ويقضى عليه تماما!.

ومن ثم فإن الإشارة إلى هذه الحقائق إنما تأتى فى إطار محاولة الوصول إلى حلول جذرية لهذه المشكلة، وأن تتم المكاشفة قبل المواجهة، وأن يعترف الجميع بأخطائهم ومساهماتهم من أى نوع، فنحن أمام مشكلة جادة وحقيقية والمصارحة هى البداية الحقيقية



جيرى أدامز



أبو حمزة المصرى

للشروع فى القضاء عليها إن لم تكن فى حد ذاتها كفيلة بالقضاء عليها تماما، وفى ذلك أتصور أن الحل الأول والأمثل هو أن تعمل جميع أجهزة المخابرات وأجهزة المعلومات على مستوى العالم كله على تقديم وإعلان ما تملكه من معلومات عن الإرهاب والإرهابيين، وبذلك يخرج الإرهاب إلى دائرة الضوء وحينئذ - حينئذ فقط - ستتبدد هذه الظاهرة الكريهة وتختفى من الوجود لأنها فى المقام الأول ظاهرة ظلامية وتآمرية تعيش وتترعرع فى الأوكار النائية، بينما العقول التى تديرها وتدبر لها قد تكون هناك فى القصور الفخمة أو فى مكاتب كبار المسئولين.

من هنا يكون الاقتراح الذى تقدمت به مصر مبارك، وذلك الذى تقدم به الرئيس الروسى فلاديمير بوتين هما أكثر الحلول واقعية، فالمسألة لاتحتاج إلى جيوش العالم كله لمحاربة حفنة من المنحرفين، ويكفى فى ذلك لواءان من القوات الخاصة أو فرقة على أحسن تقدير، فالمعركة مع الإرهاب ستعتمد فى المقام الأول على رجل الإعلام ورجل الدين، ورجال البنوك والجمارك والجوازات،

ورجال السلك الدبلوماسى، والمفكرين والكتاب والمواطن اليقظ، ورجال الأمن ومكافحة الإرهاب.. إلخ إنها مواجهة تحتاج إلى كل جهود أركان المجتمع الإنسانى والمجتمع الدولي.. هكذا ينبغى أن يتبلور دور التحالف الدولى.

وإذا كان اقتراح بوتين ينبع أساسا من أنه رجل مخابرات سابق يعرف تماما ما يجرى خلف كواليس هذه الأجهزة الجبارة فقد كان جوهر الاقتراح الذى طرحه هو «إن أهم شىء فى هذا المجال هو التجميع الشامل لكل المعلومات المخابراتية التى أمكن الحصول عليها بأى شكل وأية وسيلة».. إذا كان ذلك فإن اقتراح الرئيس مبارك ينبع أساسا من خبرة عسكرية شاملة بالإضافة إلى خبرة فريدة - لم يمارسها أى قائد أو أى زعيم آخر - فى محاربة الإرهاب على مدى عشرين عاما كاملة. بداية من خلال الحوار الفكرى، ونهاية بالمواجهة المسلحة والمحاكم القضائية المدنية والعسكرية.. عشرون عاما كاملة كنا خلالها وحدنا فى حرب ضروس مع الإرهاب، ومن السذاجة السياسية أن يناقشنا أحد الآن عن موقفنا من التحالف العالمى ضد الإرهاب.. فقد كنا - ومازلنا - أول من تحالف ضد هذه الظاهرة وأول من تصدى لها بكل السبل، وأول من نادى بالتعاون الدولى للقضاء عليها.. إنه موقف شديد الوضوح ويلفظ تلقائيا أية مزايدة.■

قميص يوسف

"كانت المناورة الأخيرة من جانب الإرهابيين هى محاولة تصوير أن عملياتهم تستهدف أساسا حل المشكلة الفلسطينية والدفاع عن الإسلام والمسلمين.. كانت المناورة الأخيرة بهدف إثارة مشاعر الشارع العربى والإسلامى ولكن الواقع كان يقول شيئاً مختلفا هو أن الإرهاب استهدف أول ما استهدف العالم الإسلامى ولم يهتم يوما بأى عدو خارجى!"

قميص يوسف

الإرهاب والعزف على أوتار المشاعر الإسلامية ومأساة الفلسطينيين!

سيظل الإرهاب قائما على مستوى العالم كله، مادام استمر هذا «المزج الشيطانى»

بين الإرهاب والأديان، مع أن الأديان كلها ضد القتل والترويع اللذين هما أساس أى عمل إرهابى، فى ذلك يستوى الإرهابيون فى العالم الإسلامى والعالمين المسيحى واليهودى. والعالم الكنفوشيوسى أو البوذى.. فكرة شيطانية ليس من قبيل الصدفة أنها نشأت وانتشرت هنا وهناك، يعزف فيها الإرهابيون على العواطف الدينية للمجتمعات والشعوب طلبا للاحتماء فى المقام الأول، وضمانا لاستمرار نشاطهم الذى يتنافى تماما مع العقل ومع المنطق ومع كل النظم والقواعد والتشريعات الإنسانية.

وسيظل الإرهاب قائما مادام هناك فى العالم أناس طيبون وقوم ساذجون من ناحية، ومن الناحية الأخرى كان هناك فوضويون ومحبطون.. يستغل الإرهاب طيبة وسذاجة هؤلاء عندما يصور لهم أن أعماله ونشاطه هى من أجل رفعة الدين والقيم السماوية، ويستغل انتهازية الفوضويين والمحبطين الذين لا يدركون أن النار التى يشعلونها ويغذونها ستعمل على التهامهم فى النهاية وتلتهم معهم الفوضوية والإحباط الذى ينخر فى كيانهم، وينعكس هذا النخر وجعاً على الجميع!

وهكذا خرج علينا المناضل أسامة بن لادن العميل السابق للمخابرات المركزية الأمريكية، يلقى علينا بيانا اختص به قناة الجزيرة القطرية!! يعزف خلاله على أوتار الإسلام ثم يتحول للعزف على أوتار القضية الفلسطينية ومأساة الفلسطينيين! ويحق لغير الساذجين وغير الفوضويين والمحبطين أن يسألوا المناضل بن لادن: هل كان تفجير العبوات الناسفة وقنابل المسامير فى قلب التجمعات السكانية بالقاهرة، عملا يخدم الإسلام والقضية الفلسطينية؟ وهل كان الإصرار على ضرب الاقتصاد المصرى والسياحة والسياح، فى دولة تضم ثلث آثار العالم كله، هل كان هذا لخدمة الإسلام والمسلمين؟ وإذا كان هناك مجنون واحد يتصور ذلك فهل تعمد القسوة التى وصلت إلى حد أدنى من سلوك الحيوانات المفترسة خلال عملية الدير البحرى التى تفتق عنها ذهن المناضل بن لادن..

هل كانت هذه البربرية تخدم من قريب أو من بعيد قضايا المسلمين أو الفلسطينيين؟ وهل كان تهريب الأسلحة والمتفجرات عن طريق درب الأربعين من السودان إلى مصر لضرب أبناء شعب الأزهر الشريف الذى حمى الإسلام على مر الأزمنة، يأتى أيضا فى هذا الإطار؟

وهل كانت محاولة الاغتيال الفاشلة فى أديس أبابا لرئيس مصر وأبرز قادة أول انتصار عسكرى عربى على إسرائيل.. هل كان ذلك يخدم الإسلام وقضية فلسطين؟ ونستطيع أن نستطرد هنا ساردين عشرات من «هل» وما يتبعها من تساؤلات منطقية، ولكننا سنختصر ونوجز ذلك كله فى «هل» واحدة لا أكثر: هل يخدم الصدام بين العالم الإسلامى والعالم الغربى أية مصالح للمسلمين أو القضايا العربية أو قضية فلسطين؟

الإجابة عن السؤال يعرفها جيدا المسلمون الحقيقيون والعقلاء هنا وهناك، ولكنها إجابة رغم وضوحها ورغم بساطتها تستعصى على عقول المتطرفين وعقول الفوضويين وعقول المحبطين الذين ضلوا معالم الطريق. وفى هذا المضمون كان ردا مفحما وعلامة بارزة على طريق النضال الفلسطينى عندما خرج السيد ياسر عبدربه وزير الثقافة والإعلام



الرئيس مبارك يجيب عن أسئلة الصحفيين عقب افتتاح «كوبرى مبارك السلام»

تصوير: مصطفى عبد الفتاح

الفلسطينى، يوم الاثنين الماضى معلنا بوضوح رفض السلطة الفلسطينية لتصريحات بن لادن التى ربط فيها بين ما يجرى فى أفغانستان وما جرى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وبين الأوضاع فى الأراضى الفلسطينية، وقال ياسر عبدربه بوضوح حاسم: «إن السلطة الفلسطينية لا تقبل ما جاء على لسان بن لادن فى الشريط المسجل الذى أذاعته أول أمس قناة الجزيرة القطرية!! من أنه فعل ما فعل من أجل فلسطين»، وأكد وزير الثقافة والإعلام الفلسطينى أن السلطة الفلسطينية ترفض أن ترتكب باسم فلسطين أخطاء جديدة ـ لاحظ جيدا كلمة جديدة ـ ذات طابع استراتيجى، مؤكدا أن فلسطين هى فقط «عنوان لمواجهة الاحتلال الإسرائيلى وليست غطاء لأية دوافع متطرفة أيا كان لونها».

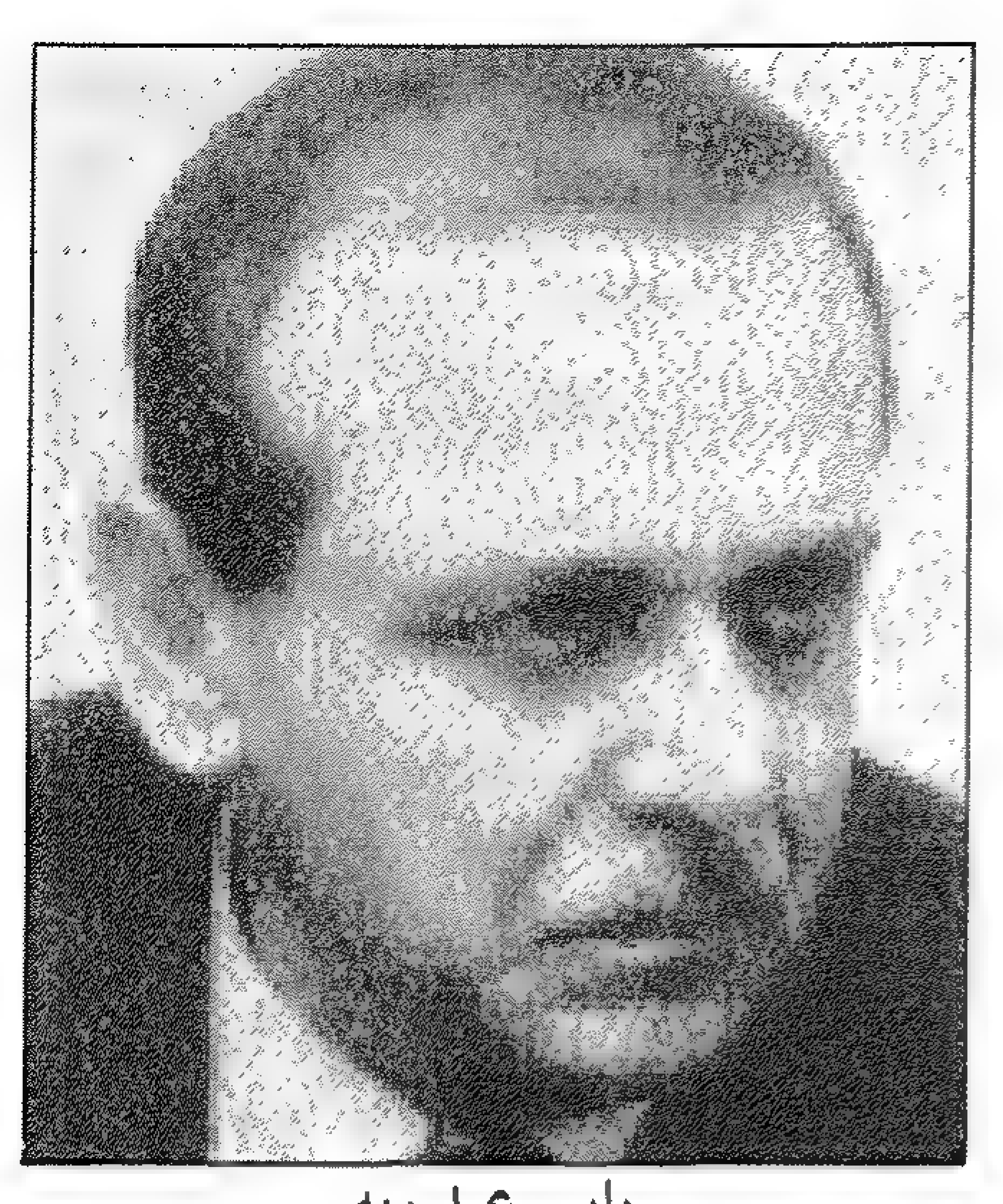
وجنبا إلى جنب مع التصريحات التى كررها الرئيس حسنى مبارك خلال الأيام الأخيرة، والتى أكد فيها: «إن مصر اكتوت بنار الإرهاب قبل الجميع»،

و«إن مصر تساند الولايات المتحدة فى حربها ضد الإرهاب»، و«إن الإسلام لا يعرف الإرهاب»، وأنه «من الضرورى العمل على إيجاد حل للقضية الفلسطينية، لأنها من أكثر الأسباب التى تؤدى إلى الإحباط وعدم الاستقرار والإرهاب».. هذه التصريحات بجانب التصريح الفلسطينى الحاسم والقوى الذى رفض الربط والخلط المتعمد بين الإرهاب الأسود وبين النضال المشروع للشعوب فى سبيل التحرر.. هذه التصريحات وحدها ـ وليس أبدا بربرية الإرهاب وتخبطات الفوضويين ـ هى التى ستعمل، بجانب وسائل النضال المشروعة، على إيجاد الحل الحتمى العادل للقضية الفلسطينية.

إن هناك أسرارا كثيرة تتوافر لدى أجهزة الأمن المصرية عن عمليات بن لادن وتنظيم القاعدة ضد مصر، وهى معلومات تراكمت على مدى السنوات الطويلة التى كانت مصر خلالها تقف وحدها تجابه الإرهاب وهذا التنظيم المشئوم وأجنحته المتعددة. وقد كان عملا إعلاميا جيدا أن قام التليفزيون المصرى بإذاعة لقطات أرشيفية عن العمليات الإرهابية فى مصر، وحتى عندما التبس الأمر على المشاهد وتصور أنها أحداث حقيقية جرت فى نفس اليوم وليس منذ سنوات طويلة، فإن الرأى العام المصرى تذكر هذه الأيام السوداء عندما حاول الإرهاب اغتيال كبار رجال الدولة، ومن بينهم الوزير صفوت الشريف الذى تركزت عليه الشائعات يوم الأربعاء الماضى، ظنا أن الإرهاب والاغتيال قد عاد إلى مصر من جديد، وعندما تصاعدت هذه الشائعات لم يجد وزير الاعلام المصرى إلا أن يعلن وقف البرنامج الذى أحدث هذه البلبلة بين المشاهدين، لأن أحد المسئولين لم يراع القواعد المعمول بها فى حالة إذاعة الأفلام الأرشيفية، خاصة إذا ما كانت تتعلق بأحداث خطرة يمكن أن تثير الفزع بين المشاهدين! وحسنا أن أذيع مثل هذا البرنامج.. وحسنا أن توقف فى الوقت المناسب!

وبشكل عام فإنه إذا كانت الدول والأمم، مثلها فى ذلك مثل الشخصيات الإنسانية، تستجلب لذاتها الاحترام والمساندة عندما تستجيب بقوة وحسم فى الدفاع عن نفسها ضد أية قوى داخلية أو خارجية تحاول المساس بأمنها وإلحاق الدمار والضرر بما أنجزته.. إذا كان ذلك فإن مصر مبارك تأتى على رأس قائمة هذه الدول، وإذا كان العالم الخارجى لا يدرك هذه الحقيقة جيدا، فإن السبب


صفوت الشريف


ياسر عبد ربه

الأول وراء ذلك هو أن معركتنا الضخمة ضد الإرهاب كانت صامتة صمت كل أعمالنا الجادة ، وهناك من الأحداث فى هذا المضمار ما يكفى لتسجيل ملحمة كاملة خاضها أبناء مصر وحدهم، وتكفى الإشارة إلى ما نشرته مجلة «المصور» فى عددها الأخير عن قيام أجهزة الأمن المصرية فى شهر مايو الماضى بضبط تنظيم خطير منبثق من تنظيم «القاعدة» الذى يرأسه بن لادن كان ينوى تنفيذ عمليات تخريبية فى مصر تستهدف الإخلال بالأمن، وكان من بين أعضاء التنظيم عنصران تلقيا تدريبهما على قيادة الطائرات المدنية فى نفس المعهد الأمريكى الذى تلقى فيه التدريبات منفذو العمليات الإرهابية فى واشنطن ونيويورك يوم ١١ سبتمبر الماضى!! وبمعنى آخر إننا فى مصر كنا مستهدفين تماما مثل البنتاجون والبيت الأبيض والمركز التجارى العالمى، والفارق بين هنا وهناك أننا استطعنا اكتشاف التنظيم وإجهاضه قبل قيامه بأعماله التخريبية التى حبذا لو كان أشار إليها المصدر الأمنى المسئول الذى أعلن هذا النبأ الخطير حتى تخرس ألسنة الفوضويين وتتبدد غفلة الطيبين والسذج الذين يبدون أى تعاطف مع هؤلاء الإرهابيين.. ظناً بأنهم «أخوة» فى الله، وفى الإسلام الذى هو منهم برىء.. ومرة أخيرة نقول سيظل الإرهاب قائما طالما استمر هذا «المزج الشيطانى» بينه وبين الأديان السماوية التى هى أغلى قيمة يمتلكها البشر!■

المفارقة الصارخة

"كنا خلال السنوات الماضية لا نسمع إلا عن سيناريوهات كاملة وغريبة عن شكل الحروب القادمة دارت بشكل أساسي حول حرب النجوم ومركبات الفضاء.. ثم كان أن صدمنا الواقع عندما جاءت تلك «الحرب القادمة» بين أقوى دولة في العالم وبين ظاهرة من أعماق الماضي والتاريخ الإنساني."

استعد الأمريكيون لـ «حرب النجوم» وأجبرتهم الأحداث على «حرب الأفغان»!

لعل الصبغة الأساسية للحرب الدائرة الآن فى أفغانستان هى المتناقضات الصارخة التى تملأ جميع فصول هذه الحرب، وفى مقدمة هذه المتناقضات وأكثرها صراخاً، هى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت طوال العقدين الماضيين مشغولة تماما بـ«حرب النجوم» وشبكة الدفاع الصاروخى ومحاربة القوى العظمى، وإذا بالتهديد يأتيها من حفنة من المطاريد، والملفوظين من مجتمعاتهم الأصلية، فيما يسمى بـ«العرب الأفغان».

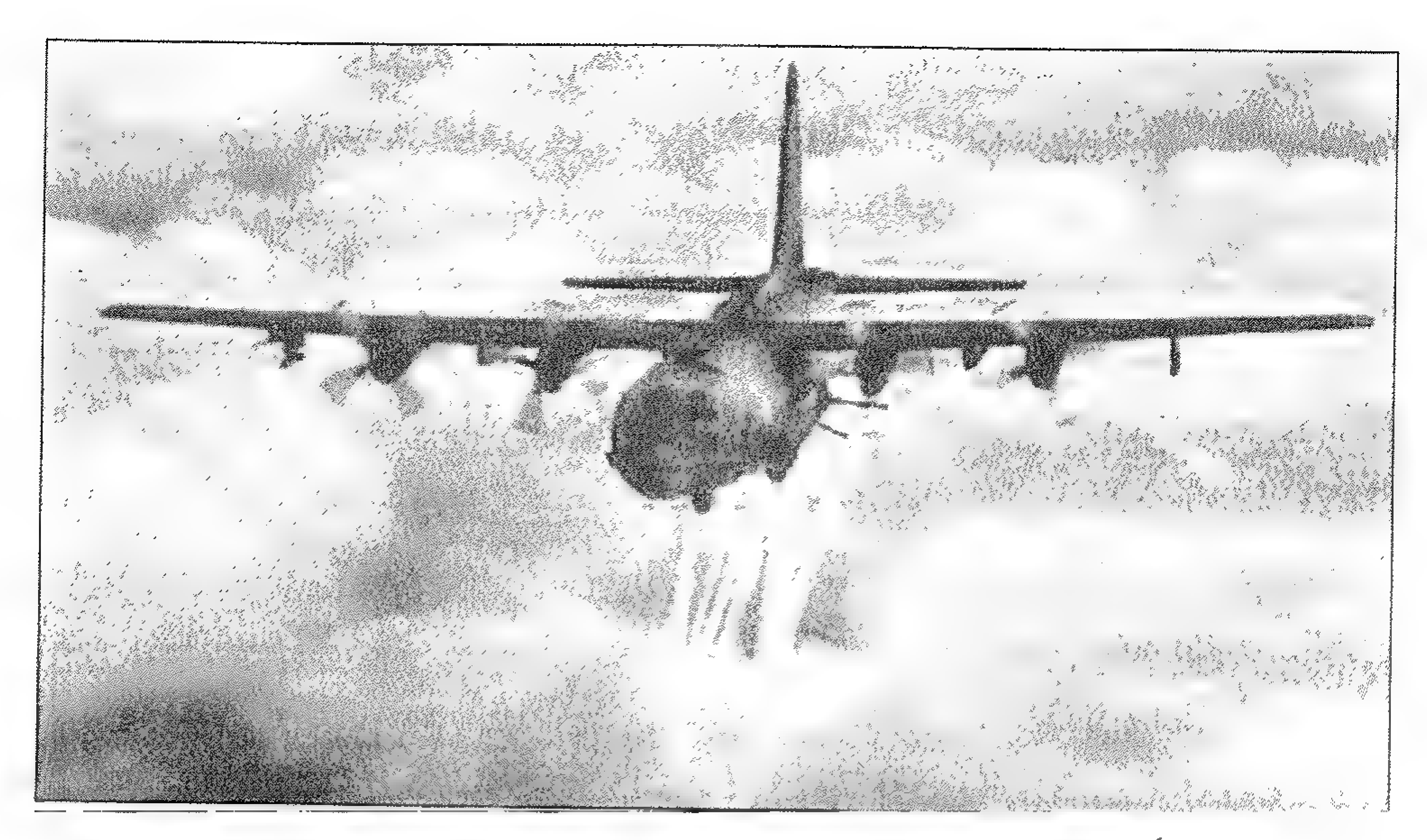
ولا أدرى كيف يمكن أن يكونوا عربا وفى الوقت ذاته أفغانا؟! ولكنه استطراد فى التناقض الذى يغلف كل الأحداث الجارية، لقد تمركز الأفغان العرب داخل دولة أفغانستان، ولكنهم فى حد ذاتهم لا يشكلون دولة، ويتسترون وراء عباءة الإسلام مع أن الإسلام لا يعرف الإرهاب، بل إنه يحرم إرهاب الآخرين ولو بالنظرة كما أشار إلى ذلك الدكتور الجليل عبدالله النجار فى مقاله بـ «روزاليوسف» فى العدد الماضى!

مجموعة هائلة من المتناقضات هى بالتأكيد وراء الفهم الخاطئ الذى يسود الآن بين قوات التحالف وبين دول العالم الإسلامى وبين

كل دول العالم، فهم خاطئ جعل رجل الشارع فى العالم الإسلامى يتصور أن الحرب موجهة إليه وإلى الإسلام، وفهم خاطئ جعل رجل الشارع فى العالم الغربى يوجه الاتهام إلى الإسلام والمسلمين ،مع أن المسلمين كانوا أول ضحايا هذا الإرهاب، ومع أن الإرهاب ينال أول ما ينال من صورة الإسلام، هذا الدين العظيم الذى تعبث به عقول شريرة واعية - ولا أقصد هنا العرب الأفغان لأنهم لا يخرجون عن كونهم أداة جاهلة فى أيدى هذه العقول المدبرة التى ساهمت فى وضع أسس هذا المخطط الشيطانى الذى زعزع الاستقرار فى كل أرجاء المعمورة!

تناقضات كثيرة يمكن أن نتناولها هنا، ولعل أبرزها أن قادة الإرهاب يحتمون إلى يومنا هذا فى قلب الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا التى تعتبر شريكا أساسيا للولايات المتحدة فى الحرب الدائرة الآن ضد الإرهاب! أى خبل هذا؟! وأى نفاق سياسى ومذهبى وأخلاقى على أعلى درجات النفاق والخداع؟!

وعلى مستوى عمليات القتال.. فإنه فى الوقت الذى تقذف فيه طائرات القتال الأمريكية المدن الأفغانية، فإنها لا تقترب من تجمعات جيش طالبان والعرب الأفغان! والسبب المعلن وراء هذا التناقض القتالى هو أن باكستان التى تعد من أكبر حلفاء واشنطن فى التحالف ضد الإرهاب لا ترغب فى ضرب قوات طالبان، لأن معنى ذلك تقدم قوات الجبهة الأخرى: قوات التحالف الشمالى فى أفغانستان التى يمكنها حينذاك احتلال العاصمة كابول، وهو ما لا توافق عليه باكستان ولا ترتضيه، فأى تحالف هذا؟! وأى تناقض ذلك الذى يواجه قادة هذه العملية القتالية؟! نوع من التحالف، وشكل من التناقض الصارخ كان من نتائجهما أن قوات طالبان ورجال «جيش العرب الأفغان» يجلسون آمنين على مسافة ٣٥ كيلومترا شمالى العاصمة، يراقبون من بعيد الهجمات الأمريكية والبريطانية على العاصمة الأفغانية والمدن الأخرى، وذلك فى نفس الوقت الذى



أحدث نظام تسليح كامل ومحمول جوا: طائرة القتال إيه سى ـ ١٣٠ يو

تضرب فيه قوات تحالف الشمال أخماسا فى أسداس، لأن عمليات الهجوم الجوى لم تقترب من صلب المشكلة، ولأن رجال طالبان لن يقضى عليهم إلا هجوم برى يتم التمهيد له بالهجمات الجوية حتى يمكن لقوات التحالف الشمالى أن تقوم بهذا الهجوم، الأمر الذى لا تريده باكستان!

إذن فإنه لا مفر فى النهاية من ضرب قوات طالبان مع الحيلولة دون قيام قوات التحالف الشمالى من استغلال هذا النجاح والتقدم إلى العاصمة كابول، حتى يمكن إرضاء الحليف الباكستانى، ولذلك ظهرت فى سماء المعركة لأول مرة طائرات القتال «إيه سى - ١٣٠ يو» التى تعد أحدث طائرة من نوعها فى العالم.

وهى عبارة عن نظام تسليح متكامل وقلعة مدفعية محمولة جوا تستطيع العمل ليلا ونهارا وفى جميع الأحوال الجوية، وهى مزودة بأجهزة رؤية وكشف إلكترونية متقدمة وأجهزة كشف بالأشعة دون الحمراء وأجهزة رؤية تليفزيونية، كما أنها مسلحة بمدفع عيار ٤٠

ملليمترا سريع الطلقات من طراز «بوفرون» ومدفع «جاتلنج» من عيار ٢٥ ملليمترا ومدفع هاون من عيار ١٠٥ ملليمترات، ومهمتها الأساسية هى تقديم الدعم للقوات التقليدية وقوات العمليات الخاصة المشتركة فى أى وقت وفى أى مكان، وقد تم تصميم نظام إطلاق النيران الخاص بها بحيث يستطيع أن يضرب من الجوانب ومن الخلف فى نفس الوقت، وذلك بجانب القدرة على إطلاق الصواريخ جو - أرض، كما أنها مدرعة بحيث تصعب إصابتها، واستخدم الجيل الأول منها فى عام ١٩٦٧ أثناء الحرب الفيتنامية، وحققت نتائج باهرة عندما استطاعت تدمير ١٠ آلاف دبابة ومركبة لقوات فيتنام الشمالية، وفى عام ١٩٨٩ كان لها دور فعال فى بنما واستطاعت أن تدمر وزارة الدفاع هناك وعددا من الألوية البرية التابعة لبنما، كما اشتركت فى حرب الخليج فى إطار عملية «عاصفة الصحراء»، وفى عام ١٩٩٣ لعبت دورا فى حرب الصومال عندما قامت بضرب منزل الرئيس الصومالى محمد فارح عيديد، ثم بعد ذلك استخدمتها قوات حلف الأطلنطى بكفاءة فى حرب البوسنة والهرسك، كما اشتركت فى ضرب الأهداف الحيوية فى سراييفو.

ويؤذن ظهور هذه الطائرة الترسانة بقرب تدخل القوات البرية للتحالف، وهى ليست قوات تقليدية ضخمة، ولكنها وحدات خاصة مما يسمونها بالصفوة والتى نطلق عليها عندنا قوات الصاعقة، بينما يسمونها هناك بـ «الرينجرز»، ومن هنا فإن الهجوم المتوقع لن يكون أبدا على غرار الهجوم الذى شنته قوات الاتحاد السوفيتى السابق والذى كان هجوما بالمواجهة وواضحا وضوح الشمس يعكس فى المقام الأول استهزاء تاما بالخصم واستهتارا تاما من جانب القوة العظمى الثانية فى العالم بتلك الدولة الصغيرة والفقيرة التى تسمى أفغانستان!

ومما يؤكد هذا الاتجاه فى التفكير، والذى يمكن أن يدمر أية قوة عسكرية فى العالم، هو أن تقديرات المكتب السياسى السوفيتى فى

ذلك الوقت كانت تشير إلى أن عملية الغزو لن تستغرق أكثر من ثلاثة أيام! ولكن كما رأينا جميعا فإن هذه الحرب استغرقت أحد عشر عاما كاملة تم خلالها إنهاك القوات السوفيتية وتآكل سمعتها وهيبتها كقوة عظمى!

هذا الفشل الكبير كان نتيجة الغرور وسوء التقدير من جانب السوفييت، ولكنه أيضا وبقدر كبير كان نتيجة التدخل الأمريكى وإمداد الأفغان بالخبرات وبكل أنواع الأسلحة بما فى ذلك صواريخ «ستينجر» المضادة للطائرات التى يحملها جندى واحد وتعمل من فوق الكتف، والتى كانت واشنطن وقتها قد رفضت تزويد حلف الأطلنطى بهذا النوع المتقدم من الصواريخ، كما رفضت صفقة ضخمة لبيع هذه الصواريخ لدولة الكويت التى كانت دائما فى حالة ذعر من القوات العراقية! صواريخ لا تحتاج أكثر من الضغط على زر صغير فتنفجر فى الجو الطائرات السوفيتية الضخمة واحدة تلو الأخرى!

والذى يهمنا هنا هو أن فشل الغزو السوفيتى لأفغانستان، للأسباب التى ذكرناها آنفا، هو الذى مهد الساحة لظهور طالبان وأسامة بن لادن والأفغان العرب الذين تصوروا بغباء وسذاجة أنهم ماداموا استطاعوا أن يهزموا القوة الثانية فى العالم فلماذا لا يهزمون القوة الأولى؟! ولماذا لا يطيحون بجميع الأنظمة العربية الحاكمة؟! ولماذا لا يدين العالم كله لسلطانهم؟!

إنه نوع من الهوس أو الجنون، سَمِّهِ ما شئت، ولكن الذى يحدث الآن هو أننا أمام حرب من نوع جديد انتهت المرحلة الأولى منها بتدمير كافة عناصر الدفاع الجوى بواسطة هجمات الصواريخ «كروز» و«توماهوك» وقاذفات القنابل الاستراتيجية الضخمة، وإن كان الأمر لا يستحق كل هذا الكم الهائل من الأسلحة الحديثة، ولكن الأمريكيين تجنبوا الوقوع فى الخطأ الاستراتيجى الذى وقع فيه السوفييت عندما استهانوا بالخصم الذى يحاربونه، ورغم علمهم بأن الأسلحة المتوافرة حاليا لدى الأفغان إما قد بليت أو أنها أصبحت غير فعالة



الصاروخ ستنجر المضاد للطائرات الذى كان رجال طالبان أول من حصلوا عليه من واشنطن!

بالمرة، ورغم تأكدهم من عدم وجود قوة عظمى تقف وراء الأفغان بالمال والخبرات والسلاح، كما وقفوا هم أنفسهم أثناء الغزو السوفيتى انتقاما من السوفييت الذين وقفوا مع هانوى أثناء الحرب الفيتنامية التى انتهت بمأساة تاريخية بالنسبة للأمريكيين!

وطبقا للقواعد الكلاسيكية للحرب، فإن ساحة القتال هناك أصبحت ممهدة للتدخل البرى المنتظر، ومع ذلك خرج وزير الدفاع الأمريكى بقوله أنه ليست هناك «طلقة فضية» (الطلقة التى تستطيع وحدها أن تقتل الساحر الشرير كما تقول الأساطير) وأنه ليس هناك عمل واحد من شأنه القضاء على هذا التهديد، وأن نجاح هذه الحملة يعتمد أساسا على خلق ضغط متواصل ومستمر يؤدى بالإرهابيين ومن يعاونهم إلى الانهيار من الداخل.. وحتى يتحقق ذلك فإننا قد ننتظر سنوات طويلة، وسواء لقى بن لادن حتفه أو تم القبض عليه هو وجميع أعوانه فإن الأهم من ذلك بكثير بالنسبة للاستقرار العالمى، هو القضاء على الرؤوس المدبرة التى زرعت هذه الفكرة الشيطانية والذين ينعمون حاليا فى القصور الفارهة وفى العواصم الأوروبية التى تتشدق بالحرية. ■

التدفق المعلوماتى

"كانت المعلومات شحيحة دائما رغم أن الحرب كانت مستعرة بين مصر والإرهابيين، وفجأة وبعد أحداث ١١ سبتمبر انهمرت المعلومات من كل القنوات وكانت معلومات مذهلة بكل المقاييس وكان لابد أن يتعجب المرء أمامها كيف أمكن حجب كل هذه البيانات والتفصيلات رغم أن الجريمة كانت قائمة وكان لابد أن تهدد الجميع!"

« انسيكلوبيديا » خاصة للإرهابيين وأسرار مذهلة بدأت فى التدفق!

فجأة تدفقت المعلومات الدقيقة، والخطيرة فى الوقت ذاته، عن الإرهاب والإرهابيين، وذلك فقط بعد أحداث ١١ سبتمبر الماضى، بعد أن تجرأ الإرهاب وهاجم واشنطن ونيويورك، أما لو كان الإرهاب الغبى قد ظل يصول ويجول إلى يوم الدين داخل دول الشرق الأوسط، ودول العالم الثالث، لو ظل كذلك لكان حظى بالتجاهل العالمى وعدم الاهتمام، ولكان له أن ينتشر ويعربد كما يشاء.

فجأة بدأت وسائل الإعلام الغربية تنهل من المعلومات الخطيرة المتوافرة لدى دول الغرب عن الإرهاب والإرهابيين، وهكذا سمعنا فى الأسبوع الماضى ولأول مرة منذ أكثر من عشرين عاما أن الإرهابيين قد وضعوا لأنفسهم «انسيكلوبيديا» - دائرة معارف - تتكون من أحد عشر مجلدا تقع فى ستة آلاف صفحة مطبوعة باللغة العربية وكتب مقدمتها - كما لو كانت عملا إنسانيا رفيعا - السيد أسامة بن لادن، وتضم تفصيلات كاملة عن وسائل إشاعة الرعب والإرهاب بين الناس، وفنون حرب العصابات الحضرية! والأدهى من ذلك - كما يقول رولاند جاكارد رئيس مكتب المرصد الدولى للإرهاب ومقره العاصمة الفرنسية باريس - إن هناك نسخة من هذه

«الانسيكلوبيديا» مطبوعة على قرص مدمج «سى. دى. روم»!

وناهينا عن أننا نسمع لأول مرة عن كيان اسمه «المرصد الدولى للإرهاب»، رغم أننا - على حد تعبير الرئيس مبارك - «اكتوينا بنار الإرهاب» لسنوات طويلة ودامية، ناهينا عن ذلك كله، والمهم أننا نسمع الآن أن هذا «الدليل» أو «المرجع» يضم تعليمات تفصيلية عن كيفية استخدام مختلف الأسلحة والمواد الناسفة من طراز «سمتكس» و«تى. إن. تى» وجداول بيانية لشرح كيفية تجهيز المظاريف بالمواد الناسفة الحديثة من النوع المعروف علميا بـ «سى -٤»، وخرائط ورسوم توضيحية تبين كيفية تجهيز شراك خداعية قاتلة سواء عن طريق استخدام أبواب الشقق، أو أجهزة الراديو، وعلب السجائر، وأجهزة التليفزيون.. أو حتى أريكة عادية تتحول بعد تجهيزها إلى شرك خداعى يقتل أول ضحية تعيسة يقودها حظها العاثر إلى هذا المكان!

كذلك يضم المرجع الإرهابى مجلدا خاصا عن الحرب البيولوجية والكيماوية، وهو مجلد «سرى للغاية» ومحدود التوزيع يقتصر على عدد محدود جدا من السادة القادة الإرهابيين!

ويعترف أحد أعضاء تنظيم القاعدة بأن بن لادن نجح أثناء حرب البوسنة فى تجنيد عدد من الفنيين الذين كانوا يعملون فى مصنع لإنتاج الأسلحة الكيماوية فى مدينة سراييفو واستغلهم للعمل لحسابه!

إذن فهى دولة جديدة كاملة التنظيم والتكوين خرجت إلى العالم خلال السنوات الأخيرة، ولم يسمع أحد عن تفصيلات ما يجرى بداخلها مادام نشاطها مقصورا على دول الشرق الأوسط، وبتركيز خاص على مصر!

وفى ذلك - أقصد مصر - يكشف لنا رولاند جاكارد عن سر جديد حول مذبحة الأقصر، فيقول أن المسئول عن هذه العملية البشعة هو

الجماعة الإسلامية التي يرأسها رفاعى أحمد طه وأن مندوبا أو ممثلا عنه - أصبح لهم مندوبون وممثلون - مقيم فى لندن اعترف بأن مناقشات حامية جرت مع قادة تنظيم القاعدة حول استخدام الأسلحة الكيماوية والأسلحة البيولوجية لأول مرة فى هذه العملية الدنيئة، وأن رفاعى طه وأعوانه عارضوا هذه الخطة بذريعة أن استخدام هذه الأسلحة التى لا يمكن السيطرة عليها سيؤدى إلى إثارة الرأى العام العالمى ضد التنظيمات المتطرفة، وأن هذا من شأنه تبديد الصورة الإعلامية التى يتخفى وراءها تنظيم القاعدة كتنظيم يدافع عن الأصولية وعن القضية العربية، ويحول الجميع إلى قتلة وسفاحين يرتكبون جرائم ضد الإنسانية! ويضيف المندوب السامى عن السفاح رفاعى أحمد طه أن هذه المناقشة انتهت إلى تكليف أعضاء من جناح فرقة الإعدام بالقيام بهذه العملية البشعة التى قتلوا خلالها عشرات من السائحين من جنسيات مختلفة لا لهدف إلا لتقويض وضرب اقتصاد مصر!

معلومات مذهلة ومخزية فى الوقت ذاته، ومع ذلك يخرج عندنا بعض الفوضويين ومثيرى الهياج للدفاع عن هؤلاء الإرهابيين وتنظيماتهم الشاذة كما لو كانوا أصحاب قضية أو ضحايا أبرياء، أو كما لو كنا طوال السنوات الماضية فى مأمن من إرهابهم، وما أدى إليه من زعزعة اقتصاد الدولة الذى كان على وشك الانطلاق من عنق الزجاجة الخانق.. هذا الاختناق الذى تريد الرؤوس المدبرة لهذه التنظيمات أن نبقى فيه إلى الأبد!

وإذا كان هؤلاء الفوضويون وأولئك الذين يتصورون أنه بإمكانهم استغلال زعزعة الاستقرار التى تتسبب فيها عمليات الإرهاب لتحقيق مكاسب سياسية من أى نوع، إذا كان أولئك وهؤلاء يتصورون ذلك، فإنها الحماقة بعينها، لأن الإرهابيين لن يتركوا رأسا واحدا على الساحة غير رؤوسهم المحشوة بالجهل والرغبة فى سفك الدماء. إن التنظيمات الإرهابية بقيادة تنظيم القاعدة بقيادة بن لادن - على حد

اعترافات إرهابى جزائرى تم إلقاء القبض عليه فى لندن عام ١٩٩٧ – ولم نسمع شيئا عن ذلك إلا الآن – وطبقا للمعلومات التى كشف عنها أعضاء خلية إسلامية متطرفة كان قد ألقى القبض عليها فى بلجيكا عام ١٩٩٨ – ولم نسمع شيئا أيضا عن هؤلاء – قد نجحوا فى الوصول إلى أسرار المواد السامة الخانقة المستخدمة عسكريا والتى تسمى Botulism وطوروها للاستخدام على شكل رذاذ للرش أو «أيروسول»، وأن «الانسيكلوبيديا» أو المرجع أو دليل الإرهاب الذى تحدثنا عنه فى بداية هذا المقال، يشرح بالتفصيل كيفية استخدام هذا «الأيروسول» السام وأسلحة الجراثيم عن طريق أنظمة التكييف المركزى للمبانى والمؤسسات المهمة.

ويعترف أحد عملاء بن لادن أثناء استجوابه بواسطة المخابرات الفرنسية، بأن التجارب على استخدام الأسلحة الكيماوية والبيولوجية قد أجريت فى معسكر «تورا بورا» فى أفغانستان، وأن التجارب لم تقتصر على الحيوانات، بل شملت أيضا الآدميين الذين تطوع بعضهم فى البداية وبعدها أصبح التطوع إجباريا بالقوة، وأن العديد من هؤلاء لاقى حتفه فى هذا المعسكر الإرهابى الذى يقع بالقرب من مدينة «جلال آباد»!

كذلك فإن الإشارات والرسائل والمكالمات التى التقطتها المخابرات الغربية لوسائل الاتصال بين تنظيم القاعدة كانت تضم جملة تتكرر كثيرا تقول: يجب أن نضرب الـ FBI وكانت المخابرات الغربية تتصور أن المعنى بذلك هو جهاز الـ «إف بى آى» الأمنى الأمريكى، ولكن طبقا لاعترافات العملاء الذين ألقى القبض عليهم فى باريس وبروكسل ولندن، فقد تبين أن FBI هى اختصار لعبارة: Food and Beverage industry أى صناعة الأغذية والمشروبات، وذلك بهدف إشاعة الذعر وإرهاب التجمعات السكانية فى أية دولة للضغط على حكوماتها وإسقاطها! إنه الجنون بعينه.

إن وسائل الإعلام العالمية تزخر الآن بمثل هذه التقارير الصحفية التى تستقى معلوماتها من الجهات الرسمية المختلفة، كما لو كانت كل قنوات المعلومات قد انفتحت فجأة لتنهمر علينا تفاصيل كنا فى أشد الحاجة إليها عندما كنا وحدنا نقف فى مواجهة الإرهاب طوال السنوات الماضية، وإن كانوا يملكون المعلومات التى ضنوا علينا بها، فنحن وحدنا الذين نملك الخبرة، كما أننا كنا وحدنا - ولوحدنا - الذين كان لديهم الجرأة والجسارة على المواجهة.. ولم نلق من جانبهم غير انتقادات جاهلة، ولننتظر مزيدا من المعلومات والتفصيلات فى الفترة القادمة، ومع ذلك فإنه انطلاقا من دورنا الحضارى ومسئوليتنا فى هذا المضمون، وبسبب ما عانيناه وتكبدناه على امتداد سنوات طويلة ومريرة، فإننا رغم كل شئ نتمنى أن ينجح التحالف الدولى ضد الإرهاب فى تجفيف المنابع التى كانت كلها - للأسف الشديد - تصب عندنا.■

الإرهاب والسلام وفلسطين

”كان السلام باستمرار هدفا لأطراف كثيرة من خارج ومن داخل المنطقة.. كلٌّ لسبب يختلف عن الآخر وإن كانت كل هذه الأسباب تصب فى النهاية لصالح أعداء العالم العربى وبالطبع فى غير صالح الاستقرار والتنمية والازدهار المنطقى الذى من المفروض أن تتمتع به واحدة من أغنى مناطق العالم.

“

أمام منتدى فومنتور

صورة واقعية لعالم أفضل
فى رسالة مبارك للمجتمع الدولى

بعد أحداث ١١ سبتمبر سادت العالم كله حالة من الكساد الاقتصادى أصبح يعانى منها الثرى والفقير على حد سواء، و تبعتها حالة من التوتر جعلت معامل وعلماء العالم الغربى المتقدم فى حيرة مما إذا فى الذكرى العاشرة لمؤتمر مدريد للسلام، وأيضا الذكرى العاشرة للمبادرة التى تقدم بها الرئيس مبارك فى خطابه أمام البرلمان الأوروبى فى ستراسبورج يوم ٢٠ نوفمبر عام ١٩٩١، فى هذه الذكرى المزدوجة وقف الرئيس المصرى أمام منتدى فومنتور ليلقى كلمة مهمة تشرح وجهة نظر مصر فى كافة المشاكل العالمية والإقليمية، وكيف يمكن استغلال كافة الأحداث المؤسفة التى تتابعت خلال الأسابيع الماضية، لنشارك جميعا فى بناء حياة أفضل للجميع تقوم أساسا على الاعتراف بالغير وتعاون الحضارات بدلا من صدامها، وتفهم دوافع المجتمعات الإنسانية بكافة تنوعاتها والاقتراب العادل من كافة المشاكل وفى مقدمتها المشكلة الفلسطينية التى تزيد من التوتر وعدم الاستقرار وتصل بالعالم كله إلى درجة اليأس والغليان.

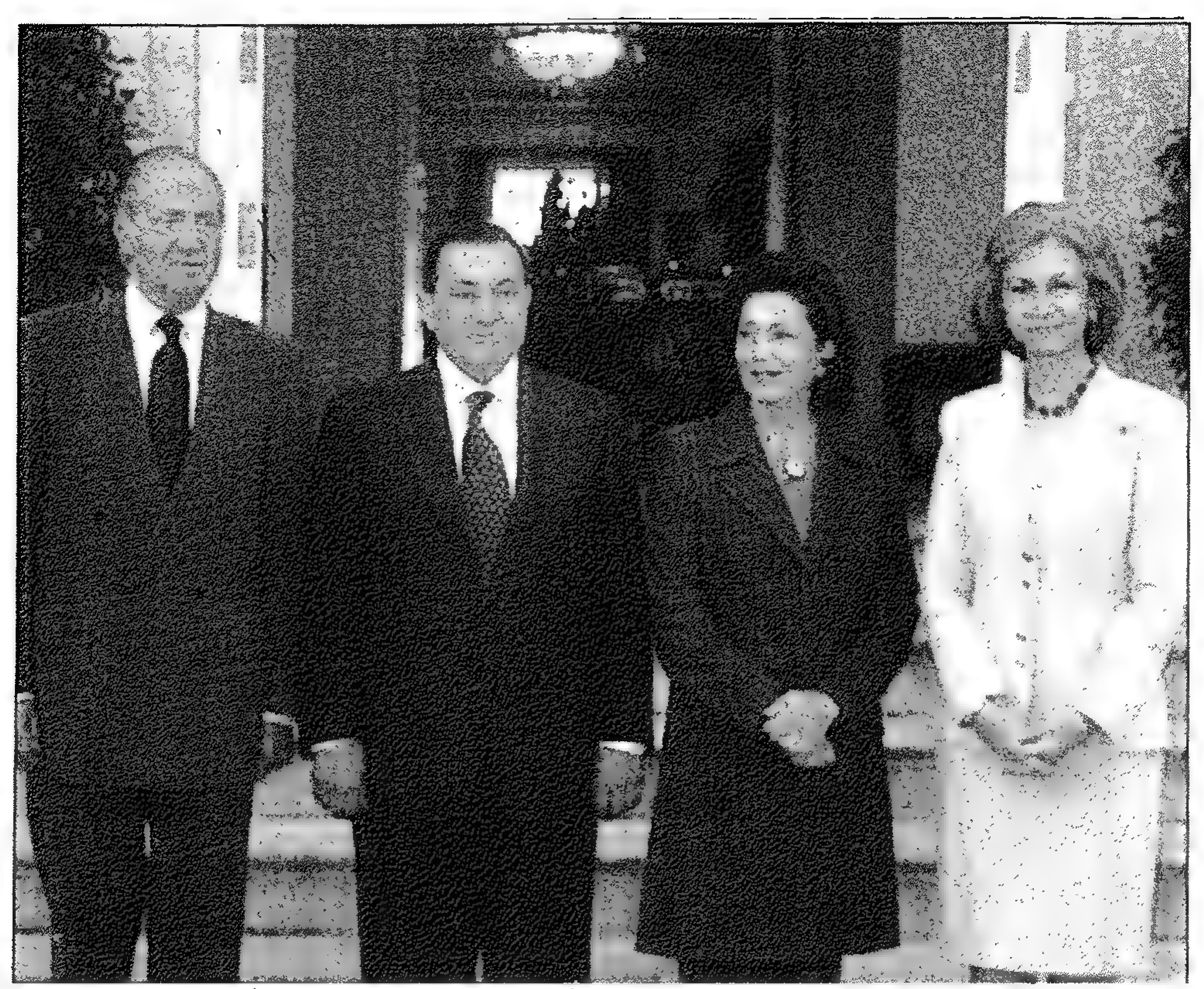
وأشار الرئيس فى كلمته الجامعة إلى وقوع عديد من التطورات العالمية والإقليمية منذ أن قرر قبول الدعوة للتحدث إلى منتدى

فومنتور، وأن أهم هذه الأحداث والتطورات هى أحداث ١١ سبتمبر فى الـولايـات المتحـدة الأمريكيـة الـتى هزت وجدانـنـا جميـعـا وخلـقت تداعيات وظروفا دولية جديدة يتعين تدارسها وأخذها فى الحسبان، بالإضافة إلى الوضع فى منطقة الشرق الأوسط الذى سيستمر فى التدهور يوما بعد يوم دون أن تبدو بارقة أمل فى قرب التوصل إلى تسوية سلمية.

وأشـار الـرئـيس إلى أن مؤتمر مدريـد أرسـى المبـادئ الـرئـيسـيـة للتسوية السلمية، وخاصة مبدأ الأرض مقابل السلام الذى شكل مع قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨ و٤٢٥ الأساس الصلب الذى انطلقت منه مـفـاوضـات السـلام، والـتـى يـنـبـغـى تـقـيـيمـهـا فـى هـذا المحفل بكل إيـجـابيـاتـها وسلبيـاتـها وبحث ما يمكن أن نقدمه معا من خلال التعاون «الأورو متوسطى» لدفع عملية السلام فى المنطقة ويعزز ذلك الاتجاه أن إسبانيا ستتولى رئاسة الاتحـاد الأوروبى فى مطلع الـعام القادم.

وقال الرئيس أن مناقشتنا هنا ينبغى أن تنطلق من رؤية واضحة لأهدافنا المشتركة فى دعم قوى الاندماج والتوحد فى مواجهة قوى الانفصال والتفرق، وإبراز التكامل والتفاهم القائم بين الحضارات فى مواجهة دعاة الصدام والصراعات بين الحضارات ودعم استخدام كافة الأديـان لـنصـرة قـوى الـتسـامـح والمحبـة فـى مـواجـهـة قـوى الشر والعدوان، ولإعلاء شأن القيم الإنسانية الرفيعة والنبيلة لكى تسود فوق المصالح القومية الضيقة، وبذا «نكون قد أرسينا دعائم النظام الدولى الجديد الذى طالما حلمنا بتحقيقه فى مطلع الألفية الثالثة».

وأكد الرئيس على محورية العلاقات بين الاتحاد الأوروبى ودول شرق وجنوب المتوسط، وذلك بعد نجاح جهود توحيد أوروبا الذى كان فى حد ذاته ضمانة مهمة لعدم ظهور التقسيمات الفكرية مرة أخرى فى شكل عوائق عرقية أو دينية، كذلك فإن تفعيل الاتفاقات الاقتصادية الواعدة وتوسيعها بضم عدد أكبر من الدول العربية فى



الرئيس مبارك والسيدة قرينته لدى استقبال ملك وملكة إسبانيا لهما فى القصر الملكى بالعاصمة مدريد

منطقة شرق وجنوب المتوسط سيقودنا تدريجيا نحو تحقيق حلمنا فى إنشاء السوق العربية المشتركة التى ستسهل بلاشك فى تعاون الدول العربية فى إطار مؤسسى أكثر تنظيما مع الاتحاد الأوروبى، وستزيد من عمق علاقاتنا الأورومتوسطية فى إطار من التكامل بين مصالح كتلتين متوازيتين بدلا من التكامل بين الاتحاد ككتلة متكاملة من ناحية، ودول شرق وجنوب المتوسط فرادى، وفى ذلك ينبغى أن نتعامل بشجاعة وإقدام مع بعض المتناقضات التى ترتبت من الجانب السلبى للعولمة والتحرر الاقتصادى، والتى تأتى فى مقدمتها

الفجوة الهائلة بين الدول المتقدمة والدول النامية سواء فى مستوى الدخل أو فى حجم التجارة والاستثمار، مما يخلق مشاعر من التهميش أو الضعف الاقتصادى وعدم القدرة على مواجهة ما تفرضه العولمة من تحديات.

وأشار الرئيس إلى أن أحداث ١١ سبتمبر عملت على زيادة أهمية التعامل مع هذه المتناقضات التى أتت لتفرض تحديات اقتصادية جديدة أظهرها بجلاء التقرير المبدئى للبنك الدولى للإنشاء والتعمير، الذى أشار إلى أن تلك الأحداث أصابت الاقتصاد العالمى فى فترة من أضعف فتراته، مما سيؤثر سلبا على الدول النامية، وبالتالى سيؤدى إلى بطء ملحوظ فى حركة الاقتصاد العالمى.

وأكد الرئيس أن تعثر عملية السلام فى الشرق الأوسط سيؤثر على المناخ العام فى منطقة المتوسط، وسيؤدى إلى تداعيات على التعاون «الأورو - متوسطى»، بل على الأوضاع فى دول الاتحاد الأوروبى ذاتها، وقال الرئيس أن هناك خمسة عوامل ساعدت على تدهور عملية السلام على المسار الفلسطينى وهى:

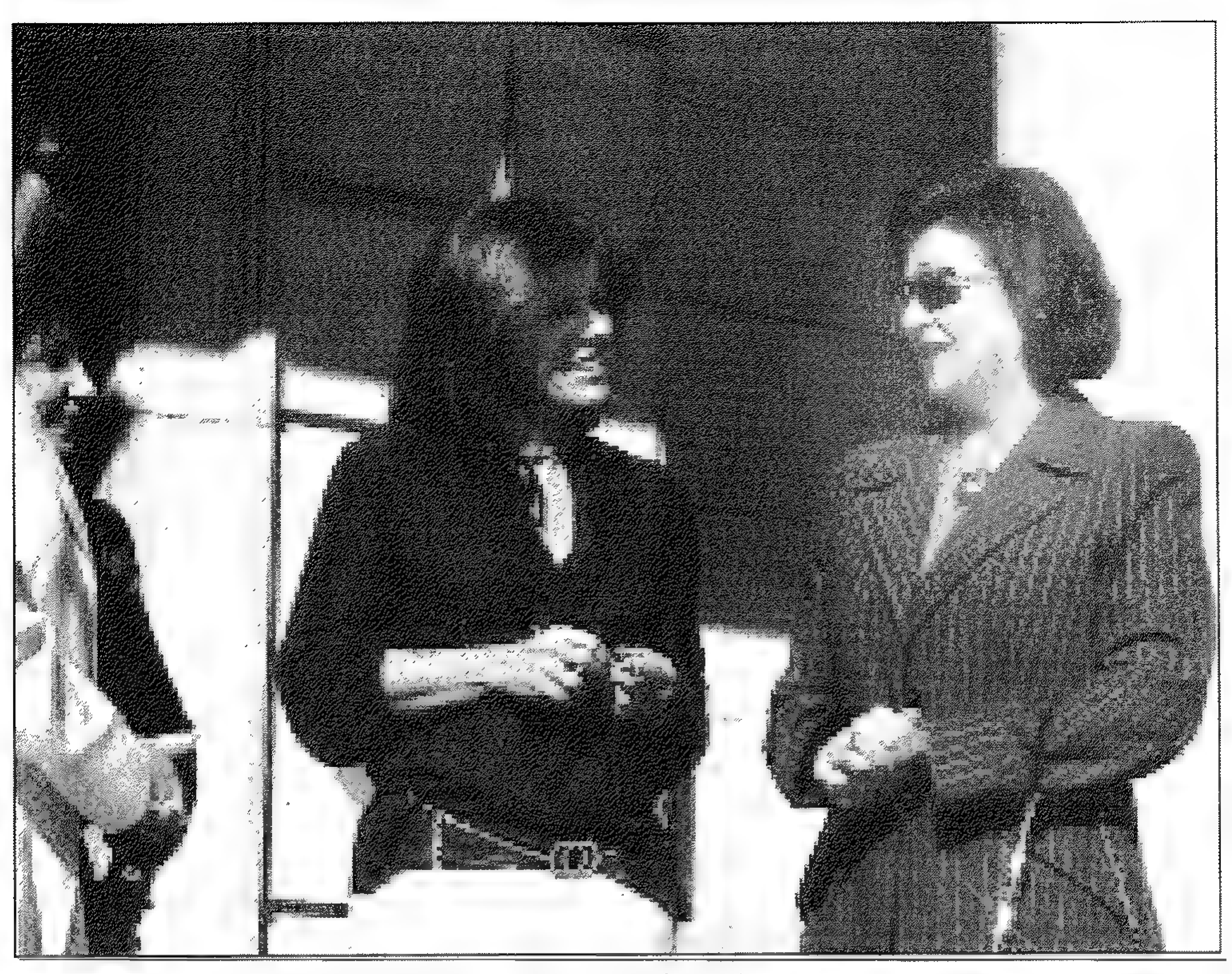
أولا: الاختلاف فى رؤية القيادات الإسرائيلية المتعاقبة للسلام باعتباره هدفا استراتيجيا يستوجب الدخول فى التزامات متبادلة، وأن اغتيال رئيس الوزراء الراحل إسحق رابين جعل من جاءوا بعده يتحسبون من تبنى مواقف معتدلة.

ثانيا: عدم إدراك حدود السلطة الفلسطينية فى التفاوض حينما يتصل الأمر بالمقدسات الإسلامية التى تتعلق بقلوب وأفئدة كل مسلم، وأولها وضع مدينة القدس القديمة وخاصة الحرم القدسى الشريف، وفى ذلك فإن الأمانة تقتضى منى القول بأن الرئيس عرفات لم يكن فى وضع يسمح له بقبول اتفاقات كامب ديفيد، فى ظل الموقف العربى والإسلامى الرافض لسيادة إسرائيل على القدس الشرقية.

ثالثا: إن اقتراحات الرئيس كلينتون فى ديسمبر الماضى وإن كانت



الرئيس مبارك ورئيس الوزراء الإسباني خوسيه أزنار



السيدة سوزان مبارك خلال إحدى جولاتها بالعاصمة مدريد

لم تسفر فى حد ذاتها عن اتفاق للتسوية، إلا أنها شكلت أساسا صلبا لمفاوضات جادة عقدت فى واشنطن واستؤنفت فى طابا، وكان يمكن أن تقود إلى تسوية لو أتيحت لها فرصة زمنية كافية.

رابعا: إن عدم نجاح الحكومة الإسرائيلية الحالية فى تحقيق الأمن يرجع لعدم وجود رؤية واضحة لديها لتحقيق السلام. من جهة، واتخاذها لمواقف متضاربة من عملية السلام من جهة أخرى.

خامسا: إن المجتمع الدولى بأسره يرى أن التنفيذ الأمين لتقرير لجنة «ميتشيل» من الجانبين دون فرض شروط تعجيزية يمكن أن يؤدى إلى حدوث انفراجة حقيقية تعمل على تحقيق الأمن للمواطن الإسرائيلى داخل دولته مقابل قيام دولة فلسطينية ذات سيادة تتمتع أيضا بالأمن والاستقرار.

وأكد الرئيس أن هذا الوضع المتردى واستمرار العنف بين الجانبين قد خلق انتقادات حادة للقرار الذى اتخذه القادة العرب باعتبار السلام خيارا استراتيجيا، وتوجه الرئيس بنداء إلى الشعب الإسرائيلى، وإلى الجاليات اليهودية فى أوروبا والولايات المتحدة أن تدعم السلام والاستقرار وأن توظف كافة قدراتها لتوجيه عملية السلام نحو وجهتها الصحيحة، وأن ثمة مسئولية خاصة فى هذا الصدد تقع على الاتحاد الأوروبى وعلى البرلمان الأوروبى.

أما فيما يتعلق بالمسارين السورى واللبنانى، فقد أكد الرئيس أن المفتاح الأساسى للتفاوض بين إسرائيل وسوريا هو العودة إلى حدود ٤ يونيو سنة ١٩٦٧ وأن سوريا لن تقبل بسلام منقوص يقوم بالتنازل عن جزء من أراضيها، كما أن لبنان لن يقبل بأقل من الانسحاب الكامل طبقا لقرار ٤٢٥.

وعلى صعيد التعاون الأمنى أكد الرئيس أن أحداث ١١ سبتمبر فرضت علينا واقعا أمنيا جديدا يتعين أن نتكاتف جميعا لمجابهته، وأنه يتحدث فى ذلك من واقع تجربة مريرة مرت بها مصر فى حربها ضد الإرهاب، وتعلمنا من خلالها أن مواجهة الإرهاب يجب أن تتسم بالحزم والقوة فى إطار من الشرعية واحترام القانون، وأنه لهذا السبب لم تتردد مصر فى الانضمام للجهود الدولية لمكافحة الإرهاب عقب الهجوم على نيويورك وواشنطن، وأنه فى هذا الإطار ينبغى الاهتمام بعقد مؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب تحت رعاية الأمم المتحدة، وبهدف إبرام اتفاقية دولية تتضمن تعريفا متكاملا للإرهاب الدولى ومنع تمويل أو مساعدة الإرهابيين أو إيوائهم، وأن تقترن جهودنا لمكافحة الإرهاب بمعالجة حاسمة لأسبابه الكامنة التى تتضمن الشعور بالظلم والقهر وعدم العدالة وازدواجية المعايير، وذلك بجانب الحاجة الملحة لتوجيه اهتمام دولى أكبر لمعالجة الوضع المتدهور فى الأراضى الفلسطينية وإمعان إسرائيل فى إذلال وإهانة الشعب الفلسطينى.

وفى ختام رسالته المهمة والجامعة أكد الرئيس أن فهمنا للعلاقة بين الحضارات ينبع من كونها من المبادئ الأساسية للدين الإسلامى الذى يعتبر الإيمان بالديانات السماوية السابقة عليه شرطا من شروط صحة الإسلام، وأن القرآن الكريم يؤكد فى نصوص عديدة أن الدين لا يمكن أبدا أن يكون أساسا للصدام وأن أساس العلاقة بين الحضارات والشعوب هو الحوار وليس الصراع كما يتضح من الآية الكريمة : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا».

وقد قوبل خطاب الرئيس بترحيب غير مسبوق، وأجمع الحاضرون على أن الخطاب يعكس تجارب مصر العميقة واتجاهاتها الحضارية ونظرتها الواعية لكل المشاكل العالمية، وأنها صاحبة الدور الريادى فى إقامة الجسور القوية بين ضفتى البحر المتوسط شمالا وجنوبا. ■

دولة اسمها مصر

لم تأت من فراغ تلك العبارة الشهيرة التى قالها نابليون بونابرت عندما أكد أن: «مصر هى أهم دولة فى العالم».. هكذا قال الرجل الذى يعتبر من خيرة العقول الاستراتيجية فى تاريخ العالم كله.. كانت له أسبابه التى لم يفصح لنا عنها.. ولكن الأحداث والتجارب تفصح عن ذلك يوما بعد يوم.

تحيـــا مصـــر

بعد أحداث ١١ سبتمبر سادت العالم كله حالة من الكساد الاقتصادى أصبح يعانى منها الثرى والفقير على حد سواء، و تبعتها حالة من التوتر جعلت معامل وعلماء العالم الغربى المتقدم فى حيرة مما إذا كانت بعض الإصابات المحدودة التى ظهرت عندهم جاءت بسبب «الإنثراكس» (الجمـرة الخبيـثـة).. أم أنـهـا بسبب أعـراض «مرض الأنفلونزا» التى تكاد أن تكون متطابقة تماما مع أعراض «الجمرة الخبيثة»، ولكن عندما يسود التوتر العصبى تصبح الأحكام غير حاسمة وغير دقيقة!

وبعد التوتر العصبى جاء التوتر العسكرى رغم الهوة السحيقة بين الخصمين المتحاربين: أغنى وأقوى دولة فى العالم تؤازرها قوى وإمكانيات العالم المتقدم بأجمعه، فى مواجهة مع أفقر دولة فى العالم لا يساندها أحد بالمرة، وتعيش القرن الحادى والعشرين بعقلية وإمكانات ماقبل العصور الوسطى!

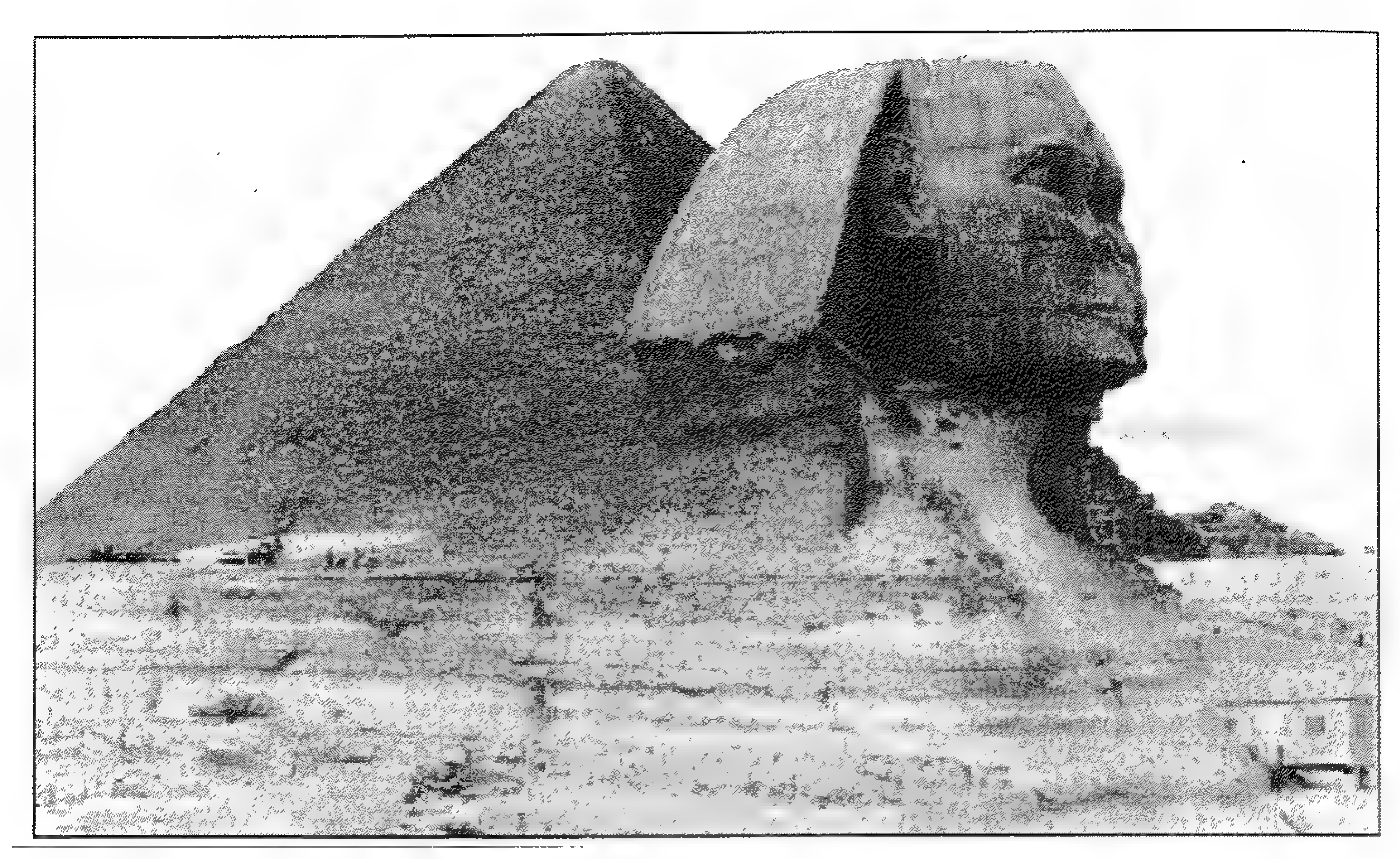
وبعد التوتر العصبى تفشت حالة من الاكتئاب العالمى، اكتئاب من نوع لم نسمع عنه من قبل واسمه «ديسثميا» Dysthymia وأظهرت نتائج دراسة أجريت حديثا أن نسبة هذا النوع الجديد من الاكتئاب

كانت أعلى فى دول الشمال المتقدم عن دول الجنوب الفقير، وبلغت أعلى درجاتها فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا رغم الثراء، ورغم التقدم العلمى ورغم القوة العسكرية الجبارة ورغم الإمكانيات الهائلة .. ورغم كل شيء!

وبعد الاكتئاب والتوتر العصبى كان أن أصبح الخيال شاطحا ومريضا فأصبحت «الحبة قبة» كما يقول المثل المصرى العامى، وأصبح بن لادن كما لو كان نابليون بونابرت أو الإسكندر الأكبر، وبعد أن أصبحت البودرة مادة «الانثراكس» السامة، استمر الخيال فى اتجاهه المريض وبدأ الكلام عن البلاتينيوم والقنابل النووية!! إننى هنا لا أختلف على أن الإرهاب أصبح قوة مخيفة، ولكن لا ينبغى أبدا أن نخرج بها عن حدودها الواقعية.. قوة مخيفة ينبغى القضاء عليها، ولكن بدون تضخيم يصل عند البعض إلى حد التمجيد!!

وبعد كل هذه الأنواع من التوتر جاء توتر العلاقات الدولية بين دول صديقة لم تتصور يوما حدوث خلافات بينها.. لأن مصالحها الحيوية هى مسألة «حياة أو موت» بالنسبة لهذا الطرف وذاك الآخر، علاقات بالغة الحيوية ومع ذلك بدأت تتفكك وتأخذ طريقها إلى الانهيار، فليس هناك ما هو أكثر حيوية من الحياة ذاتها، ولتذهب باقى المصالح إلى الجحيم!

فى هذا المناخ المتوتر والكئيب والمحبط للأمل.. فى هذا المناخ الذى تسببت فيه أحداث يوم واحد من الأعمال الإرهابية فى واشنطن ونيويورك .. تذكرت وطنى العظيم مصر التى وقفت وحدها لأكثر من عشرين عاما ،تتلقى الضربات والطعنات واحدة تلو الأخرى، ضربات وطعنات من الأعداء والأصدقاء والأشقاء والأبناء، ضربات نالت من أرواح الأبرياء.. من رئيس الدولة إلى الطفلة شيماء، ونالت من الاقتصاد القومى، ونالت من المنشآت ومن الوفاق الاجتماعى، ومن الأمن العام ومن ... ومن الكثير الذى نعرفه جميعا



أبو الهول.. وإصرار صامت على البقاء ومواجهة كل تحديات الزمن.. إنه مفهوم حضارى عميق لأجدادنا. لابد أن يكون قد ترسخ ـ بشكل ما ـ في وجدان الأحفاد

وعشناه يوما بيوم لسنوات طويلة وكئيبة، ومع ذلك لم ترتبك مصر، ولم تتوتر ولم تلجأ لقواتها المسلحة، ولم تكتئب، ولم تلق الاتهامات على الأصدقاء .. ولا حتى على الأعداء، ووقفت وحدها بعد أن مزق الإرهاب رداءها، ولكنه لم يستطع أبدا أن ينال من روحها، ولم تلق مصر أبدا درعها النفسى الذى يدفعها على طريق الحياة مهما كانت الصعاب ومهما كانت طعنات الأشقاء والأصدقاء والأبناء .. ناهينا عن الأعداء وما أكثرهم على مر تاريخنا الطويل. وقفت مصر وحدها تتلقى هذه الضربات طوال أكثر من عشرين عاما - وليس يوما واحدا- ومع ضربات الإرهاب كانت انتقادات وسفسطة واستهزاءات العالم المتقدم، هذا العالم الذى يقف الآن متوترا ومحبطا ومكتئبا!

لم تفتح مصر فمها ـ كعادتها وقت المحن التى تتلاحق عليها منذ فجر التاريخ ـ لم تصرخ، ولم تتوتر، ولم تبالغ، ولم تضخم الأمور، ولم تشطح مع الأوهام والخيال المريض، لم تفعل شيئا من هذا

واكتفت بالصبر والصمت وسواعد الرجال البسطاء المتواضعين، ولكنهم في بساطتهم وتواضعهم أعظم من الأجمعين، وفي ذلك فإنني لا أتحدث من فراغ أو من علياء، ففي عام ١٩٨٧ ووسط الأحداث الدامية للإرهاب وبالتحديد في أغسطس من ذلك العام نشرت مقالا بجريدة الأهرام - حيث كنت أعمل - عنوانه «عندما ترتد السهام في معركة التطرف الديني بمنطقة الشرق الأوسط». وقتها تحدثت بالتفصيل عن دور البريطانيين والأمريكيين والسوفييت والأشقاء العرب والمسلمين في صنع الإرهاب وتصديره إلينا. وفي نهاية هذا المقال كتبت بالحرف الواحد «أنه عندما ترتد السهام إلى من أطلقوها فإنهم لن يتحملوا ما صنعته أيديهم.. إن كل السهام التي صوبت نحونا سترتد في النهاية إلى من أطلقها .. فهل يتحمل أولئك الرماة هنا وهناك ما أطلقوه .. هذا هو السؤال الذي يجب أن يشغل أذهان العقلاء والواقعيين في جميع أنحاء العالم». وللأسف فإن أحدا لم يشغل ذهنه، ويبدو أنهم لا يتحملون شيئا واستمروا جميعا في غفلتهم حتى أفاقوا يوم ١١ سبتمبر.

عندما فكرت في كل ذلك وجدتني أقول لنفسي: «لك الله يا مصر»، ولكن سرعان ما تبعتها بعد ذلك بهتاف خرج من أعماقي فسجلته عنوانا لهذه الكلمة التلقائية: «تحيا مصر».. ويحيا الرئيس والربان الذي لم تهتز يده ولو لحظة واحدة فوق دفة القيادة.■

واشنطن تطبق خبرات مصر

”أراد الإرهاب أن يضعف من مصر ولكنها خرجت من التجربة أقوى مما كانت حتى أن أكبر دولة فى العالم: الولايات المتحدة ومعها حلفاؤها فى العالم الغربى، بدأوا جميعا يحذون حذو مصر والتجربة المصرية فى حربها ضد الإرهاب.“

مصر القوية
رغم إرادة الجميع

سبحان الله وحده الذى يسيطر على أقدار الناس وأقدار الكون المترامى الذى نسكن فى جزء ضئيل منه ونملأه صخبا وجهلا وصراعا لايتوقف أبدا، صراعات كان آخرها بالنسبة لمصر هو هذا الصراع الدامى مع الإرهاب الذى كان هدفه الأول هو احتواء مصر والنيل منها، والارتداد بها إلى عصور الظلام، كان هذا هو الهدف. أما الوسيلة فكانت الخوف الذى إذا ما سيطر على وجدان الناس فإنه يشل عقولهم، ويسلب قدراتهم، ويبدد مواهبهم وقدراتهم التى اختصهم الله تعالى بها!

ولإقرار الخوف فى النفوس كانت قنابل المسامير، ومتفجرات «تى. إن. تى» وطلقات الكلاشنكوف والسنج والجنازير.. إلخ، تستهدف جميعها رموز الدولة المصرية التى كانت هدفهم الأسمى، بما فى ذلك رموز الدين الإسلامى العظيم.. فكان من أول ضحاياهم فضيلة الشيخ «محمد حسين الذهبى» وزير الأوقاف المصرية الأسبق - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته -.. يسكنه هو ولكنه أبدا لن يسكن القتلة الذين يقتلون «نفسا بغير نفس».. يقتلونها لمجرد تخويف الآخرين وبث الذعر فى نفوس الجميع!

كان الهدف هو إضعاف مصر وتقويض مكانتها فى جميع أنشطة الحياة التى تلجأ إليها الدولة العصرية من أجل التنمية والتقدم، كان هذا هو الهدف ولكن لأن الله تعالى هو وحده الذى يسيطر على أقدار الناس والدول والأرض بما عليها، فقد انتهت هذه المحاولة البائسة إلى عكس ما استهدفته تماما، وبدلا من إضعاف مصر والنيل من مكانتها فى المنطقة، وعلى المستوى العالمى - لصالح أطراف أخرى بالطبع - فقد أدت أحداث ١١ سبتمبر إلى تعزيز مكانة مصر وجعلت منها دولة رائدة فى مجال كان يخفى عن باقى دول العالم المتقدم!

فعندما نال الإرهاب من رموز القوة لأقوى دولة فوق سطح الأرض، ارتبك العالم المتقدم بأكمله وتكتل لمساندة الولايات المتحدة الأمريكية فى محنتها غير المتوقعة والتى لم يتخيلها أى عقل إنسانى، وبعد أن تكتلوا وتوتروا وانطلقوا بقواتهم إلى أقصى أرجاء الأرض لمهاجمة نظام حكم بائس فرض نفسه بالخوف والقهر على شعب أفغانستان، عندما حدث ذلك تذكر العالم المتقدم أن هناك دولة فوق هذه الأرض اسمها «مصر» وقفت وحدها لسنوات طويلة تحارب هذه الظاهرة البربرية، ولأنها كانت دائما، ومازالت إلى يومنا هذا، منارة حضارة للعالمين فإنها طالما أطلقت تحذيراتها للعالم كله من هذه الظاهرة التى تهدد الحضارة الإنسانية بأكملها، كم من تحذير أطلقه الرئيس المصرى العظيم حسنى مبارك، وكم من دعوة للمواجهة الدولية، وكم من وسيلة للتعاون الدولى طرحها الرئيس المصرى بكل أمانة وإخلاص.. ذهبت جميعها بلا أدنى اهتمام أو استجابة، فكان لابد أن نقف وحدنا ضد جيوش الظلام الحديثة، وكان أن انتصرنا كعادتنا عندما تصل التحديات إلى حد تهديد حياتنا، وكان أن انفردنا بتجربة جديدة أضفناها إلى رصيدنا الهائل من تجارب الحياة!

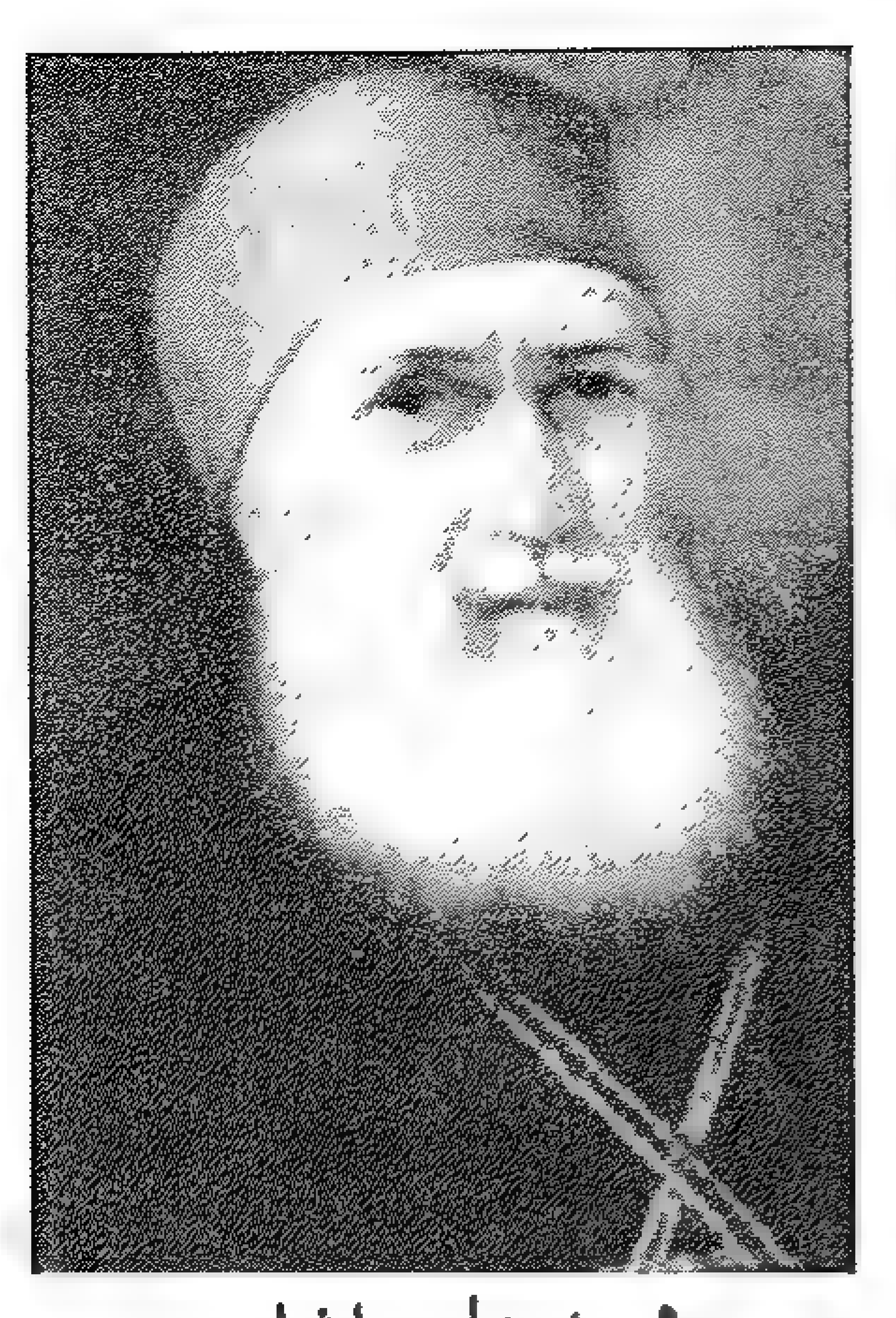
وها هم الآن وقد تكتلوا بعد أن وقعت الواقعة فراحوا ينهلون من



الرئيس مبارك



جمال عبدالناصر





محمد على باشا

التجربة المصرية ويتبعون ذات الوسائل التى لجأنا إليها فى معركتنا مع الإرهاب، والذين كانوا - ويا للسخرية التى تضيف بعدا كوميديا على واحدة من أعنف مآسى القرن العشرين - ينتقدون هذه الأساليب التى لجأنا إليها فى حربنا ضد الإرهاب، وفى مقدمتها تجفيف المنابع المالية التى تمول الإرهاب، ولو أن الأوضاع عندنا كانت أصعب بكثير لأنها لم تكن مجرد أرصدة بنكية يتم مصادرتها بل كانت تشمل شركات ومؤسسات كاملة لتوظيف الأموال، وجمعيات مختلفة ورجال أعمال متطرفين.. لم تكن المسألة سهلة بالمرة بالنسبة لنا، كذلك كان من بين الأساليب التى اتبعناها وأخذوا هم بها قانون الطوارئ وقرار تحويل المتهمين إلى المحاكمات العسكرية القادرة وحدها على الحسم العادل والردع السريع، وأصبحت واشنطن التى كانت تنطلق منها الاحتجاجات الإعلامية وبيانات جمعيات حقوق الإنسان، واشنطن هذه تلجأ الآن إلى ذات الأساليب دون أن نسمع صوت احتجاج لواحد من هؤلاء المهرجين!

وأتصور أنه لو كانت مصر تملك صواريخ كروز وتوماهوك وحاملات الطائرات القادرة على الوصول إلى أى مكان فى العالم، لو كانت تملك ذلك لما ترددت فى ضرب رأس الأفعى التى تعمل على إرسال

سمومها وفلولها إلينا بانتظام على مدى عشرين عاما كاملة، ولكن مصر لاتملك ذلك لأنها - ويااللسخرية مرة أخرى - يراد لها أن تكون محدودة القوة والقدرات خوفا من تأثيرها على التوازنات العالمية.. إذا ما هى تبوأت المكانة التى تتناسب مع ثقلها الحضارى والتاريخى!

فى ذلك كان ما يزعج «الخيال الاستراتيجى» للقوى العالمية الراهنة هو تجربة «محمد على باشا» الذى ما أن اكتملت قوته وتواءمت مع الإمكانيات والقدرات الحقيقية والواقعية لمصر، حتى انطلق جنوبا إلى أقصى منابع النيل، وشمالا يطرق أبواب القارة الأوروبية، وشرقا وغربا كلما دعت الحاجة لتحقيق الاستقرار الإقليمى - وبالتالى العالمى - الذى كان ينشده هذا الرجل العظيم!

وفى ذلك - مرة أخرى - كان الرجل قد لجأ مبكرا إلى حوار الحضارات وتعاونها عندما أرسل بعثاته إلى العالم المتقدم وبصفة خاصة فرنسا، لينهل من العلوم والتطبيقات الحديثة ليجعل من مصر كما ينبغى أن تكون دائما: دولة قوية لها صوت مسموع بين عالم الأقوياء، ولكن العالم المتقدم للأسف لم يرتض ذلك وتكاتف لضرب محمد على وأساطيله.. متجاهلا أن مصر القوية كانت أقوى ضمان لضرب الإرهاب فى مهده، عندما بدأت البدع الدينية تنطلق من أرجاء المنطقة، ومنذ ذاك التاريخ كان هناك ما يشبه «اتفاق الجينتلمان» بين الدول العظمى على ألا تكون مصر أبدا قوية بالقدر الكافى حتى لا تختل موازين القوى فى المنطقة، وزاد من تعزيز هذا الاتجاه ظهور إسرائيل فى نهاية النصف الأول من القرن العشرين، ولأنها منذ البداية كانت الوليد المدلل للقوى العظمى، فقد انحصرت المخاوف وتركزت على مصر بحيث لاتصبح أبدا، ولأى سبب من الأسباب، قوية بالقدر الكافى!

وعندما انشقت الأرض عن المعجزة الجيولوجية الممثلة فى

البترول، وصاحبها ظهور «جمال عبدالناصر» ودعوته للقومية العربية، اهتزت ممالك وعروش البترول وكانت التحالفات مع واشنطن تقوم أساسا على المخاوف الشديدة من مصر القوية، وبذلك تناغمت هذه الرغبة الملحة التى تهدف إلى حرمان مصر من القوة الكافية وسادت بين الجميع: الدول الكبرى، ومعسكر الأعداء وجزء كبير من معسكر الأشقاء!

وسط هذه الصخور وجبال الجليد التى يكفى أى واحد منها لإغراق ما هو أضخم بكثير من السفينة الجبارة «تيتانيك».. وسط هذا المناخ كانت رحلة إبحار الرئيس مبارك الذى تفادى ببراعة فائقة كل فخاخ الصدام المصطنع، فى الوقت الذى واجه فيه بقوة حاسمة كل التحديات الجادة والخطيرة التى تهدد حياتنا، والتى كان آخرها «تحدى الإرهاب»!! وإذا كان الجميع الآن من واشنطن إلى قندهار قد استوعبوا التجربة المصرية، فكل آمالنا هى أن يتعمق استيعابهم ليدركوا أن مصر القوية هى ضمان حضارى للجميع، وأن زمن الغزوات العسكرية قد ولى وانتهى، وأن الواقع والتجارب كلها تقول أن مصر قوية رغم إرادة الجميع.. فلماذا لا يتعاونون فى هذا الاتجاه القويم بدلا من محاربته ومقاومته وبما يستتبع ذلك من توترات تؤثر على استقرار الجميع.. لماذا؟■

تواضع الكبار

”التواضع هو سمة الكبار والعظماء وحدهم، أما الآخرون فنجدهم فى واد آخر يغلفه الزيف وكل أنواع المشاعر السلبية التى تجلب المشاكل للجميع.“

عن قيام الدولة الفلسطينية:

مبارك: ليس عملى بمفردى ولكنه أداء الأمة العربية بأكملها

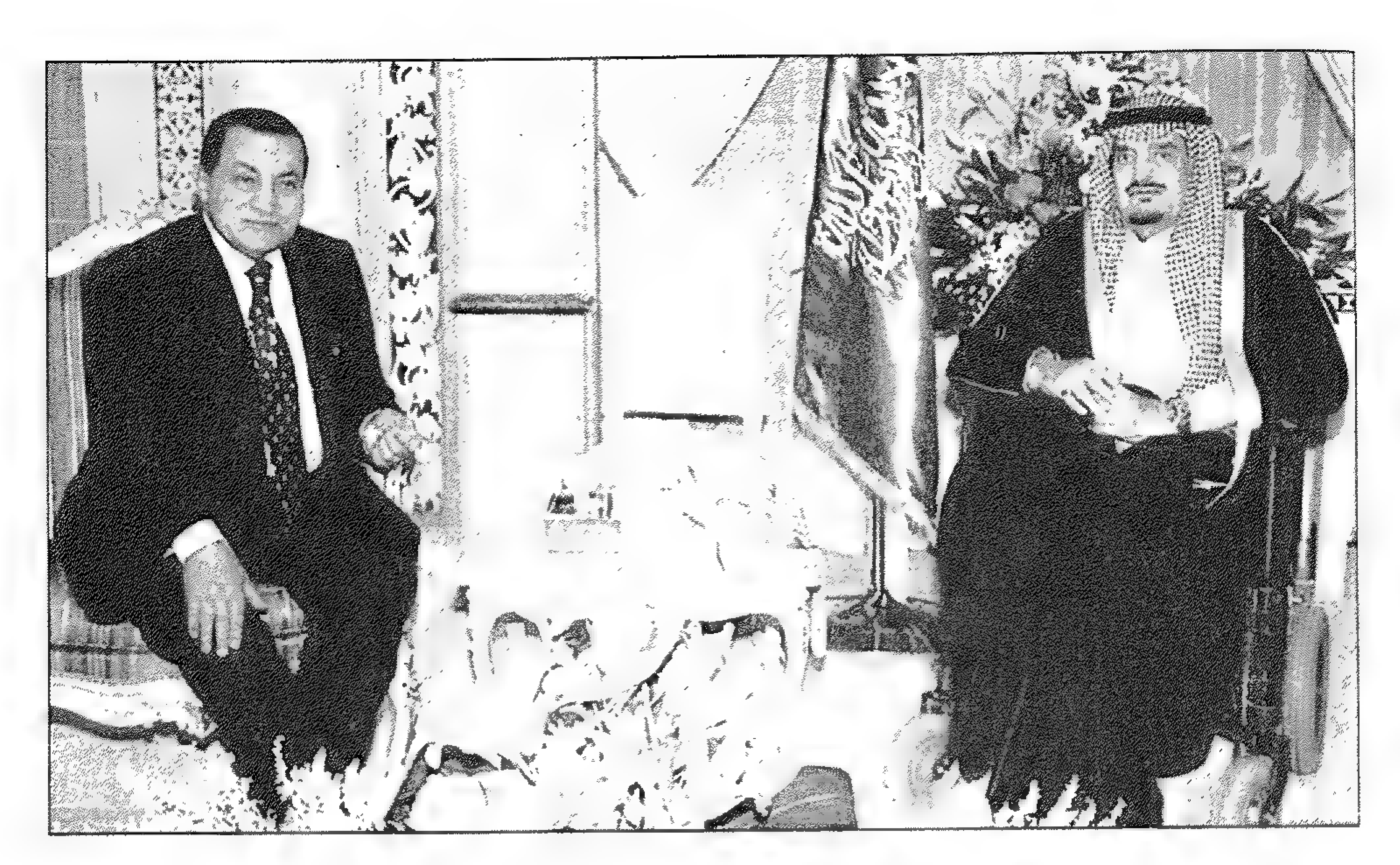
فى طائرة الرئيس لا يركز رؤساء التحرير على الوصول أو العودة بقدر ما يركزون انتباههم على مجىء الرئيس والجلوس بينهم، يتحدث بصراحته المعهودة فنلتقط منه الاتجاه الصحيح لمجريات الأحداث ومغزى كل الإجراءات والسياسات التى تتبعها الدولة، وفى ذلك فهو لا يخفى شيئا بالمرة حتى تصبح الصحافة على دراية تامة بحقيقة ما يجرى، وعلينا إخراج هذه المعلومات وإطلاع القراء عليها بالصورة الملائمة، وبما يتفق مع حرفية العمل الإعلامى المسئول!

وعندما يكون الرئيس على هذا القدر من الانفتاح والصراحة - كما نعرف جميعا عن الرئيس مبارك فيما عدا المسائل والموضوعات التى تتعلق بالأمن القومى، لأنه فى ذلك يفرض درجة عالية من السرية تصل إلى حد الصمت التام - عندما يكون الرئيس كذلك فإن ٥٠٪ من العملية الإعلامية تحقق أهدافها، أما النصف الباقى فيعتمد على أسئلتنا نحن، فإذا كانت تعبر بصدق عما يدور فى أذهان الجماهير، وليست مجرد ثرثرة فإن أهداف العملية الإعلامية تتحقق بنسبة ١٠٠٪، ويصبح الجميع على دراية تامة بحقيقة ما يجرى، وهذا هو بالضبط ما يريده الرئيس مبارك.. إيمانا منه بأنه عندما يدرك

الناس حقيقة وأبعاد الدوافع، فإنهم فى هذه الحالة فقط يكونون على استعداد تام لتقبل وتفهم أية قرارات أو إجراءات لاحقة، وبهذا الأسلوب العصرى الذى يعتبر من دعائم العملية الديمقراطية، استطعنا جميعا ومعا - حكاما ومحكومين - أن نعبر ونتجاوز العديد من الأزمات ابتداء من ارتفاع أسعار بعض السلع، وانتهاء بقرع طبول الحرب بين الحين والحين، ومرورا بالعديد من الأزمات التى قد يكون من أهمها أزمة الإرهاب الذى نجحنا معا فى تحييده محليا وبدرجة أدرك الجميع الآن مدى أهميتها وقدر صعوبتها!

شملت الزيارة مباحثات مع الملك فهد ثم اجتماع مطول مع الأمير عبدالله تلاحظ خلاله حضور عدد ضخم من الأمراء السعوديين وكبار المسئولين مما يشير إلى أهمية هذا الاجتماع، وفى هذا الإطار كان أول ما أشارت إليه زيارة مبارك السريعة للرياض هى أن مصر والسعودية تقفان معا فى الخندق ضد الإرهاب، وأهم من ذلك أنه إذا كانت بعض الدوائر فى واشنطن - وخاصة فى المجال الإعلامى - تميل الآن إلى إلقاء جزء كبير من اللوم على السعودية فيما يتعلق بظهور الإرهاب، فإن مصر - صاحبة أول تجربة فى هذا المجال - لا ترى ذلك، ولكنها ترى ما هو أبعد من ذلك بكثير والذى يصعب أن يراه من لا يعرف طبيعة الأمور فى المنطقة، وطبيعة العلاقة بين الدين الإسلامى والسياسة، وطبيعة وحقيقة هذا التيار السياسى الشاذ الذى يتخفى وراء عباءة أكثر الأديان السماوية تسامحا، ومن هنا فإن مبدأ الرئيس بوش الذى يقول: «من ليس معنا فهو ضدنا» يستعصى تماما على التطبيق فى منطقتنا بسبب الظروف السابق ذكرها، كذلك جاءت هذه الزيارة لتؤكد متانة العلاقات المصرية السعودية، وأنها علاقات تنبع أساسا من رغبة شعبية صادقة فى كلا البلدين ولا تتأثر بأهواء أو نزوات طارئة تتأرجح فى الخارج وتذكيها أطراف أخرى نعرفها جميعا!

فى هذا المضمون فإنه بات واضحا أن مصر والسعودية تدعمان



الرئيس مبارك خلال جلسة المباحثات مع خادم الحرمين الشريفين

الجهود الأمريكية لمحاربة الإرهاب، ولكنهما فى الوقت ذاته تطالبان بضرورة حل المشكلة الفلسطينية وقيام الدولة الفلسطينية التى طال انتظارها، والتى وصفها الرئيس مبارك لمن لا يفهمون طبيعة الأمور وواقع الحياة بأنها أكبر ضمان للاستقرار والسلام بما فيه سلام إسرائيل!

وعندما وصل الحوار إلى هذه النقطة كان استفسارى من الرئيس يدور حول مفهوم خاطئ بدأ يتردد الآن بين الفوضويين والعامة فى المنطقة العربية، ويقوم على أساس أن العملية السلمية بدأت تتحرك وبدأ الكلام عن الدولة الفلسطينية فقط فى أعقاب العمليات الإرهابية فى واشنطن ونيويورك، مع أن الفضل فى ربط القضية الفلسطينية بظهور الإرهاب فى العالم يعود فى المقام الأول إلى الرئيس مبارك الذى كان أول من أشار إلى ارتباط ظهور الإرهاب بالمشكلة الفلسطينية وبالتجاوزات المهينة التى تقوم بها قوات إسرائيل يوميا فى الأراضى المحتلة.

وعندما طرحت هذا التساؤل كانت إجابة الرئيس على غير ما يتوقع أى إنسان فى هذه الحياة! إننا نعرف جميعا كم التواضع الذى تضمه شخصية الرئيس مبارك، ولكن أن يصل التواضع إلى هذا الحد، فهذا ما لا يمكن أن يصدقه أحد!

إن ملفات وسائل الإعلام والصحف تؤكد جميعها أنه أول من قال ذلك، وأن العالم كله بدأ يدرك هذه الحقيقة ويقتنع بضرورة حل المشكلة الفلسطينية، ومن ثم تحدث الرئيس الأمريكى بوش ووزير خارجيته باول لأول مرة عن قيام الدولة الفلسطينية، ومع ذلك فقد جاءت إجابة الرئيس كما يلى: «لا لا مش أنا بمفردى، ولكنها الأمة العربية بأكملها هى التى تحركت فى هذا الاتجاه، إنها رغبة وإرادة كل العرب وإنجازهم جميعا وليس إنجازى أو أدائى أنا فقط» ثم أضاف الرئيس ضاحكا: أما عن القول بأن التنظيم الإرهابى «القاعدة» قد حرك القضية فمن المعروف جيدا أن هذا التنظيم وغيره لم يقدم شيئا بالنسبة للقضية التى لم تكن أبدا فى دائرة اهتمامه، وأن العكس هو الصحيح فالإرهاب عمل فى معظم الأحيان على عرقلة الحل وتعبئة المشاعر العالمية ضد العرب والمسلمين.

هكذا جاءت إجابة الرئيس العظيم المتواضع، وبالطبع لم يتناقش أو يجادل أحد منا، رغم علمنا جميعا بأنه كان أول من أشار إلى هذه الرابطة بين الإرهاب وبين المشكلة الفلسطينية والتى نقلت هذه المشكلة بقوة وإلحاح إلى الساحة السياسية الدولية على مستوى العالم كله، مادام هذا العالم بأجمعه يقف صفا واحدا لمحاربة الإرهاب، ولكن الجدير بالذكر هنا أننى أعلم علم اليقين أن الرئيس مبارك عندما أعلن ذلك لم يكن هذا الإعلان مفتعلا أو من قبيل الاستغلال السياسى للأحداث الجارية والمؤسفة التى يعانى منها العالم، ولكنه قال ذلك كعادته بكل الصدق وبناء على معلومات مؤكدة استخلصتها أجهزة الأمن المصرية خلال المعركة الطويلة والشرسة مع الإرهاب، ولا أستطيع هنا أن أخوض فى تفاصيلها، هكذا



ولى العهد السعودى خلال استقباله للرئيس المصرى لدى وصوله إلى قاعدة الرياض الجوية

كانت إجابة الرئيس المصرى بكل التواضع ونكران الذات، ولو كانت إجابات الجميع بنفس الأسلوب ونفس الروح لأصبح التضامن والوحدة العربية واقعا حيا وملموسا!

ولأن هذا التفسير لنشأة الإرهاب وجد قبولا عالميا بسبب المنطق السليم الذى يقوم عليه، فإن أطرافا خارجية بعينها بدأت على الفور تعبث بهذا التفسير، لأنه لا يأتى فى صالحها، وخرجت بمزاعم تقول أن التحرك الآن على طريق السلام إنما يعنى مكافأة الإرهاب .. منطق ملتو يريدون به استمرار الأوضاع على ما هى عليه غير عابئين بالنَيران التى تشتعل هنا وهناك، إما بفعل الإرهاب أو بسبب الحرب ضد الإرهاب!

هكذا تجرى المباراة بيننا وبينهم، وفى هذا الإطار فإن أهم المتغيرات التى طرأت على الموقف هو أن العالم بدأ يستمع لوجهة

نظرنا إن لم يكن قد بدأ يضيق ذرعا بممارسات الطرف الآخر وبذكائه الدعائى وقدرته على طرح منظوره للأمور، فى ذلك يساندنا موقفنا من السلام العادل الذى عرفنا خلال هذه الرحلة أن الرئيس مبارك كان أول من طرح صيغة الأرض مقابل السلام، وذلك فى عام ١٩٩١ خلال لقائه مع الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش الأب، ويساندنا أيضا موقفنا من الإرهاب الذى كنا أول من اكتوى بنيرانه الغادرة، ومن ثم فإنه من قبيل الخبرة والمعرفة تأتى مقولة الرئيس بأنه مازال هناك شوط طويل فى المعركة ضد الإرهاب، وأن المعركة متواصلة ولا يصح أن تتوقف قبل أن نجتث جذوره، وأن الكرة الأرضية برمتها وبدون استثناء لن تكون آمنة ما لم يتكاتف العالم كله للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة، ويساندنا كذلك علاقات دولية متميزة مع الجميع بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التى أكد الرئيس لنا أنها علاقات طيبة للغاية، وأن الإدارة الأمريكية تتفهم موقفنا تماما، وأننا معها فى مكافحة الإرهاب، وأن التعاون بيننا وبينهم قائم ومستمر ولم يتوقف، وأن الفترة المقبلة ستشهد تحركا كبيرا فى مجال التعاون التجارى والاقتصادى بين البلدين.... ويساندنا فوق ذلك كله كيان الرئيس المصرى الذى أصبح ملموسا بقوة ومسموعا باهتمام واحترام بين الجميع.■

السلاح يقول الكثير

”إذا ما أردنا أن نستقرئ تاريخ مصر فى الآونة الأخيرة، فقد يكون نوع السلاح الذى حصلت عليه فى هذه الآونة أو تلك، من أهم المؤشرات على حقيقة الأوضاع فى المنطقة وموقف الدول الكبرى من مصر، وكل ما يمكن أن يترتب على ذلك.“

صفقة الصواريخ «هاربوون» وسجل التقارب المصرى الأمريكى

يظل التقارب المصرى الأمريكى هو الكابوس المرعب الذى ينتاب العدو الخارجى، وينتاب أيضا وبشكل مختلف نموذج الفوضوى الذى يعيش بيننا، ويتصور أنه سياسى قدير ومحنك سيجد لنفسه مكانا فى قمة المجتمع، إن هو نجح فى منع هذا التقارب الحتمى والمنطقى الذى يصب فى النهاية لصالح الاستقرار والسلام العادل.. أو السبيل الوحيد للتنمية والخروج من كافة الأزمات التى يعانى منها الجميع، بما فى ذلك ظاهرة التعطش غير المشروع للسلطة بأى شكل وبأى ثمن! يظل التقارب المصرى الأمريكى محصورا فى هذا المنظور الجاهل من جانب الفوضويين المحليين، ولكنه على العكس من ذلك تماما بالنسبة للعدو الخارجى الذى يدرك تماما، وعن صواب، أن هذا التقارب سيقلب موازين القوة فى غير صالحه، ويعمل على تصحيح كافة الأوضاع المقلوبة والتى وصلت إلى الحد الصارخ من الشذوذ!

منذ فضيحة «لافون» الشهيرة فى الخمسينيات، وحتى الحرب ضد الإرهاب وطالبان فى الألفية الثالثة، ينشط هؤلاء وأولئك فى الحيلولة دون وصول هذا التقارب إلى الحدود التى ينبغى الوصول إليها، والغريب أن «عناتر» إفساد العلاقات المصرية الأمريكية لم

يخطر على بالهم يوما أنهم يقفون فى نفس الخندق مع العدو الخارجى! والأغرب أنهم يعادون عملية السلام ليس كراهية فى السلام ذاته، فليس هناك عاقل واحد يمكن أن يكره هذا الهدف الذى تسعى إليه الإنسانية منذ نشأتها، ولكن كراهية - غير مفهومة وغير مبررة - لصانع السلام الزعيم الراحل أنور السادات، وكراهية - مبررة - فى إسرائيل، ومع ذلك - وياله من تناقض صارخ - يقفون معها فى نفس الخندق باذلين قصارى جهودهم لإفساد العلاقات بين القاهرة وواشنطن! فى ذلك فإننا لو استخدمنا المفردات التى يهوى استخدامها هؤلاء الفوضويون لوصفناهم بالعمالة والخيانة وأشياء أخرى من هذا القبيل، ولكن لأننا لسنا على هذا القدر من الطيش وعدم الإحساس بالمسئولية، فإننا نكتفى بإقرار الواقع الذى لا يقبل نقاشا، وهو أنهم ينعمون بقدر هائل من الضحالة السياسية، وقدر أضخم من الانفعالات العاطفية - وربما العصبية - التى تبعدهم عن أحكام العقل وواقع الأمور، وقدر هائل من ارتباط غير سوىّ بحقبة ماضية - مثلهم فى ذلك مثل الأصوليين والمتطرفين - رغم أن هذه الحقبة ولَّت وانتهت وانتهى معها كل أركان الواقع الذى كانت تعيش فيه وتتفاعل معه!

وآخر فصول هذه المسرحية الهزلية جاء منذ أيام عندما أعلنت واشنطن عن صفقة أسلحة أمريكية جديدة لمصر تبلغ قيمتها ٤٠٠ مليون دولار وتشمل تزويد القوات البحرية المصرية بـ ٥٣ صاروخ سطح - سطح من طراز «هاربوون بلوك -٢» وأربعة زوراق داورية من طراز «إمباسادور»، مخصصة لإطلاق هذا النوع المتقدم من الصواريخ عالية الدقة، حيث إن عملية توجيه هذا النوع من الصواريخ تتم بواسطة الأقمار الصناعية، وتؤكد شركة «بوينج» المنتجة أن هذا الصاروخ يعد «أنجح صاروخ مضاد للسفن على مستوى العالم كله».

وبعيدا عن التفاصيل الفنية والتكنولوجية، فإن هذا النوع من الأسلحة يعد نقلة نوعية فى برنامج التسليح الأمريكى لمصر، ومن



جاء لقاء الرئيس مبارك مع ويليام بيرنز مساعد وزير الخارجية الأمريكية بعد ساعات من مزاعم إسرائيل عن صواريخ كوريا الشمالية التي أعلن مبارك أنها مزاعم كاذبة جملة وتفصيلا. وبعد اللقاء خرج بيرنز ليعلن ما لا ترغب فيه إسرائيل أبدا:
▪ التأكيد على الأهمية التي توليها واشنطن للشراكة مع مصر وبشكل خاص الأهمية التي يولونها لزعامة الرئيس مبارك ▪ العمل على استئناف العملية السياسية بناء على القرارات ٢٤٢ و٣٣٨ ومبدأ الأرض مقابل السلام ▪ العمل على قيام دولتين: إسرائيل وفلسطين يعيشان جنبا إلى جنب في سلام وأمن
▪ الإشادة بدور مصر في مكافحة الإرهاب ▪ التأكيد على استمرار الالتزام الأمريكي بتقوية ودعم الاقتصاد المصرى

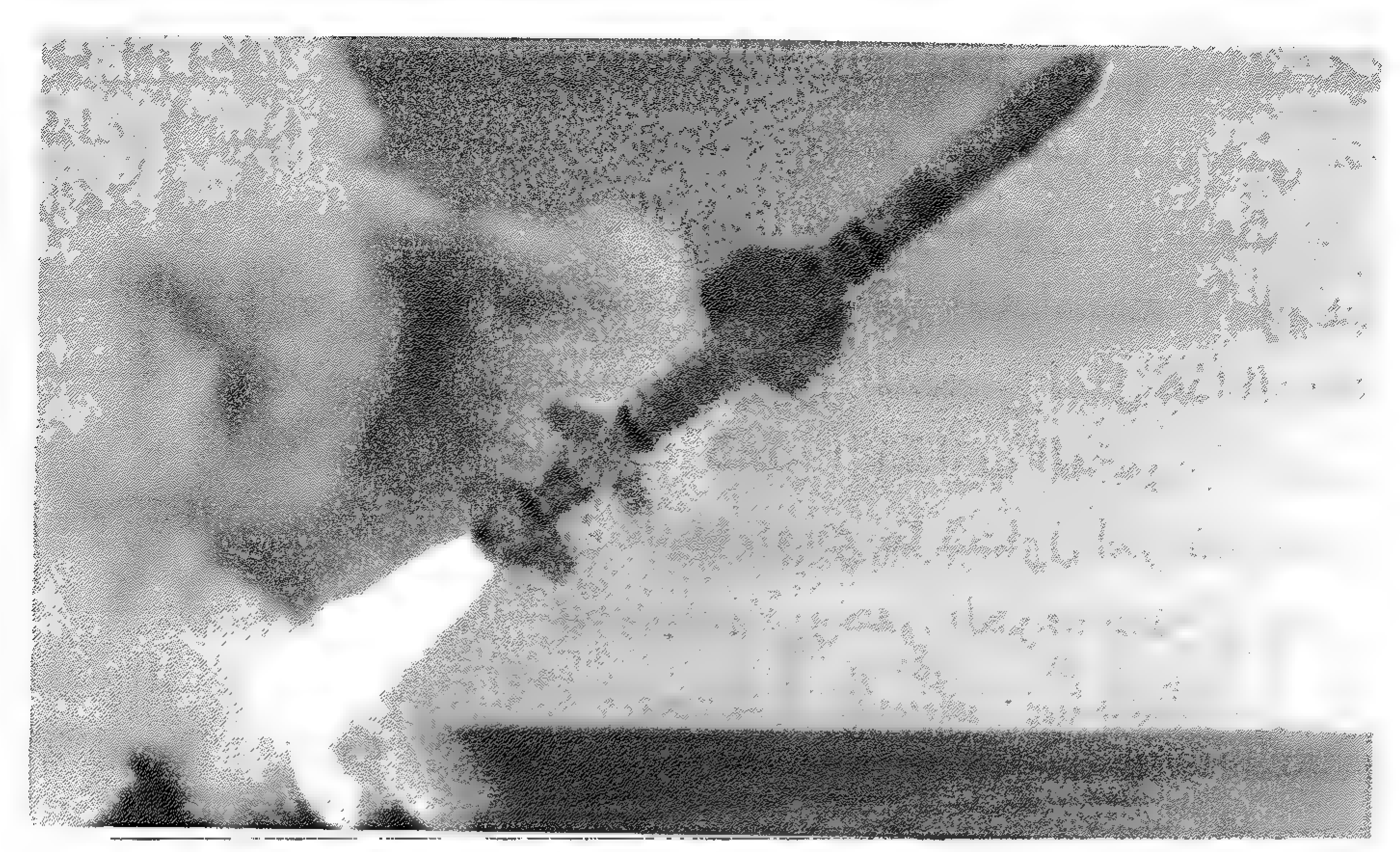
ثم فقد نشطت على الفور جماعات الضغط اليهودية داخل العاصمة واشنطن - وهو أمر طبيعى ومتوقع - وبدأ الحديث عن الإخلال بالتفوق الإسرائيلى على الجانب العربى فيما يتعلق بنوعية الأسلحة التى تحصل عليها مصر من الولايات المتحدة، ولكن على الجانب الآخر خرج مسئول أمريكى يدافع عن خطة تسليح مصر قائلا أن هذه الصواريخ من شأنها زيادة قدرة مصر على توفير الحماية لقناة السويس التى تعد شريانا تجاريا واستراتيجيا للملاحة العالمية بما فيها السفن الأمريكية، وأضاف المسئول الأمريكى مدافعا عن خطة التسليح الأمريكية لمصر قائلا: «إن مصر كانت ومازالت شريكا استراتيجيا للولايات المتحدة الأمريكية».

وأما ما لم يقله المسئول الأمريكى فهو أن مصر تستخدم هذه الأسلحة الأمريكية لحماية السلام والدفاع عنه وليس للاعتداء على الآخرين. وليس لاستخدامها فى اغتيال مواطنين عزل. وكلنا يعرف ويرى كيف تستخدم إسرائيل الأسلحة الأمريكية فى أعنف أنواع «إرهاب الدولة» ضد الشعب الفلسطينى الذى يدافع عن أراضيه. وهناك فرق شاسع بين استخدام الصواريخ هاربوون فى حماية قناة السويس وبين استخدام إسرائيل لصواريخ «هيل فاير» فى اغتيال أبو على مصطفى زعيم الجبهة الديمقراطية الشعبية ومن بعده أبو هنود قائد الجناح العسكرى لحركة حماس.

وهكذا فإن هناك فى واشنطن من يعارض، وهناك أيضا من يدافع عن تزويد مصر بالأسلحة الحديثة، وهذا أمر طبيعى ومتوقع.

أما فى إسرائيل فقد خرجوا كالعادة منذ أيام، وعلى الفور بالقصة السخيفة المكررة عن صفقة مزعومة بين مصر وكوريا الشمالية تحصل مصر بمقتضاها على الصواريخ أرض - أرض من طراز «نودنج»، وبالمثل خرج الرئيس مبارك على الفور ليفضح هذه الادعاءات وتلك المزاعم معلنا: «إنه خبر كاذب وغير صحيح جملة وتفصيلا، وقد سبق أن أعلنت مرارا أننا لا نسعى إلى تملك مثل هذا النوع من الأسلحة، لأننا لا نهدف إلى العدوان ولا نسعى إليه».

ولأن الرئيس مبارك يعى جيدا الهدف من وراء هذه القصة المستهلكة والتى وصلت إلى حد الفجاجة... لأن الرئيس مبارك يعى جيدا هدف ترويج هذه الأكذوبة، والتى أتصور أنها فى المقام الأول تريد أن تقول للأمريكيين أن مصر ليست جادة فى السلام! وأنها تسعى إلى تدمير إسرائيل فى الوقت المناسب! ومن ثم فإنه لا ينبغى مساعدة مصر عسكريا أو اقتصاديا، وأنه من الضرورى الإغداق بمزيد من الأسلحة على إسرائيل التى يريد الجميع تدميرها! وأن الأمور ينبغى أن تبقى على ما هى عليه من احتلال للأراضى العربية وقمع



الصاروخ هاربون لحظة انطلاقه من فوق زورق دورية

للفلسطينيين والبطش بكل من تسول له نفسه أن يعترض أو يحمل السلاح دفاعا عن حقوقه!

أتصور أن هذا هو الهدف من وراء ترويج هذه الرواية الموسمية، ولذلك لم يغفل الرئيس مبارك فى تصريحه أن يؤكد : «إن ترويج الأكاذيب لا يخدم عملية السلام التى نسعى من جانبنا مخلصين لتعزيزها، وقد سبق أن قلت أن الدفاع عن إسرائيل بالحق أو بالباطل لا يخدم عملية السلام، بل ليس فى مصلحة الشعب الإسرائيلى، وأن علينا جميعا أن نعى قيمة السلام ونعمل مخلصين من أجله، وذلك لمصلحة وأمن كل الشعوب».

هكذا جاء الرد على لسان رئيس الدولة الذى يعرف أكثر منا جميعا عسكريا ومعلوماتيا وسياسيا ومجالات أخرى كثيرة، يعرف بالطبع أكثر من الجميع، فى ذات الوقت الذى يحمل فيه على كاهله مصائر ومستقبل أكثر من ٦٠ مليون مواطن، ومع ذلك فلا تندهشوا إذا ما خرج علينا من هنا وهناك «عنتر» إعلامى بالميكروفون أو الكاميرا أو القلم، ليقول لنا لغوا، بلا منطق وبلا أية معارف، يبدؤه وينهيه

بسب أمريكا، غير مدرك وسط حالة الا نفعال التى تغلف كيانه بأكمله. إن هذا هو بالضبط ما تريده وما تنتظره إسرائيل حتى تشرع بسرعة فى ترجمة هذا الكلام الهابط إلى الإنجليزية وتبعث به إلى أعضاء الكونجرس ودائرة صنع القرار فى العاصمة الأمريكية، ويستطيع أى واحد منا أن يستنتج التطور المنطقى لمثل هذا الموقف، ولكن أسوأ من هذا التطور هو تعثر التقارب المصرى الأمريكى بالصورة التى ينبغى أن يكون عليها، وهو ما تحاول إسرائيل تحقيقه منذ «فضيحة لافون» فى الخمسينيات.. وحتى الحرب ضد الإرهاب فى الألفية الثالثة!■

للقوة جوانب متعددة

”تستطيع أن تكتشف المعدن الحقيقى لأى إنسان وذلك عندما يصل إلى قدر كبير من السلطة ومن القوة.. حينذاك يكشف عن حقيقة ذاته التى قد تكون مختلفة تماما عما عرف عنه طوال السنوات السابقة.. وبنفس الدرجة تكشف الدول عن معدنها وشخصيتها عندما تملك ما يكفى من قوة لردع الآخرين، فالقوة هنا ليست مثلها هناك، فهى تتمتع بأوجه مختلفة ولكنها فى كل الأحوال كاشفة عن حقيقة البشر والدول.“

واشنطن فى مفترق الطرق :

الولايات المتحدة الأمريكية والجانب الظلامى للقوة المطلقة!

بعد أن شاء القدر - ولا مرد لمشيئته - أن تكون طالبان وتنظيم القاعدة - وليس أفغانستان كما يتصور البعض خطأ - هما أول ضحايا الحرب بشكلها الحديث الذي يجهله العالم كله، والذى قضت من أجله الشركات والمصانع والمعامل والمعاهد الأمريكية سنوات طويلة قامت خلالها بإعداد أجيال جديدة تماما من مختلف الأسلحة التى جاء استخدامها للمرة الأولى - وللمفارقة الكبيرة - ضد جماعة وتنظيم قد يكونان أقرب للعصور الوسطى منها إلى القرن الحادى والعشرين.. أجيال جديدة من الأسلحة تجعل من حرب الخليج وعملية «عاصفة الصحراء» التى دارت منذ سنوات قليلة، مجرد حرب عادية إن لم تكن بدائية.. مر عليها الزمن وعفى!

فى هذه الحرب الحديثة لم ير مقاتل من طالبان جنديا أمريكيا واحدا، ومع ذلك كانت القنابل والدانات تضرب فيهم وتصيبهم بدقة متناهية، كما لو كان أحد يضعها بيديه حيث ينبغى أن تنفجر وتصيب! إنه الشكل الجديد من الحرب: خصم موجود وملموس يتلقى ضربات قاتلة من حيث لا يعلم، وخصم آخر خفى لا تراه لأن حواسه كلها تعتمد علي الإلكترونيات التى ترى، وتسمع، وتشم، وتلمس من علي بعد آلاف الكيلومترات، على عكس

عيون وآذان وأنوف البشر التى تتعامل مع أغراض قريبة لا يتجاوز بعدها أمتارا محدودة، أما عن الحاسة الخامسة، وهى حاسة التذوق، فإن هذه الأسلحة الإلكترونية الجديدة لا تتذوق ولكنها تذيق الخصم كل أنواع الدمار!

يجرى هذا أمام أعيننا فوق ساحة القتال في أفغانستان، وإن كانت وسائل الإعلام العالمية لم تنقل إلينا تفاصيل هذه الحرب الجديدة فمرجع ذلك لسببين: الأول هو أن رجال الإعلام هناك بدورهم لا يعرفون بعد ولا يرون شيئا من هذه الأجيال الجديدة من الأسلحة، والثاني: هو أن الولايات المتحدة التى تنفرد بهذه الأسلحة الآن تحرص حرصا شديدا على عدم الكشف عنها، أما عن الدور المحفوف بالأخطار الذي ينبغي خلاله ظهور جنود المشاة لاحتلال الأرض، بعد أن مهدت لذلك وسائل الهجوم الجوى الصديقة، فإن هذا الدور كان ـ كما رأينا حتى الآن ـ من نصيب مقاتلى تحالف الشمال وحدهم!! والسؤال المنطقى الذي لابد أن يطرح نفسه هنا هو: وماذا يفعل جنود المارينز الأمريكيون الذين بدأوا يتدفقون داخل أفغانستان؟ والإجابة المنطقية على هذا السؤال قد تكون: لقد جاءوا لقطف ثمار العملية بأكملها: القبض على، أو قتل، زعيم تنظيم القاعدة وأعوانه الذين جرأوا على تخطيط الهجوم على واشنطن ونيويورك يوم ١١ سبتمبر الماضى!!

لم يكن الكلام أعلاه من قبيل الترويج الدعائى أو التهويل بقدر ما هو محاولة جادة وموضوعية لإلقاء الضوء على حقيقة ما يجرى، وبقدر ما هو تمهيد ضرورى للفكرة الأساسية التى نريد أن نطرحها والتى يضمها عنوان هذا المقال.. أن القوة الأمريكية المطلقة هى حقيقة واقعة وملموسة لا يمكن أن ينكرها إلا الموتورون والفوضويون الذين يؤدى انفعالهم إلى حجب رؤيتهم وتبصرهم لواقع الأمور، ولكن المشكلة هنا هى أن هذه القوة قد وصلت إلى مفترق طريق حاسم في تاريخ البشرية، وبشكل خاص بالنسبة للعالم العربي الذي ننتمى إليه، وذلك لأن هذه القوة تقف الآن أمام اختيارين أساسيين: إما أن تصبح قوة استبدادية مهيمنة ومسيطرة، أو أن تصبح قوة استقرار للعالم كله كما ينبغي أن تكون وكما يتمنى الجميع!

وليس من قبيل المغالاة بالمشاعر الوطنية القول بأن مصر ـ اعتمادا على التوصيف الأمريكى بأنها الدولة المحورية فى الشرق الأوسط ـ هى ركيزة

الاستقرار فى هذا الجزء المهم من الكرة الأرضية، وبالتالى فهى ركن هام من أركان الاستقرار العالمى.

إن القوة المطلقة على أى مستوى لها جوانب إيجابية، ولكن فى نفس الوقت تحمل فى طياتها جوانب ظلامية مخيفة ومدمرة! ينطبق هذا على الأفراد بنفس القدر الذى ينطبق فيه على الحكام وعلى الشعوب والدول، وتقف الولايات المتحدة الآن في هذا الموقف الدقيق، ونرى جميعا أنه فى الوقت الذى تنطلق فيه من واشنطن وكافة المدن الأمريكية أصوات تدعو لوقف الحرب وعدم استمرارها، فإننا نسمع أصواتا أخرى، وقد انتشت بالانتصارات السهلة التى لم تكلف الأمريكيين خسائر تذكر في الأرواح أو المعدات، تطالب باستمرار العقاب والانتقام ليشمل دولا أخرى هى بالدرجة الأولى إما عربية أو إسلامية! وهذا هو مكمن الخطر.

فى هذا المضمون رأينا وزير الخارجية الأمريكى كولين باول في الأسبوع الماضى يصافح بحرارة نظيره الإيرانى داخل مقر الأمم المتحدة في أول لقاء بين مسئولين من البلدين منذ احتجاز الرهائن الأمريكيين داخل السفارة الأمريكية بطهران فى عام ١٩٧٩ وما ترتب عليها من تدهور فى العلاقات وعمليات عسكرية أمريكية ضد إيران التى كانت الحليف الأول لواشنطن فى هذه المنطقة الحيوية، وعن علاقة الإيرانيين بالقوات الأمريكية التى تعمل فى أفغانستان، صرح وزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد لشبكة «سى بى إس» التليفزيونية قائلا: «إنكم ستشهدون ظهور نوع جديد من العلاقات على مستوى المعمورة بكل أرجائها ومناطقها».

ولكن على عكس ذلك تماما تخرج أصوات قوية من واشنطن تنتقد إيران - ولست هنا فى حالة دفاع عن إيران وما يجرى فيها - وتصف ما يجرى هناك بالنفاق وأنها تعتبر أكثر الدول رعاية للإرهاب، وأن طهران هى المسئولة عن مقتل الأمريكيين فى «أبراج الخبر» بالمملكة السعودية، وأن طائرات الشحن الإيرانية هى التى تقوم بنقل الأسلحة والمتفجرات لحزب الله فى لبنان ليستخدمها الانتحاريون ضد المدنيين الإسرائيليين! وتضيف هذه الأصوات قائلة أن هناك عنصرا إرهابيا كبيرا يسميه الإسرائيليون «كارلوس اللبنانى» واسمه الأصلى عماد مغنيا، وهو متهم بارتكاب سلسلة من حوادث الاختطاف وتفجير السفارات ومن بينها الهجوم على اليهود فى

بيونيس آيرس عام ١٩٩٤، وهو عضو بارز فى منظمة الجهاد الإسلامى وقامت إيران بمنحه حق اللجوء السياسى، ولكن قبل أحداث ١١ سبتمبر بستة أسابيع عقد حزب الله في لبنان اجتماعا برئاسة حسن نصر الله وقام بتعيين عماد مغنيا عضوا بمجلس الشورى للحزب بعد تغيير اسمه إلى «جواد نور الدين» حتى يكون لبنانيا! وفيما هو كشف عن مصادر هذا الاتجاه الظلامى تقول تلك الأصوات أن «الإسرائيليين» يعتبرون «كارلوس اللبنانى» اختيارا شخصيا من جانب رجل إيران القوى خامنئى ليكون قائدا لعمليات طهران فى لبنان!

ويستمر هذا الاتجاه الظلامى لتوجيه مسار القوة المطلقة ليشمل بعد ذلك التخلص من الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات بذريعة أنه أصبح ضعيفا ولا يقدر على قيادة شعبه أو السيطرة عليه، وفى ذلك نسى الأمريكيون الذين يرددون هذا الكلام السطحى أن عرفات لا يملك قدرا من القوة الكافية - وليس المطلقة- التى تمكنه من تحقيق الانتصارات السهلة والانتقام السريع والحاسم على غرار ما حدث لطالبان، ومع ذلك فإن الرجل مازال ثابتا فوق قدميه يناضل نضالا مستحيلا: تارة بالبندقية وتارة بغصن الزيتون، فى مهمة أساسية ومشروعة ومع ذلك استغرقت حتى الآن أكثر من نصف قرن من الزمان .. إذا لم يكن هذا الرجل مناضلا وزعيما لشعبه وتجسيدا لنضال وتطلعات هذا الشعب المغلوب على أمره، فمن ذا الذى يكون؟

وبعد عرفات الذى دفعته إلى قائمة أهداف المسار التصادمى للقوة المطلقة عمليات النضال المسلح للشعب الفلسطينى - ويا حبذا هنا لو اقتصرت تلك العمليات على قوات الاحتلال والأهداف العسكرية بعيدا عن المدنيين حتى لا ينقلب الرأى العام ضدنا - بعد عرفات يأتى بالطبع العراق وسوريا والصومال، والمملكة العربية السعودية، بل إن بعض الجهات أشارت إلى مصر أيضا فى ذروة الانفعال وردود الفعل السريعة التى أعقبت أحداث ١١ سبتمبر غير مدركين - بسبب سطحية المعلومات أو بسبب حقن معلوماتى خاطىء ومغرض - أن مصر كانت أولى ضحايا الإرهاب وأول من نجح فى المعركة ضد هذه الظاهرة المقيتة وأنها فى شبه حرب دائمة ومستمرة مع الإرهاب، وأنها دعت المجتمع الدولى لاتخاذ نفس الخطوات التى اضطر للقيام بها بعد الهجوم على واشنطن ونيويورك، وقد

جاء ذكر كل هذه الدول العربية بطريقة أو بأخرى على أساس أنها دول ترعى الإرهاب! وأنها بطريقة أو أخرى كانت سببا فيما حدث لأمريكا فى هذا اليوم المشئوم! هكذا تقول إسرائيل وتفكر ، ومن الطبيعى أن تقول ذلك وتفكر كذلك ولكن بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية لا ينبغى أبدا ترديد هذه الأفكار ، أو مجرد التفكير فى هذا الاتجاه الذى تشجع عليه إسرائيل فى إطار مصالحها العليا وذلك عن طريق ثلاثة أساليب:

- الأول تحريك جماعات الضغط الموالية لها داخل الولايات المتحدة، وهى جماعات يفتقر الجانب العربى تماما إلى ما يوازيها أو حتى يقترب من نفوذها.

- الثانى التلقين الإعلامى المباشر وغير المباشر للعديد من وسائل الإعلام وبعض كبار الكتاب، وهو ما يفتقده العالم العربى بأكمله رغم التعداد الهائل والثروة الطائلة!

- الثالث عن طريق طرح نموذج عملى بالإفراط فى استخدام القوة العسكرية ضد عناصر المقاومة الفلسطينية بعد أن دمغتهم إسرائيل ـ عن طريق الأسلوبين الأول والثانى أعلاه ـ بأنهم إرهابيون، وليسوا أبدا مناضلين يطالبون بحقوقهم المشروعة، يساعدهم فى ذلك قيام فصائل معينة باستهداف المدنيين الإسرائيليين فى الأحياء السكنية – وليس المستوطنات– وفى توقيتات تتوافق مع تحرك المجتمع الدولى لاستئناف عملية السلام!! وتجدر الإشارة هنا إلى أن إحدى هذه الفصائل كانت إسرائيل وراء إنشائها وإرساء هيكلها التنظيمى!

كذلك تنسى تلك الأصوات الأمريكية المنتشية أن منطقة الشرق الأوسط بكل دولها كانت بمثابة «الفناء الخلفى» للمخابرات المركزية الأمريكية CIA وخاصة فى عهد رئيس هذا الجهاز وليم كيسى، الذي كان يتسم بالعدوانية والعجرفة والطموح الزائد، وذلك فى مزيج يندر أن تجده فى إنسان واحد، وكان الكثير من المصائب التى نعانى منها حتى الآن هى نتاج «سيناريوهات العبقرية» التى تخيلها المسئولون فى هذا الجهاز وطبقوها على مختلف دول المنطقة، بداية من الثورة الإيرانية ضد شاه إيران ونهاية بالشيخ عمر عبد الرحمن الذى استغلوه فى إذكاء شعلة المسلمين ضد الشيوعية والشيوعيين، ومرورا بإرسال الأفغان العرب إلى

أفغانستان حيث «المدرسة النموذجية» لتخريج الإرهابيين وتصديرهم إلينا، وخاصة هنا فى مصر ليعيثوا فسادا ويلحقوا باقتصادنا القومى ضربات كان آخرها مذبحة الدير البحرى التى تردد أن المخابرات الأمريكية كانت على علم بها، والتى مازلنا نعانى منها إلى يومنا هذا، وكان على رأس هؤلاء الخريجين - كما نعرف جميعا- السيد أسامة بن لادن الذى صار الآن العدو الأول للولايات المتحدة الأمريكية!

تنسى تلك الأصوات الأمريكية المتشددة كل هذه الوقائع، وتنسى أيضا تجربة الولايات المتحدة فى جنوب شرق آسيا عندما انتشت أصوات مثيلة بالانتصارات الأمريكية التى تحققت فى هذه المنطقة، وأغرتهم على استمرار التوغل فكانت فظائع حرب فيتنام التي مازال الضمير الأمريكى يعانى منها حتي يومنا هذا، إن تلك الأصوات التى نعنيها هى سبب المصائب في جميع الدول وليس أمريكا وحدها فهم مجموعة من المهاويس الذين تنقصهم المعارف، ولأنهم مهاويس فإن درجة الانفعال والحماس الأجوف تكون فى أعلى منسوب لها مما قد يفترس العامة والسذج.. وهنا أيضا مكمن آخر للخطر!!

ونعود لنقول أن الولايات المتحدة تقف الآن فى مفترق الطرق : إما أن تستخدم قوتها الهائلة كركيزة للاستقرار العالمى ملتزمة بالمثل العليا الواجبة، وإما أن تلجأ إلى الجانب الظلامى لهذه القوة فتكون فى ذلك مثلها مثل الإرهابيين الذين انحرفوا بالقوة الروحية الهائلة للأديان واستغلوها فى قتل الحياة وكل أشكال الحضارة والتقدم... تقع الولايات المتحدة الأمريكية فى هذا الخطأ الجسيم عندما تعمل على توسيع دائرة الحرب لتشمل دولا أخرى عربية أو إسلامية إن لم تكن من ضحايا الإرهاب فهى من ضحايا «سيناريوهات العبقرية» للمخابرات المركزية الأمريكية، وإن لم تكن من أولئك أو هؤلاء فلابد أن تكون من ضحايا القهر والاستغلال والاستعمار الغربى فى القرن الماضى .. أو الاستعمار الإسرائيلى الحالى الذى امتد واستمر حتى الألفية الثالثة وسط حوارات وذرائع ومباحثات وجدل لا يطاق.■

الحكاية من البداية

"المعرفة هي القوة الحقيقية في هذه الحياة وبدونها نظل نتخبط في مجاهل وألغاز ونظل نخاف من الظلام ونتصور شياطين خرافية نبالغ في قوتها وفي شرورها، أما عندما تتاح المعرفة وتتدفق المعلومات فإن الشياطين كلها تختفي في لحظة وتعود الأمور والأشياء إلى حجمها الصحيح الذي غالبا ما يكون ضئيلا بشكل مخجل!"

.. ودائما تدفع مصر الثمن:

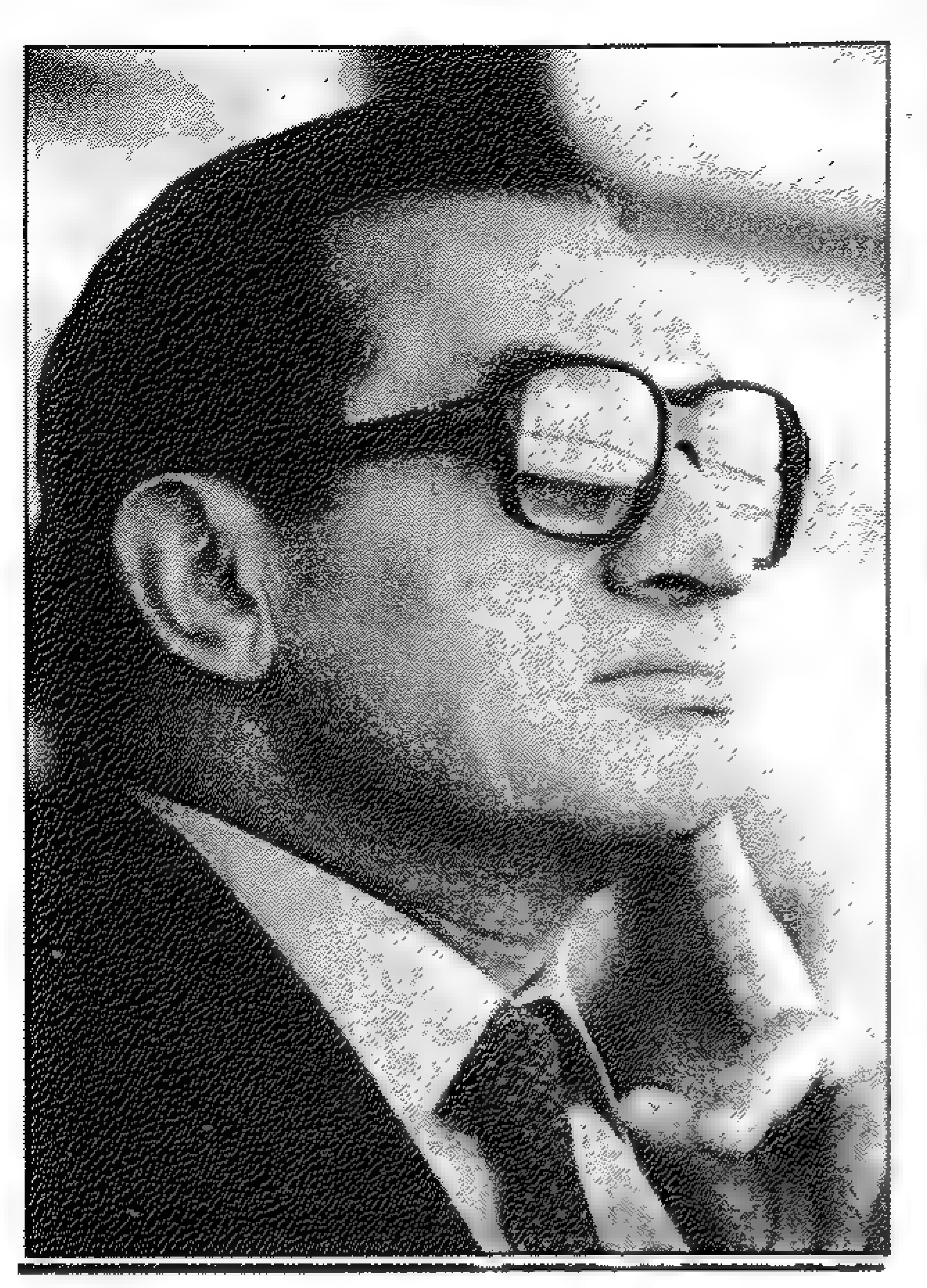
حكاية الأمريكان مع طالبان وجيش العرب الأفغان!

انهارت فصائل طالبان تماما، وانهارت معها أيضا كل مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية التى استمرت لأكثر من نصف قرن من الزمان، وذلك بعد أن أدت أحداث ١١ سبتمبر إلى عملية تفتيش وبحث عميق فى «الذات الأمريكية».. خرج بعدها الكتاب والمفكرون هناك يدمغون سياسات أمريكا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى يومنا هذا، والتى كان آخر ثمارها هذا الغضب والهياج الانتحارى الذى يدفع البعض هنا وهناك إلى الانتحار و«الموت عنفا».. تماما كما أوحت مدينة السينما العالمية هوليوود فى سلسلة أفلامها المعروفة بهذا الاسم المخيف.. والشاذ فى الوقت ذاته!

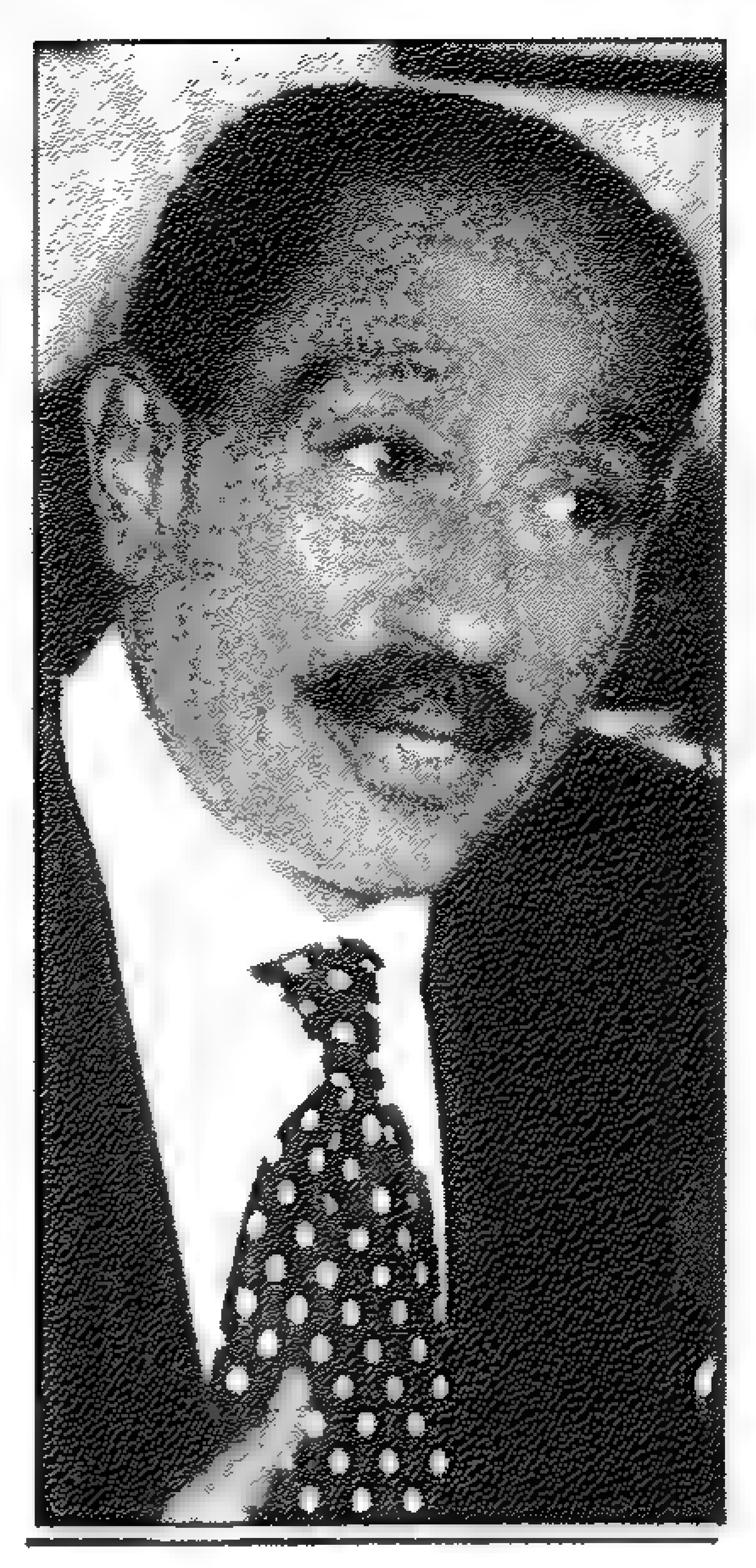
كان آخر فصول «الموت عنفا» فى نيويورك وواشنطن، ولكن مازالت إلى يومنا هذا فصول ذلك النمط من الموت تجرى يوميا فى أراضى فلسطين دون أن تثير اهتمام العالم الغربى المتحضر، بل إنها وصلت إلى الهند أيضا منذ يومين فقط.. لماذا يجرى هذا؟ والإجابة هى أن الولايات المتحدة الأمريكية كما يقول غالبية الكتاب الأمريكيين الموضوعيين وليس جوقة الإثارة والتهييج والدعوة إلى

مزيد من العنف وتوسيع دائرة الحرب والانتقام.. إن الولايات المتحدة أدارت عمليات الحرب الباردة بينها وبين موسكو فوق ساحات القتال بدول العالم الثالث.. فى كوريا وفيتنام وأنجولا وجواتيمالا وكوبا وشيلى ونيكاراجوا وإيران، وبالطبع قبل هذه الدول وأكثر منها جميعا، دول منطقة الشرق الأوسط المنكوبة على مر الأزمنة والتى حظيت بنصيب هائل من آثار الحرب الباردة.. التى لا ناقة لنا فيها ولا جمل، من قريب أو من بعيد، اللهم إلا الزعيم الراحل جمال عبدالناصر الذى لجأ إلى الاتحاد السوفيتى للحصول على أسلحة يدافع بها عن بلاده.. يدافع فقط ولا نقول يهاجم أو يعتدى، وذلك بعد أن أعيته الحيل فى الحصول على السلاح الأمريكى أو الغربى، فاعتبروه عدوا للغرب ينبغى إقحام وطنه العريق فى دائرة الحرب الباردة! وبعد أن خرج الرجل مرة أخرى يدافع عن بلاده وعن أمته بأن نادى بالقومية العربية ووحدة العالم العربى المفكك، كان أن اعتبره الأشقاء العرب «المعتدلون» خطرا داهما يتهدد مصائرهم ومصائر المنطقة بأكملها، ومنذ هذا التاريخ بدأ التحالف الأمريكى مع ما أسموه بـ «الدول العربية المعتدلة» لمواجهة الخطر الأحمر الذى وصل إلى منطقة الشرق الأوسط!

واستمر هذا التحالف عقودا طويلة حتى فاضت روح عبدالناصر، وللمفارقة كان وقتها يبذل آخر أنفاسه فى تحقيق الوفاق العربى المستحيل لمواجهة الكارثة التى منينا بها فى يونيو ١٩٦٧، وجاء السادات ليغير تماما من التوجهات السياسية والعقائدية التى سادت من قبل وطرد الخبراء السوفييت، ثم خاض وحده معركة النصر لإزالة آثار هذه الغمة القومية وتحالف مع أمريكا ومد جسوره إلى العالم العربى «المعتدل»، ومع ذلك استمر التحالف الأمريكى «العربى المعتدل» لمواجهة الخطر الشيوعى وفكرة القومية والوحدة العربية..



مبـــارك



السادات



جمال عبدالناصر

التى يعلم الجميع أنها لن تتحقق، ثم كان أن أقدم السوفييت على غزو أفغانستان، هناك بعيدا جدا عنا وعن المنطقة التى نعيش فيها، فاستغل هذا التحالف طبيعة الإسلام التى تعادى تماما العقيدة الشيوعية.. وترجموا المعانى السامية للإسلام إلى سياسات عدوانية لمحاربة الشيوعية، وقاموا بتجنيد جيش من المرتزقة فيما عرف بعد ذلك بالأفغان العرب، والحقيقة أنهم ليسوا أفغانا ولا عربا.. فمعظمهم من الهاربين من أوطانهم لسبب أو لآخر وأرسلوا هؤلاء إلى أفغانستان، حيث كان ميلاد الإرهاب العالمى الذى شهدنا فصوله بعد ذلك، وحتى فى ذلك قام السادات بمحاكاة هذا الاتجاه بأن سمح بعودة الجماعات الدينية ومساعدتها لضرب الشيوعيين فى مصر توافقا مع الاتجاه السائد لهذا التحالف الأمريكى «العربى المعتدل»، فكان أن دفع حياته على أيدى هؤلاء الذين ساعدهم واستعان بهم!

وجاء الرئيس مبارك على أعناق إنجاز عسكرى غير مسبوق.. جاء

بقلب مفتوح وعقل مفتوح ورغبة وقدرة هائلتين على العمل الإيجابى المثمر لإصلاح كل أخطاء الماضى والانطلاق إلى غد قوى من أجل مصر التى أنجبته والتى شاهد سنوات مجدها.. وشاهد كيف تدهورت أحوالها بعد ذلك إلى حد فقدان البنية الأساسية اللازمة لأية دولة عصرية، وبدأ يعمل ويبنى ويرسخ بنيان السلام والانفتاح على جميع دول المنطقة وجميع دول العالم، ومع ذلك استمر هذا التحالف العنيد حتى فشل الغزو السوفيتى لأفغانستان... «هناك بعيدا جدا عنا وعن منطقتنا» وبعدها بدأ تدفق هؤلاء العرب الأفغان مستهدفين مصر وأمن مصر بصفة خاصة، بل وصل بهم غباء القلب والوجدان إلى استهداف شخص هذا الرئيس العظيم الذى قضى حياته كلها فى خدمة وطنه من خلال أى موقع يشغله، والذى حقق التقارب العربى كما لم يحققه رئيس من قبله، وحقق التقارب المصرى الأمريكى بنفس القدر، وحقق التقارب مع كافة دول العالم فيما هو بمثابة معادلة تستحيل على الجميع فى ظل أوضاع حائكة لا تستقر أبدا بأى شكل من الأشكال!

هكذا حظيت منطقة الشرق الأوسط ومصر بشكل خاص بنصيب هائل من آثار الحرب الباردة التى «لا ناقة لنا فيها ولا جمل»، والتى كان من بينها ومن أكثرها خطورة لنا وللجميع هذا الإرهاب العالمى الذى نشأ أول ما نشأ فوق أراضى أفغانستان مستخدما عباءة الإسلام وترجمة معانيه السامية إلى سياسات عدوانية، فيما تصور عباقرة المخابرات الأمريكية أنه الوسيلة الناجحة لمواجهة الشيوعية وتقويض أركانها!

وبعد أن انهارت الشيوعية واحتفل الأمريكيون بانتصارهم العظيم كان أن نسوا تماما آثار هذا الصراع فى دول العالم الثالث البائس التى دارت فوقها معارك الحرب الباردة، ولم يلتفتوا حتى إلى أن جيش المرتزقة الذى قاموا بتدريبه فى قواعد القوات الخاصة البرية والبحرية داخل الولايات المتحدة وقاموا

بتمويله من الخزانة الأمريكية وخزائن إحدى الدول العربية الإسلامية.. التى قدمت مليارات من الدولارات لتحقيق الهدف الأمريكى، وقاموا بإمداده بالسلاح الأمريكى وغير الأمريكى عن طريق باكستان التى كان ضباط المخابرات بها يشرفون على كافة شئون هذا الجيش.. الذى جاء من مختلف الدول الإسلامية بمن فى ذلك مسلمو الصين.. الذين عادوا بعد ذلك إلى وطنهم يطالبون بدولة مستقلة هى «يوجورستان»، وبعد كل هذا فإنهم فى نشوة انتصارهم على الشيوعية رغم أنها انهارت من الداخل دون فضل يذكر للمعارك الخارجية، فى نشوة هذا الانتصار المفتعل نسوا تماما هذا «الجيش الأسود» حتى بعد أن قامت باكستان والدولة العربية التى لا أذكر اسمها هنا ليس خوفا من ضغوط أو رهبة بقدر ما هو مراعاة للظروف وعملا ببروتوكولات «الشقيقة الكبرى» مصر.. والتى يحلو للبعض فى أحيان كثيرة أن يهزأ بهذه الحقيقة التى لا تقبل جدلا.. قامت باكستان وهذه الدولة العربية بإنشاء طالبان، ولم تأبه واشنطن رغم أن خريجى مراكز التدريب التابعة لهذه الحرب نشطوا بوحشية داخل مصر بهدف القضاء على النشاط السياحى فى دولة تعتمد إلى حد بعيد منذ تاريخ طويل على مجال السياحة كشريان أساسى لاقتصادها القومى، ولم تأبه واشنطن حتى بعد أن قام «بن لادن» بعملية «خصخصة» للإرهاب واستخدمه لتحقيق أهدافه الخاصة للسيطرة على العالمين العربى والإسلامى، ومبارزة العالم الغربى بأجمعه! لم تأبه واشنطن لكل ذلك إلى أن أفاقت على كارثة يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١!

انهارت فصائل طالبان وانهار معها نظام القمع والاستبداد الذى فرض نفسه على أفغانستان، وكان هذا ما توقعناه منذ اليوم الأول لقرار محاربة الإرهاب والعودة إلى إصلاح ما أفسدته عمليات الحرب الباردة التى «لا ناقة لنا فيها ولا جمل»، ولكن الأسباب الكامنة للإرهاب مازالت

موجودة وباقية مادامت الولايات المتحدة الأمريكية - وهى الدولة الكبرى والقطب الأوحد فى عالم اليوم - ستظل تهتم بأمنها القومى وحده ودون سواه، وستظل تتجاهل المشاكل الأخرى الساخنة فى جميع أرجاء العالم - وأهمها مشكلة الشرق الأوسط - وستظل تستخف بقرارات المجتمع الدولى والأمم المتحدة والقانون الدولى والمحكمة الدولية، وستظل تتجاهل حقوق الإنسان فى كل مكان وليس حقوق الإنسان الأمريكى والغربى وحدهما، وستظل تتجاهل حق تقرير المصير للجميع من موزمبيق إلى ألاسكا مرورا بدول الشرق الأوسط كلها وليس إسرائيل وحدها.. وهذا بالضبط ما كانت تقوم عليه السياسة الخارجية الأمريكية قبل كارثة الحرب الباردة، وقبل إطلاق أيدى المخابرات المركزية الأمريكية للعبث فى توجهات ومصائر الغير فى ميكيافيللية سياسية غير مسبوقة، تصوروا أنها السياسة المثلى لترتيب أوضاع العالم بصورة أفضل تخدم المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى.. ولا مصالح أخرى سواها!

نعم لقد انهارت طالبان تماما ومعها تنظيم «القاعدة»، ولكن الأهم من ذلك بكثير هو أن تنأى الولايات المتحدة بنفسها عن توسيع دائرة الحرب والانتقام، لأنها بصورة أو بأخرى ساهمت فيما حدث عن طريق تحالفات ما كان لها أن تتحقق أبدا، وفى مقدمتها التحالف لإنشاء جيش الأفغان العرب الذى أدى إلى ظهور طالبان التى أدت إلى ظهور أسامة بن لادن .. الذى كان حليفا بدوره والذى أدى بعد ذلك إلى ظهور تنظيم القاعدة.

وهنا لابد للمرء أن يتساءل عن الطابع المسرحى الذى اتخذه انضمام باكستان إلى التحالف لمكافحة الإرهاب، مع أنها منذ البداية ضليعة فى التحالف الذى أنشأ هذا الإرهاب وفى قرار إنشاء حركة طالبان ومساندتها ودعمها بكل السبل، بل قامت باستغلال مقاتلى طالبان والأفغان العرب فى عمليات القتال التى دارت فى كشمير، وبهدف مناوأة خصمها اللدود الهند، وأكثر من

هذا كله فإنها صاحبة براءة اختراع فكرة «الجهاد» التى انقلبت على رءوس الدول العربية كلها!

انهارت طالبان وانهار تنظيم القاعدة، ولكن ينبغى أن تنهار معهما كل الأسباب والمناورات التى أدت إلى قيامهما فى البداية، وأن تنتهى تماما عزلة المصالح الأمريكية عن مصالح كل دول العالم، إذ أن الواجب الأول للقوة العظمى هو أن تلتحم مع الجميع دون استثناء، وأن ترعى مصالحهم وتطلعاتهم بنفس القدر الذى ترعى فيه مصالحها وتطلعاتها المشروعة، ذلك إذا ما أرادت فعلا أن يكون هذا العالم «عالما واحدا» آمنا ومتجانسا، وليس عالما مفككا يستعبده الدولار وتقهره صواريخ كروز وتوماهوك والقنابل الذكية، أو عالم غائب عن وعيه بفعل الأفيون والهيروين المزروع فى أفغانستان بمشورة ورعاية المخابرات المركزية الأمريكية، وكانت ذريعتهم فى ذلك فى البداية هى الإنفاق على الحرب ضد الشيوعية، وعندما انهارت الشيوعية استمروا فى هذا الاتجاه لتدمير روسيا من الداخل وتدمير الإنسان الروسى.. بعد أن أصبحت المخدرات «قوتا يوميا» للعائدين من حرب خاسرة ومهينة فى أفغانستان!

فى ذلك تناست العبقرية المخابراتية الأمريكية أن الهيروين انتشر بشكل غير مسبوق داخل الولايات المتحدة أيضا وفى العالم كله، وعندما نشطت إدارة مكافحة المخدرات هناك لإغلاق الصنبور المنهمر داخل أفغانستان، كان أن تدخلت الـ « CIA » للحيلولةدون ذلك، كذلك تناست العبقرية المخابراتية الأمريكية مواجهة السؤال الجاد: ماذا كان يمكن أن يحدث لمنطقة الشرق الأوسط بأكملها بما فيها إسرائيل وكذلك دول الشمال الأفريقى لو أن مصر سقطت فى قبضة الإرهاب؟! وتناست أيضا أن الشيوعية لم تسقط بسبب هذه الحفنة من المقاتلين المتأسلمين،

ولكنها سقطت وكان لابد أن تسقط، لأنها تحمل فى طياتها بذور الفشل والانهيار، ولذلك سقطت من الداخل، وليس بسبب جيش الأفغان العرب الذى لم يستطع أن يصمد أياما أمام قوات التحالف الشمالى تعاونهم وسائل الهجوم الجوى الأمريكى، والآن أمام واشنطن فرصة ذهبية لتقول للأمة الإسلامية أجمعها إننا ساعدنا على تخليصكم من شائبة سوداء فى رداء الإسلام العظيم ولنبدأ معا فى حوار حضارى بناء وليس صداما هداما يهدد استقرار العالم كله ومستقبله. فالعقلاء فى هذا العالم يدركون جيدا أن الإسلام دين سماوى عظيم، وأن هؤلاء الإرهابيين إنما هم إرهابيون بتكوينهم الشخصى وبعقولهم التى عبث بها الكبار، وأنهم ليسوا بشىء من الإسلام والمسلمين الحقيقيين الذين يعترفون بكافة الأديان السماوية كشرط أساسى لصحيح الإسلام، والذين لا يعترفون بقتل نفس بغير نفس، والذين يبلغ تعدادهم أكثر من مليارى نسمة يؤمنون بأن العمل عبادة، وأن العمل الصالح هو كل ما سوف يتبقى، وأنه إذا قامت القيامة وكان فى يد أحدهم فسيلة فإنه سيهرع إلى زراعتها. فسيلة وليس قنبا أو أفيونا.

بريجنيسكى: العرب الأفغان.. صناعة أمريكية!

فيما يلى نص حديث أجرته مجلة «لونوفال أوبزرفاتور» الفرنسية مع «زبيجنيو بريجنيسكى» مستشار الأمن القومى الأمريكى فى عهد الرئيس «جيمى كارتر»، المثير للدهشة أن نفس العدد من مجلة «لونوفال أوبزرفاتور» تم توزيعه كاملا بدون أية «محذوفات رقابية» خارج «الولايات المتحدة»، وبعبارة أخرى فإن «رقيب الصحافة الأمريكية» هو الوحيد فى العالم الذى تدخل لإجراء هذا الحذف، لأن حديث «بريجنيسكى» أكد أن «الإسلام الأفغانى» صناعة أمريكية! قد رأينا ترجمة الحوار بصيغته كما جاء فى «لونوفال أوبزرفاتور».

س: لقد ذكر «روبرت جيتس» رئيس المخابرات المركزية الأمريكية السابق فى مذكراته المعنونة بـ «من بين الظلال» أن المخابرات الأمريكية كانت قد بدأت بالفعل فى دعم المجاهدين قبل ٦ أشهر من الغزو السوفيتى، خلال هذه الفترة كنت تعمل مستشارا للأمن القومى فى إدارة «كارتر»، وعليه فقد لعبت دورا بالتأكيد فى هذه المسألة.. فهل هذا صحيح؟!

جـ - نعم، فوفقا للطبعة الرسمية للتاريخ فقد بدأت C.I.A مساعدتها للمجاهدين خلال عام ١٩٨٠، أى بعد الغزو السوفيتى العسكرى «لأفغانستان» فى ٢٤ ديسمبر ١٩٧٩، لكن فى الواقع الحقيقة التى مازالت «تحت الحراسة» حتى الآن مختلفة تماما، فالرئيس «جيمى كارتر» كان قد وقع بالفعل أول أمر بالمساعدة السرية للمعارضين للنظام «الأفغانى» الموالى للاتحاد السوفيتى، وذلك فى ٣ يوليو ١٩٧٩، وفى نفس هذا اليوم كتبت مذكرة للرئيس أوضحت له فيها أنه فى رأيى الخاص إن هذه المساعدة ستغرى بتدخل عسكرى سوفيتى.

س: على الرغم من هذه المخاطرة إلا أنك كنت منوطا بهذه المهمة السرية، فربما أنت شخصيا رغبت فى دخول السوفييت فى الحرب وتطلعت لإشعالها؟

جـ - إن الأمر لم يكن كذلك تماما، فإننا لم ندفع الروس للتورط، لكننا رفعنا من احتمالية ذلك عن علم.

س: عندما برر السوفييت تدخلهم بالتأكيد على أنهم كانوا يهدفون لمحاربة التورط الأمريكى فى «أفغانستان» لم يصدقهم الشعب، ولكن على أية حال فإن ذلك كان له أساس من الصحة، ألا تشعر بالأسف على ذلك؟

جـ - آسف علامَ؟ إن هذه العملية السرية كانت فكرة ممتازة. لقد كان لها أثر يتمثل فى استدراج الروس للفخ «الأفغانى» وتريدنى أن آسف على هذا؟ لقد كتبت إلى الرئيس كارتر فى نفس يوم عبور الروس إلى الحدود قائلا:

إننا الآن لدينا الفرصة لمنح الاتحاد السوفيتي حرب «فيتنام» الخاصة به، فلمدة عشر سنوات بالفعل اضطرت «موسكو» لخوض حرب غير مدعومة من قبل الحكومة وصراع تسبب فى تفكك وأخيرا انهيار الإمبراطورية السوفيتية.

س: ولا تأسف كذلك على دعم الأصولية الإسلامية وإسداء النصيحة وإغداق السلاح على إرهابيي المستقبل؟

جـ - ما هو الأهم بالنسبة للتاريخ العالمي؟ «طالبان» أم انهيار الإمبراطورية السوفيتية؟ بعض المسلمين الممزقين المتناحرين أم تحرير وسط أوروبا ونهاية الحرب الباردة؟

س : بعض المسلمين الممزقين المتناحرين؟! ولكن ما يقال ويتكرر كثيرا هو أن الأصولية الإسلامية تمثل تهديدا عالميا الآن؟

جـ - هراء! لقد قيل أن للغرب سياسة عالمية فيما يختص بالإسلام، هذا غباء فلا يوجد إسلام عالمي.. انظر للإسلام بطريقة عقلانية وبدون أية «ديماجوجية» «كلام معسول» أو عواطف. إنه دين رائد فى العالم وواسع الانتشار يعتنقه ما يقرب من ١،٥ مليار شخص وعلى أية حال ما هو الشيء المشترك بين الأصولية السعودية والمغرب المعتدل، التسليح «الباكستاني» الموالاة المصرية للغرب أو علمانية آسيا الوسطى..؟ لا شيء أكثر مما يوحد الدول المسيحية. هذه كانت الفقرات التى آثرت السلطات الأمريكية ألا تعرضها على الشعب، لأنها تحمل اعترافات واضحة وصريحة من قبل مسئولين فى الإدارة الأمريكية بتخطيطها لقيام ميليشيا إسلامية من أجل استدراج «السوفييت» لفيتنام جديدة، وليس لمساندة المجاهدين ضد الاحتلال كما كان الأمريكيون يدعون، وإن كانت هناك نقطة واحدة مشتركة بين ما قيل قبل ذلك وبين ما حذفته الرقابة الأمريكية، فهو بلاشك تورط الـ C.I.A فى هذا المخطط أيا كانت أهدافه أو توقيته برئاسة «روبرت جيتس» المستشار المقرب لستة من الرؤساء الأمريكيين على امتداد ست إدارات مختلفة، ورئيس C.I.A الوحيد الذى تم ترشيحه من قبل رئيسين للولايات المتحدة.■

لا ناقة لنا ولا جمل

”يحلو للبعض أن يقسم الناس والكيانات ومختلف الأشياء إلى الشيء ونقيضه. وبالنسبة للمؤامرات والثمن الذى تدفعه الدول ، فإن هناك دولا تتآمر وهناك أخرى تكون هدفا للتآمر، وبالتالى هناك دول تستفيد وأخرى تدفع الثمن.. وفى هذا المضمون فقد كانت مصر دائما هدفا للتآمر ودائما تدفع الثمن.“

.. ومازلنا ندفع الثمن

مصر وقائمة الأضرار من إرهاب صنعه آخرون

تحدثنا فى المقالين السابقين عن نشأة طالبان وتنظيم القاعدة وجيش العرب الأفغانى، وكيف تعاونت المخابرات المركزية الأمريكية مع باكستان وإحدى الدول العربية لإنشاء هذا الجيش الإرهابى وتمويله وتدريبه في معسكرات القوات الخاصة الأمريكية، وكيف أن الـ CIA كانت وراء فكرة زراعة وتجارة المخدرات فى أفغانستان للإنفاق على عمليات هذا الجيش من الإرهابيين، وتحدثنا قبل ذلك عن الجانب الظلامى للقوة الأمريكية المطلقة، وكيف أن استغلال هذه القوة إما أن يكون بنّاءً بالعمل على ترسيخ الاستقرار العالمى، أو هداما بالعمل على توسيع دائرة الحرب ضد دول ومناطق أخرى، إذعاناً لمنطق القوة واستجابة لمشاعر الغضب والانفعال الشعبى الذى أعقب أحداث ١١ سبتمبر.

واستطرادا للفكرة الأساسية لهذه السلسلة من المقالات فإننا نتناول اليوم الأضرار التى لحقت بنا من جراء عمليات الإرهاب وذلك لعدة أسباب أهمها:

- تذكرة من ساهموا فى هذه الجريمة السياسية والأخلاقية بما

اقترفته أيديهم وما أدت إليه هذه السياسة الميكيافيللية من تدهور عالمى، والموقف الملتهب الذى وصلت إليه الأمور الآن.

- فضح محاولات بعض الأقلام ووسائل الإعلام العالمية التى تحاول استغلال أزمة الإرهاب وتوجيه موجة العداء إلى العالم العربى بشكل خاص والعالم الإسلامى بشكل عام.

- حسم تردد البعض فى الداخل هنا وهناك الذين تختلط الأوراق فى عقولهم بشأن الإسلام والإرهاب ولا يدركون، أو نسوا، أن هؤلاء الإرهابيين هم أنفسهم الذين عرقلوا مسيرة التنمية فى مصر وحاولوا ضربها بأبشع الطرق على مدى العقدين الماضيين.

لقد كانت مصر سباقة فى التعرض لأخطار الإرهاب بشكله الجديد الذى تم صياغته فوق أراضى وداخل كهوف أفغانستان.. نفس الكهوف التى أوحت المخابرات الأمريكية المركزية للأفغان العرب باستخدامها فى الثمانينيات للاحتماء داخلها من القوات السوفيتية، ثم اضطرت الآن لمهاجمتها بالصواريخ وقاذفات القنابل بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. وعندما حاول هؤلاء الأفغان العرب الهروب إلى الحدود الباكستانية فرارا من جحيم القنابل والصواريخ فإن باكستان التى ساهمت فى إنشائهم وتمويلهم وتدريبهم وتزويدهم بالسلاح قامت بإلقاء القبض عليهم وإيداعهم فى معسكرات الأسر والاعتقال، كما لو أن الجميع يغسل يديه من هذه الجريمة الكبرى والبشعة فى حق الإنسانية جمعاء.

صحيح أن مصر استطاعت أن تحسم المعركة مع الإرهاب داخل حدودها، ولكنها لم تستطع أن تطال منابعه وتعمل على تجفيفها كما استطاعت واشنطن بفضل الصواريخ «كروز» و«توماهوك» والقاذفات «بى -١» و«بى - ٥٢» وحاملات الطائرات التى تتمركز حول الكرة الأرضية، وهى أسلحة ومعدات لا تملكها مصر ولا تملك القدرة على الحصول عليها، ولكن مصر تملك - بلاشك - الرؤية الصائبة عندما

كانت أول من قال أن الإرهاب ظاهرة دولية ينبغى أن يتكاتف المجتمع الدولى لمجابهتها، فكان أن تكاتف فقط بعد الهجوم على واشنطن ونيويورك.. وكانت مصر تملك الرؤية الصائبة عندما كانت أول من نادى بتسليم الإرهابيين الذين يعيشون بحرية فى العواصم الأوروبية ومختلف بلدان العالم.. فكان أن تم القبض عليهم فقط بعد انهيار وتدمير المركز التجارى العالمى والبنتاجون، وكانت مصر - مرة ثالثة - تملك الرؤية الصائبة عندما كانت أول من نادى بتجفيف مصادر التمويل التى تمول العناصر الإرهابية وتشجعهم على ممارسة هذا النشاط الهدام، ومرة ثالثة لم يتحقق ذلك، بل لم يفكر أحد فيه إلا بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الذى أصبح تاريخا حاسما فى تاريخ البشرية أشبه بعبارة «قبل الميلاد» أو «بعد الميلاد» التى نستخدمها للتمييز بين حقبتين متباينتين فى تاريخ الجنس البشرى!

كانت مصر سباقة فى التعرض لأضرار الإرهاب، ومازالت إلى يومنا هذا ولفترة يعلم الله وحده مداها، تعانى آثار هذا الأداء الهمجى الذى كان آخر فصوله تلك المذبحة البشعة فى الدير البحرى بالأقصر عام ١٩٩٧، عندما قامت مجموعة تابعة لتنظيم بن لادن باغتيال مجموعة من السائحين الغربيين - معظمهم من سويسرا واليابان - ليس بغرض قتلهم، ولكن بهدف ترويع أى سائح يفكر فى زيارة مصر، ومن ثم مثلوا بجثث الضحايا الأبرياء بشكل تستنكفه أدنى فصائل الحيوانات، وبأسلوب يؤكد أن الأستاذ بن لادن وزملاءه من ملالى العصر الحديث أمضوا فترة طويلة فى تدريب الجناة المغيبين بقناعات غيبية غامضة، على القيام بهذا العمل الوحشى. لم يكن الهدف هو مجرد قتل مجموعة من الأبرياء، من بينهم زوجان يابانيان شاء قدرهما التعس أن يختارا مصر لقضاء شهر العسل، لم يكن الهدف هو مجرد القتل، ولكن الترويع وبث الرعب فى نفوس الجميع حتى لا يفكروا فى زيارة مصر، ومن ثم حرمان الاقتصاد المصرى من شريان أساسى تعتمد عليه البلاد فى الإعاشة وفى التنمية، وقد كان

لهم ذلك إلى يومنا هذا رغم الهراء الذى نسمعه بين الحين والحين عن انتعاش حركة السياحة فى مصر كما لو كان المتحدث بهذا - أو كاتب هذا - الكلام يبرئ ساحة الإرهابيين من جريمة شنعاء تعانيها جميع فئات المجتمع المصرى!

ونستطيع فى هذا المقام أن نسرد قائمة طويلة للأضرار التى لحقت بمصر من جراء العمليات الإرهابية التى استمرت عقدين كاملين من الزمان:

- قد يكون من أضخم هذه الأضرار ذلك التغيير السلبى الذى طرأ على شكل الحياة فى المجتمع المصرى الذى كان معروفا عنه أنه مجتمع عصرى متفتح يقبل على الحياة مهما كانت المصاعب والتحديات، وإذا الآن بهذا الطابع العصرى يتلاشى أمام ثقافة الموت والقبور والثعبان الأقرع وما شابه من قصص وروايات لم يرد ذكرها فى أى دين سماوى، فعملوا بذلك على شل التفكير السوىّ بين عناصر كثيرة من عناصر المجتمع، وكم أتمنى أن تكون هناك إحصائية وافية عن عدد التلاميذ الذين تركوا الدراسة زهدا فى الحياة ويأسا من المصير، وكم عدد العاملين الذين توقفوا عن الإنتاج لنفس السبب، وكم عدد المحجبات اللاتى يرتدين الحجاب خوفا وفزعا إما من ثقافة القبور أو ممن ولوا أنفسهم على شئون الأجمعين. لقد كانت الأسرة المصرية المتوسطة إلى وقت قريب جدا تفتخر بالتحف والتماثيل التى تملكها، وكانت آلة البيانو تكاد تكون موجودة فى كل بيت من بيوت الطبقة المتوسطة، فجاء الهمج الإرهابى ليقول أن التماثيل حرام وأن الموسيقى حرام وأن التليفزيون حرام.. كل شىء أصبح حراما، ولم يشر أحد من هؤلاء الإرهابيين إلى القول المأثور «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا». الدنيا شىء والآخرة شىء آخر، ولكن عندما نخلط عمدا بين هذه وتلك ونقحم عليها قصصا مريضة فلابد أن يكون الناتج «عدما» تماما كما نشاهد الآن بين أولئك

الذين وقعوا فى براثن هذه المؤامرة الكبرى على الأديان وعلى الحياة ذاتها! كان هذا فى رأيى هو أخطر الأضرار التى لحقت بالمجتمع المصرى نتيجة الفكر الإرهابى، وهو ما يشكل تحديا هائلا للمسئولين فى الأزهر الشريف - الذى لم ينج بدوره من الهجمة الإرهابية البربرية - وتحديا بنفس القدر للمسئولين عن الثقافة والإعلام والعملية التعليمية فى مصر.

- نتيجة للأحداث التى عانتها مصر والسياحة الأجنبية كان أن استغل «كونسورتيوم» الأعداء والخصوم والحاقدين والكارهين والمنافسين.. إلخ، هذه الظاهرة لتخرج علينا بعد ذلك أسخف نظرية فى تاريخ الفكر الإنسانى والتى تهدف إلى تحديد الإسلام كعدو محتمل للحضارة الغربية بعد أن اختفى الخطر الشيوعى، فى ذلك كان هؤلاء يتجاهلون - فليس من المعقول أنهم لا يدركون - أن الشيوعية كانت نظرية سياسية واقتصادية، وربما كانت أسوأ نظرية فى هذا المجال، فى حين أن الإسلام دين سماوى قام منذ مئات السنين. إن من يستبدل هذا بذاك كمن يستبدل الأرض بالسماء أو الماء بالنار، أو التراب بالهواء.. يستبدل أى شىء بنقيضه، أو أن يكون قد فقد عقله منذ البداية.

ومن هنا ولأن مصر هى أكبر دولة إسلامية شرق أوسطية - ونقول ذلك لأن هناك الآن من الكتاب المحرضين فى الولايات المتحدة والدول الغربية من يقول أن مصر ليست أكبر دولة إسلامية، وأن هناك الهند أكبر منها بكثير وتضم أعدادا غفيرة من المسلمين - لأن مصر كذلك، فقد تمركزت حولها هذه الروح العدائية الجديدة تماما كما تمركزت من قبل مؤامرات ونشاطات الإرهاب.. يعنى كما يقول العامة عندنا: «مش ملاحقين»، هؤلاء يستهدفوننا، وأولئك يستهدفوننا بنفس القدر كما لو كنا الهدف المفضل للجميع!

- كذلك كانت الوسيلة لسيطرة الإرهاب على مصر هى حملة مدروسة

ومستمرة لا تعرف اليأس لإظهار أن نظام الحكم فاسد و«أن الإسلام هو الحل» ضمن شعارات أخرى مماثلة، وكانت هذه الحملة بصورة أخرى هى امتداد لحملة تكفير المجتمع والحكام، وتطرقت الحملتان الشرستان فى إحدى مراحلهما إلى حوادث الاغتيالات التى تركزت على رموز الدولة المصرية.. تلك الدولة التى هى أقدم دولة فى تاريخ الإنسانية، والدولة التى تعنى رموزها الكثير بالنسبة للاستقرار والتنمية والأمان والانطلاق إلى المستقبل بنفس المعدلات التى تنطلق بها الدول المتقدمة فى العصر الحديث.

- وفى نفس المضمون كانت عمليات ترويع الكتاب والمثقفين بالاغتيال والتهديد، فالعقل المصرى كان هدفهم الأول إما بالإعدام أو بالإخماد وشل التفكير، ولن نتحدث هنا عن الإبداع وهو الضوء الذى ينير الطريق أمام أى مجتمع.. لا نتحدث عن ذلك لأنه لا إبداع أبدا تحت سيف التهديد، وعلينا أن نعانى فى حياتنا الفكرية والثقافية من الأعمال الرمادية المرتجفة التى لا تحرك فكرا ولا تشحذ همما! فالفكر حرام والهمم أرادوا لها الخمود والسكون!

- ولما كان أسلوب الحياة بين أقباط مصر ومسلميها هو أسلوب نموذجى على مر العصور ونمط يفتقر إليه العالم المتقدم إلى الآن بدليل الأجواء العدائية التى انطلقت عن غباء وجهل ضد المسلمين فى جميع دول العالم، وأن هذا الأسلوب الذى يصل إلى حد الكمال ساعد على مر العصور على انصهار أبناء مصر جميعا فى سبيكة واحدة صلبة ومتينة، لأنه كذلك فقد استهدف الإرهاب أقباط مصر وحاول ترويعهم وتأليبهم على الدولة وعلى إخوانهم المسلمين، فى نفس الوقت الذى حاول فيه تفعيل الاهتمام الأمريكى والغربى بشكل عام بما أسموه بأوضاع الأقليات فى مصر، وخرج أقباط المهجر كالدمى المتحركة يرقصون على دفوف الإرهابيين ويتحدثون عن اضطهاد مزعوم لم ولن يحدث فى يوم من الأيام، لأن تجربتنا فريدة ونتاج أصالة حضارية يفتقر إليها الجميع.

- في ذلك كان لابد أن يتبدد المجهود الأمني الرئيسي في محاربة الإرهاب، مما أدى إلى ظهور سلبيات في جوانب أخرى مثل جرائم العنف الاجتماعي والسرقات والاختلاس والبلطجة، وقد تداركت أجهزة الأمن تلك السلبيات بعد سنوات طويلة من التفرغ للخطر الأكبر المتمثل في الإرهاب.

- أدت حوادث الإرهاب إلى صدور تقارير اقتصادية وأمنية من دول كثيرة في العالم تعتبر مصر من المناطق الخطرة وغير الآمنة في مجال الاستثمار، الأمر الذي أثر على تدفق رءوس الأموال الأجنبية، وبالتالي على عمليات التنمية والاستثمار.

- تكرار عمليات الإرهاب في صعيد مصر أدى إلى تعطيل خطة التنمية الطموحة في جنوب البلاد، وما كان لمشروع عملاق مثل مشروع توشكى أن يخرج إلى الوجود إلا بعد أن تمت السيطرة على هذه الظاهرة.

- في الوقت الذي زعم فيه الإرهاب مؤخرا أن هدفه هو حل مشكلة الشرق الأوسط، فإنه عمل طوال عشرين عاما على تشتيت الجهود الدولية والدبلوماسية للدولة التي أصبحت مشغولة ببرامج تأكيد الاستقرار الأمني في مصر وتحسين صورة العلاقة بين المسلمين والأقباط، ومطاردة الإرهابيين الهاربين الذين ينعمون بالحريات في عواصم العالم المختلفة.

- أثَّر الإرهاب بالسلب على عملية النمو الديمقراطي في الدولة كما كان محددا لها وعلى عمليات تفعيل المجتمع المدني، وذلك بعد اتجاه الإرهاب إلى التحالف مع جماعات سياسية معلنة وجمعيات غير حكومية لديها تصريح بممارسة النشاط، مما دعم استمرار العمل بقانون الطوارئ لتضييق الخناق على كل قنوات الإرهاب ماديا ومعنويا، من الخارج ومن الداخل.. وهو الحل الأمثل الذي لجأت إليه الولايات المتحدة بعد أحداث ١١ سبتمبر.

ونستطيع أن نستطرد بأن نذكر العديد من الأضرار التى لحقت بنا نتيجة هذه الظاهرة البغيضة التى «اكتوينا بنارها» أكثر من غيرنا وقبل الجميع، على حد تصريح الرئيس مبارك تعليقا على المزاعم الغريبة التى تخرج من هنا ومن هناك والتى تتجاهل الواقع الموثق بأننا كنا هدف هذه المؤامرة الوضيعة.. ولم نكن أبدا طرفا فيها، وبأننا عانينا لسنوات وفى صمت ولم نصدر مشاكل لأحد أيا كان.. عدوا أو شقيقا أو حليفا، وبأننا حاربنا معركتنا بكل شرف وبكل الإمكانيات وبكل السبل والإجراءات الشرعية التى أصبحت الآن قدوة للجميع.■

بداية لكل طريق

"لكل مشكلة نقطة بداية إذا ما توصلنا إليها نكون قد توصلنا إلى معرفة الأمور بشكلها الصحيح، ونكون في الوقت ذاته قد توصلنا إلى بداية طريق الحل.. وبالنسبة لمشكلة الإرهاب كان أن وصلنا إلى هذه النقطة بعد أن انهالت علينا المعلومات من جميع الدوائر وجميع الدول."

طريق الحرب مع الإرهاب
من «بريجنسكى» إلى «كونداليزا»

لا يستطيع المرء الآن أن يلاحق الكم الهائل من المعلومات التى تتعلق بظاهرة الإرهاب والتى بدأت تنهال من خلال الكتب ووسائل الإعلام وتصريحات المسئولين هنا وهناك، وبالطبع لم يكن هذا متاحا من قبل تاريخ ١١ سبتمبر ٢٠٠١، رغم أن دولا كثيرة، وفى مقدمتها مصر ظلت تعانى منذ سنوات ولسنوات طويلة ومريرة من هذه الظاهرة التى تعارض فكرة الحياة ذاتها .. رغم هذا كانت المعلومات شحيحة ونادرة. أما الآن فهى تتدفق من كل صوب ومن كل اتجاه.

فى هذا المضمون تناولنا الكثير من الجوانب التى كانت غامضة خلال المقالات الأربعة التى نشرناها فى هذا المكان نفسه، وإذا كنا نستمر اليوم على نفس هذا الخط فالأمر فى ذلك ينبع أساسا من حجم المعلومات التى تطالعنا منذ حوادث ١١ سبتمبر وحتى يومنا هذا، والتى تكشف الكثير عن غموض هذه الظاهرة الظلامية، والتى كان الظلام هو حصنها المنيع ودرعها الواقية طوال الحقبة الماضية.

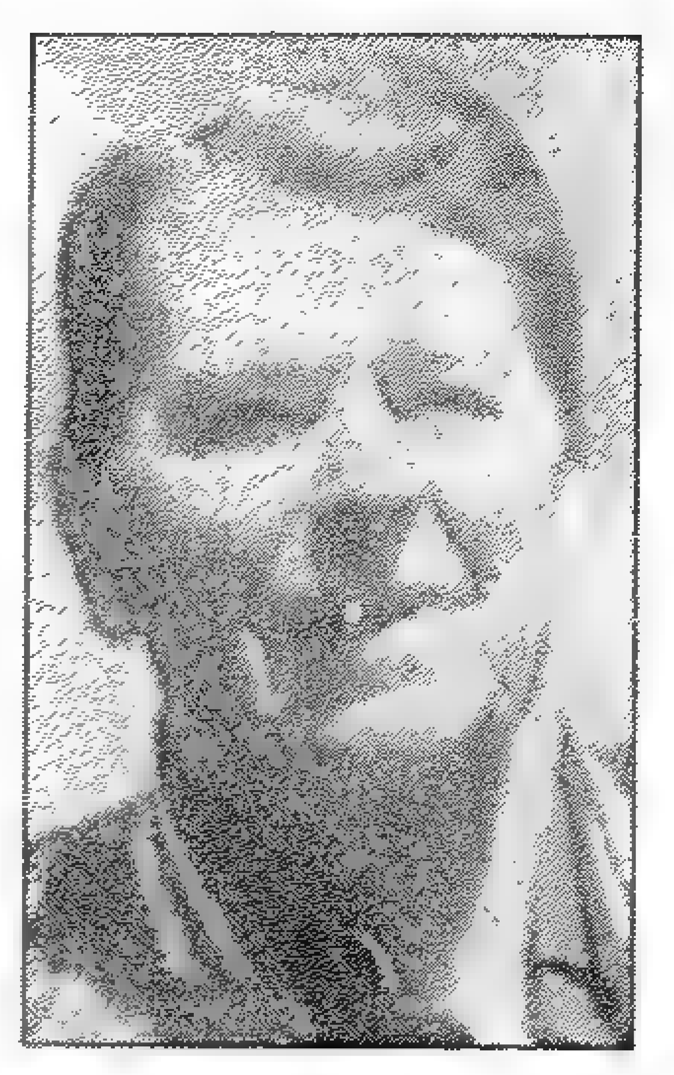
وبداية يجدر بنا هنا أن نحمد الله تعالى على أن نظام الحكم فى

مصر لا يضم بين كوادره منصب «مستشار رئيس الجمهورية لشئون الأمن القومى» ، فهو كما سيتبين لنا من خلال هذا المقال منصب على درجة عالية من الخطورة ويمكن إذا شطح صاحبه فإنه سيقود الجميع إلى كارثة حتمية على غرار ما شاهدناه من أحداث دموية على أيدى الإرهابيين طوال عقدين كاملين من الزمان!

كذلك نحمد الله تعالى أن رئيسنا الرئيس محمد حسنى مبارك لديه خبرة عسكرية هائلة، لولاها لكنا تورطنا فى مصائب أمنية عديدة، ولكان الحال على غير ما هو عليه الآن .. ولو كنا نحمد الله تعالى على ذلك فإننا في الوقت ذاته ندرك تماما أن الكمال عند الله وحده وأن الدنيا شىء آخر تماما، وفى هذا الإطار يمكننا أن نضع كم الهرج الأمنى الذى يطرحه علينا بين الحين والحين أناس لا يفقهون شيئا واحدا عن الأمن العالمى أو المحلى، ومع ذلك يسمحون لأنفسهم بطرح نظريات كاملة فى هذا المجال الحيوى والحساس، والذى تقود فيه أصغر الأخطاء إلى كارثة قومية حقيقية، يسمح البعض عندنا لأنفسهم بالتحدث ومناقشة قرارات الأمن والحرب واختيارات المواجهة والتحالف والعداء دون أن يستفيدوا أو يتخذوا العبرة من كم الكوارث والنكبات التى واجهناها فى تواريخ قريبة وبعيدة، لأن قرارات من هذا النوع اتخذها مسئولون من نفس الطراز الذى نتحدث عنه هنا، والذين يبدون كما لو كانوا قد أدمنوا الإثارة والصوت العالى، والنبرة الخطابية الرنانة!.

قد يكون مستشار الأمن القومى الأمريكى الأسبق زبيجنيو بريجنسكى هو السبب الأول وراء الطاعون الذي اجتاح منطقة الشرق الأوسط، وانتهى أخيرا بحوادث يوم ١١ سبتمبر على أيدى ما يسمى بجيش الأفغان العرب، وتنظيم القاعدة، وحركة طالبان، فقد كان الرجل لأسباب خاصة يمقت الشيوعية ويمقت الاتحاد السوفيتى إلى الدرجة التى جعلته مستعدا فى أى وقت لأن يغامر بالدخول فى مواجهة عسكرية شاملة ومدمرة للعالم كله نتيجة هذه الكراهية العميقة





كارتر: نشأ الإرهاب فى عهده

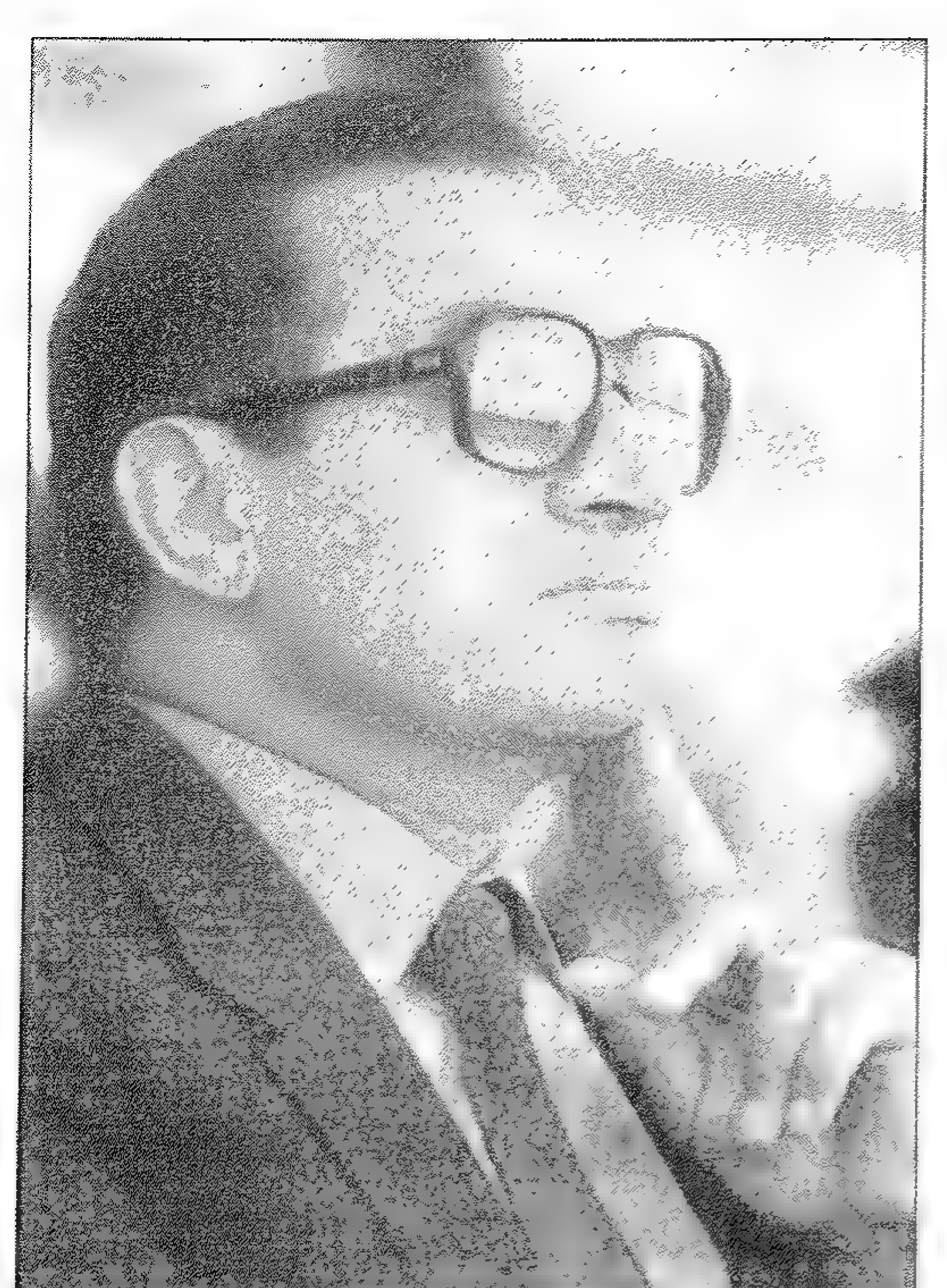
ريجان: سكت عليه

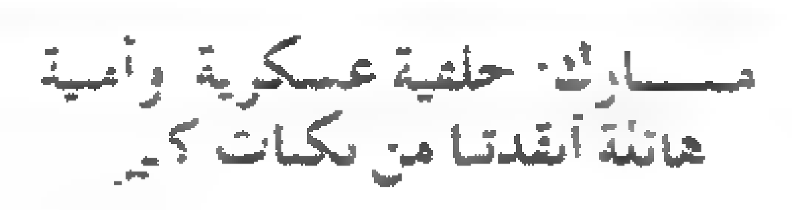


بوش الأب:
اهتم اساسا بصدام حسين



كلينتون:
لم يتدخل إلا لتغطية فضيحة مونيكا

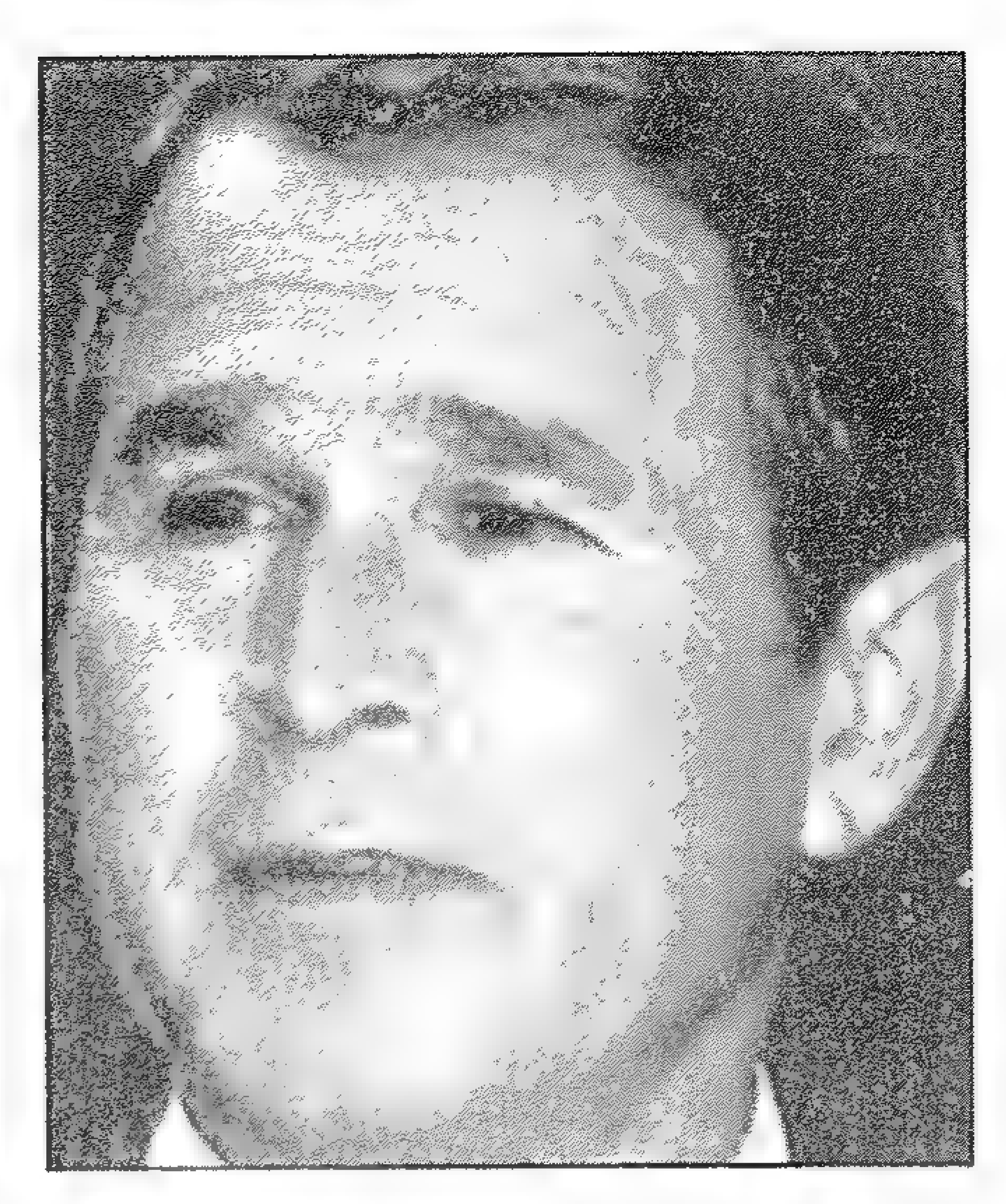




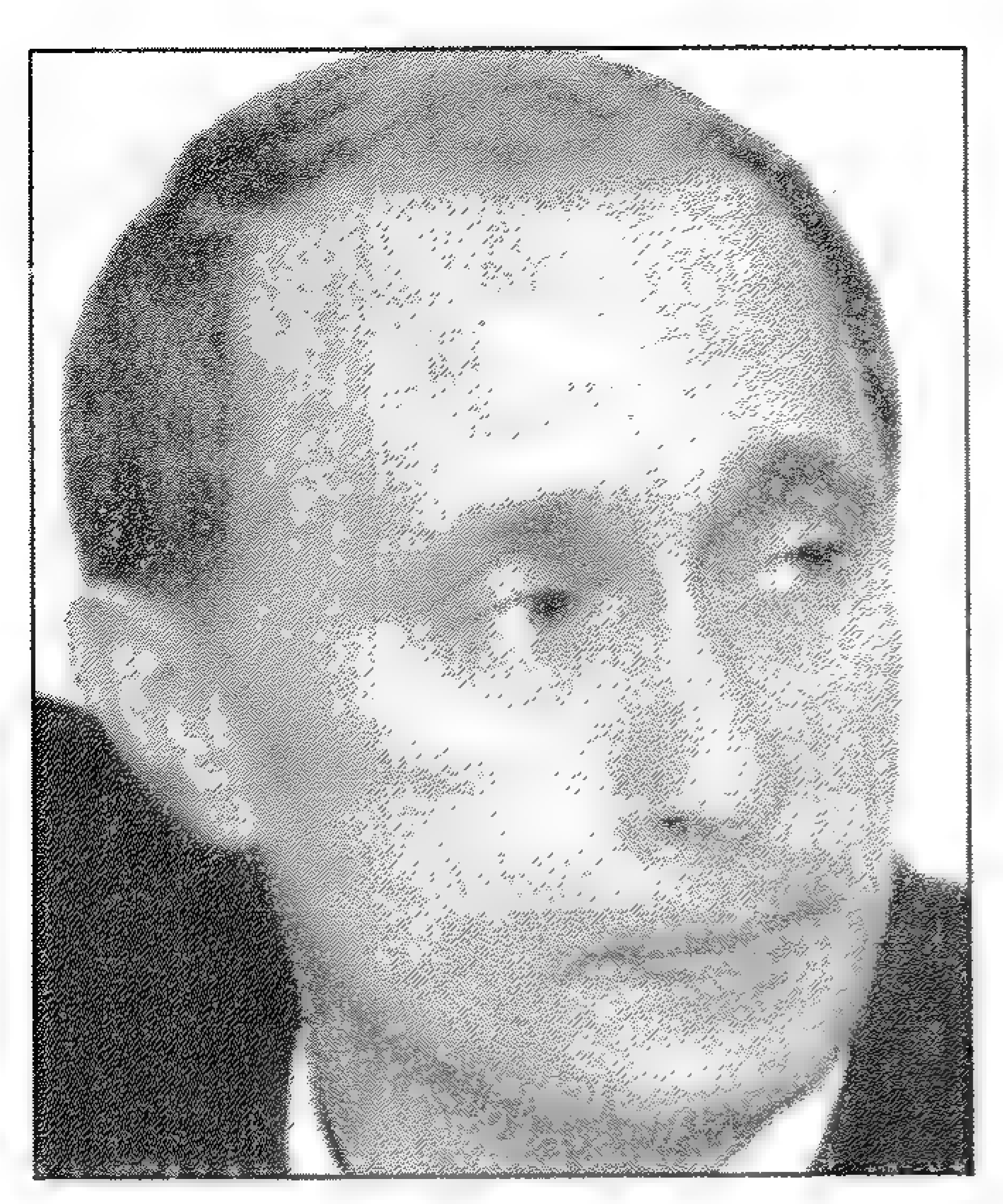
مبارك: خلفية عسكرية وأمنية
هائلة أنقذتنا من نكبات كثيرة

والمخاوف الواقعية وغير الواقعية التى يشعر بها إزاء هذا الكيان العالمى، ولذلك فإنه بمجرد قيام القوات السوفيتية بغزو أفغانستان فى عام ١٩٧٩، كان أن نشط هذا الرجل بشكل مبالغ فيه للرد على هذا الغزو، وفى ذلك أشار على الرئيس الأمريكى جيمى كارتر باستغلال العداء العقائدى بين الإسلام كدين سماوى عميق الجذور وبين الأيديولوجية والنظرية الشيوعية.

من هنا كانت البداية لإنشاء جيش الأفغان العرب، وإرسالهم للقتال مع أشقائهم المسلمين فى أفغانستان، وبدأ الرجل يتحرك لزيارة الدول العربية وفى مقدمتها مصر لضمان تحالف هذه الدول مع الفكرة التى توصل لها عقله، والتى تصور أنها فكرة عبقرية فى إطار ما يسمى



بوش الابن. المواجهة كانت قدرا



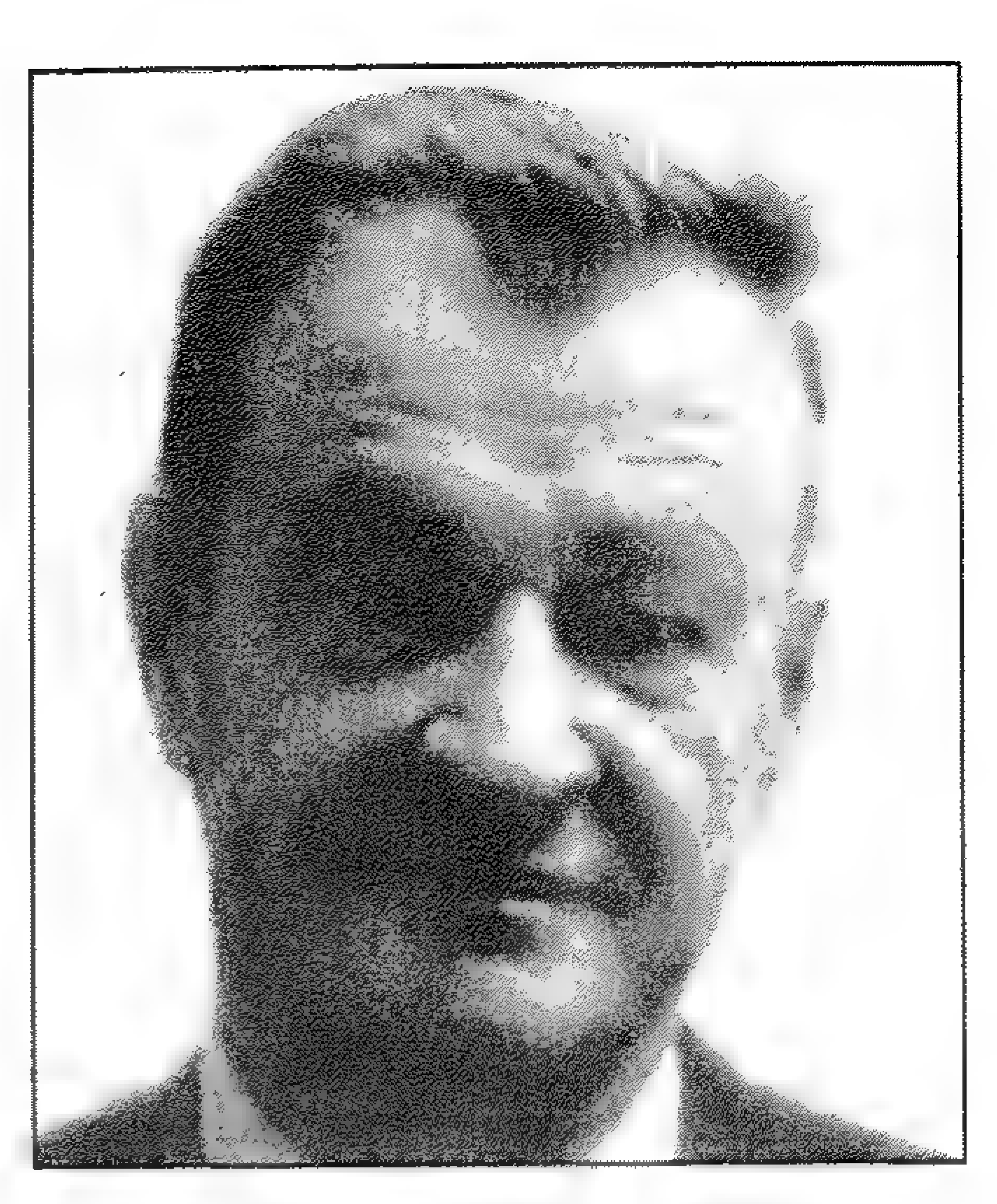


بوتين: كان عظيما عندما أشاد منذ أيام بالإسلام رغم كل ما حدث

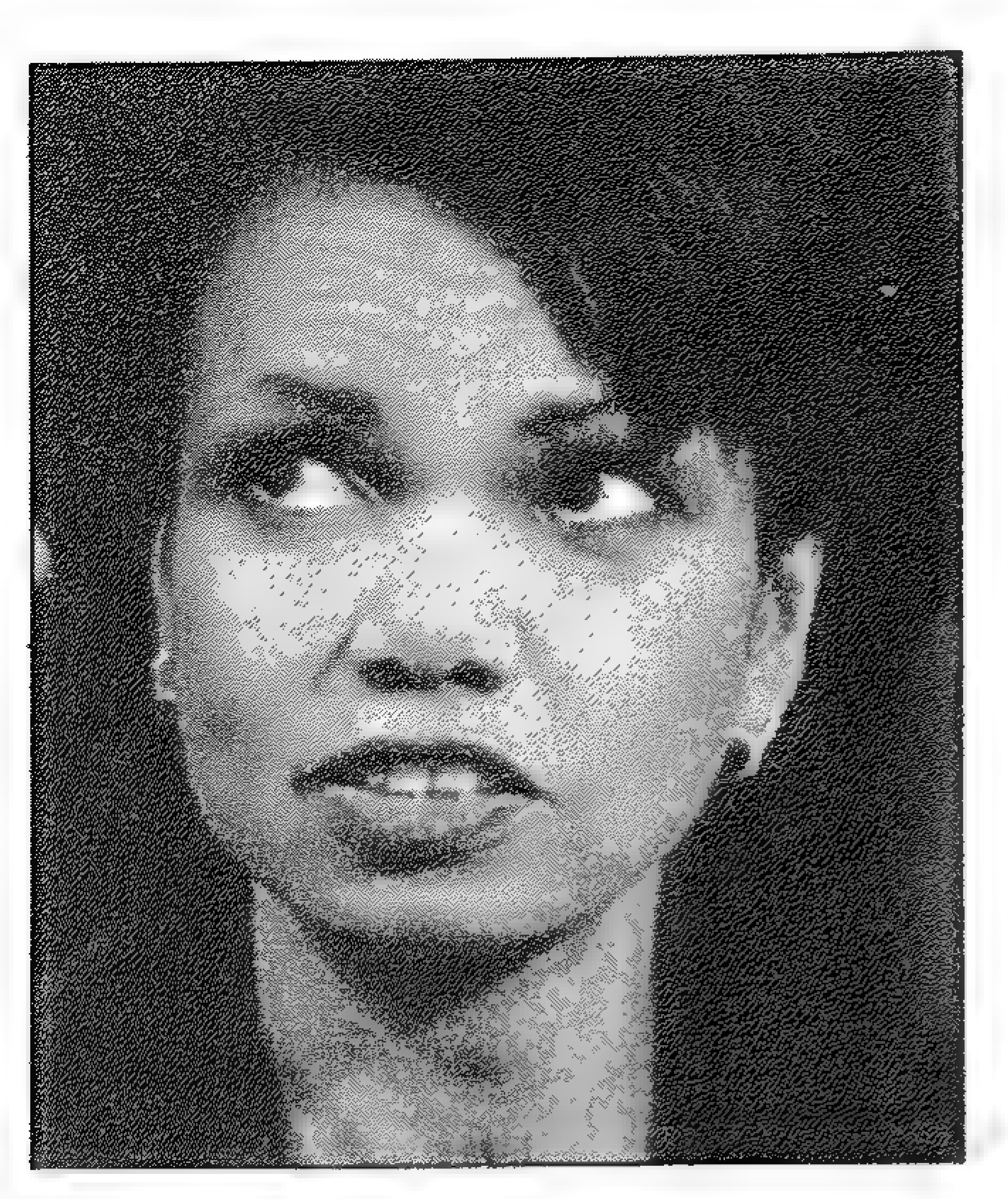
في القاموس العسكري الحديث بـ«الحرب عن طريق الوكالة»، أي أن يقوم طرف ما بمحاربة خصمه وعدوه عن طريق توكيل أطراف أخرى لا ناقة لها ولا جمل في هذا الصراع الأيديولوجي أو في السباق على لقب القوة الأولى في العالم.

والغريب أن هذا المفهوم الجديد للحرب نشأ أساسا من تجربة القوات الأمريكية وأيضا القوات الفرنسية في عمليات القتال التي دارت فوق أراضي فيتنام وجنوب شرق آسيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ونتيجة الخسائر الهائلة في الأرواح التي منيت بها القوات الأمريكية، وكذا الفرنسية في هذه الحروب. فقد اتجه الفكر البراجماتي الغربي إلى أسلوب الحرب بالوكالة لتفادي الخسائر في الأرواح. وهو نفس المفهوم الذي قامت عليه مؤخرا الحملة التي نشاهد فصولها الأخيرة الآن لمكافحة الإرهاب فوق أراضي أفغانستان.

وحتى عندما ظهرت مشكلة وسائل تسليح العرب الأفغان والمقاتلين الأفغانيين أثناء الغزو السوفيتي في نهاية السبعينيات، فقد كان مستشار الرئيس الأمريكي لشئون الأمن القومي يتجنب تماما تزويد



بريجنسكي: قد يكون المسئول الأول عن كل ما حدث





كونداليزا رايس: تفهم أكثر ولا تعانى من كراهيات شخصية

تلك القوات بأسلحة أمريكية حتى لا تتخذ كدليل دامغ على التورط الأمريكي فى مواجهة القوة الثانية فى العالم، لذلك لجأ إلى فكرة أخرى من أفكاره العبقرية بأن قرر شراء الأسلحة السوفيتية الصنع من الدول التى تملكها ومن بينها مصر بالطبع على أساس أنها أكبر دولة إسلامية فى المنطقة ومن منطلق أنها كانت دائما وعلى مر التاريخ درعا للإسلام والمسلمين فى كل مكان، ولكن سرعان ما تدخلت إسرائيل فى هذا الاتجاه واغتنمت الفرصة بأن عرضت بيع الأسلحة السوفيتية الصنع التى غنمتها من الحروب السابقة والمعارك المختلفة والمتكررة مع الدول العربية، التى كانت تعتمد على هذا النوع من السلاح، وعندما بات الأمر متعلقا بضرب طائرات القتال السوفيتية بسلاح مؤثر وسهل الاستعمال فقد خرجت واشنطن عن تحفظاتها السابقة وقامت بإمداد الأفغان بأحدث سلاح مضاد للطائرات وهو الصواريخ «ستنجر» التى يطلقها المقاتل من فوق كتفه، والتى لم تكن الولايات المتحدة قد قدمتها لأية دولة أخرى بما فى ذلك دول حلف الأطلنطى الصديقة. وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أن هذه الصواريخ لم تستخدم في المعارك

الأخيرة والدائرة الآن ضد الطائرات الأمريكية، وذلك لسبب بسيط هو أن تلك الصواريخ تعمل ببطاريات خاصة كمصدر للطاقة وأن هذه البطاريات انتهت فترة تشغيلها فأصبحت تلك الصواريخ قطعة من الخردة الصماء لا تصلح لأية مهام!

والمضحك فى هذا كله هو أن الاتحاد السوفيتى انهار كما رأينا ليس بسبب الحرب فى أفغانستان، ولكنه انهار بالدرجة الأولى والأخيرة بسبب عقم النظرية التى كان يتبناها وبسبب التدهور الهائل فى الأحوال المعيشية والاقتصادية للبلاد، وكان لابد أن ينهار بسبب تلك النظرية غير الإنسانية والتى تقضى أول ما تقضى على الطموح الإنسانى وتطلعات الإنسان التى هى من أقوى دوافع الحياة والاستمرار وتطوير المستقبل، ولذلك لم يكن هناك فضل يذكر لمعارك أفغانستان ولا نظريات بريجنسكى الأمنية، ولا حتى هدم سور برلين، فى القضاء على الاتحاد السوفيتى الذى انهار من الداخل بسبب الفكر الذى اعتنقه والنظرية التى قام بتطبيقها وليس لأى سبب آخر. ومع ذلك فقد كان الرئيس الروسى «فلاديمير بوتين» رائعا عندما خرج منذ أيام يجيب عن أسئلة المشاهدين من خلال تليفزيون موسكو، وعندما وجه أحدهم سؤالا إليه عن الإسلام والإرهاب انبرى الرجل - الذى يعتبر شاهدا على عصره، والذى يعلم الكثير عما دار فى أفغانستان وفى غيرها - فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين والإشادة بهذا الدين السماوى الحنيف!

والمضحك أيضا فى نظرية «بريجنسكى» لمواجهة الخطر الشيوعى هو أن العرب الأفغان عادوا إلى مصر - عن طريق السودان - بالأسلحة التى أعطيناها لهم ليهاجمونا ويهاجموا الإسلام فى بلد الأزهر الشريف، ويكرسوا نضالهم لضرب وتخريب الاقتصاد المصرى وترويع أبناء مصر، وإذا تركنا بريجنسكى لحاله ومعه بالطبع رئيس المخابرات المركزية الأمريكية CIA وليم كيسى الذى كان يتفق مع بريجنسكى فى هذا الرأى وهذا الاتجاه الذى أدى إلى ما أدى إليه من كوارث، إذا كان لنا أن نترك كل المسئولين عن هذه الكارثة الإنسانية فإن عالم اليوم

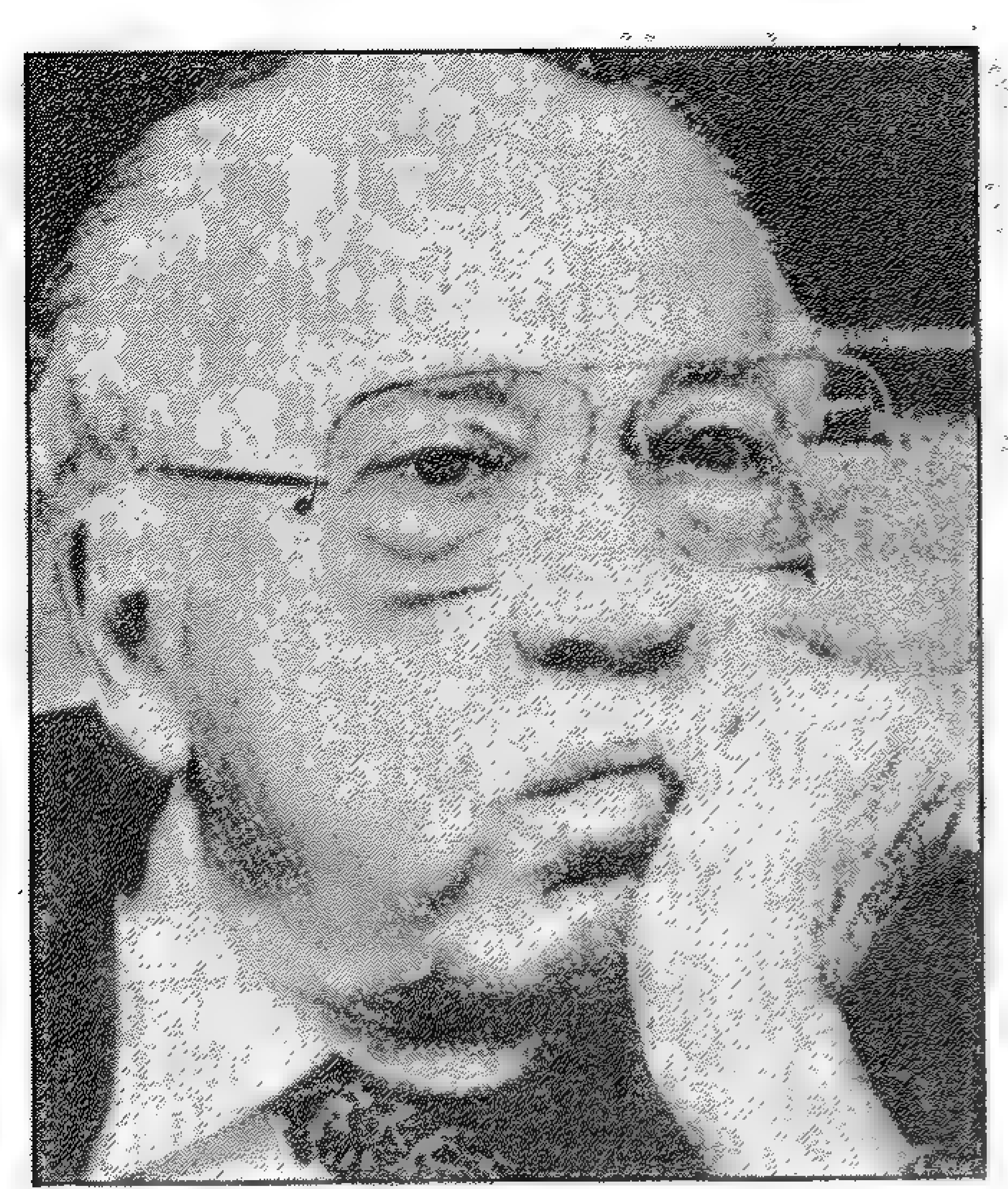
يختلف تماما عن عالم السبعينيات، كما أن واشنطن يحكمها رئيس مختلف هو الرئيس بوش الابن، وهو يختلف تماما عن الرئيسين كارتر وريجان اللذين بدأ الإرهاب فى سنوات حكمهما، ويختلف حتى عن الرئيس كلينتون الذى سكت على الهجمات الإرهابية على السفارات الأمريكية والتى تصاعدت بعد ذلك إلى حد مهاجمة قطع الأسطول الأمريكى فى عدن، بل ومهاجمة مقر المخابرات الأمريكى فى لانجلى «فيرجينيا» ولم يتحرك للهجوم بالصواريخ على معاقل الإرهاب فى أفغانستان والسودان إلا لتغطية فضيحة مونيكا لوينسكى!

كما أن الرئيس بوش الابن تساعده الآن مستشارة مختلفة لشئون الأمن القومى هى «الدكتورة كونداليزا رايس» أستاذة العلوم السياسية والتى كانت تشغل منصب مدير إدارة شئون الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية بوكالة الأمن القومى، وعاصرت عن قرب الحقبة السياسية المهمة فى تاريخ العالم المعاصر، والتى تمثلت فى انهيار الاتحاد السوفيتى وإعادة توحيد الألمانيتين، ومن خلال هذا المنصب ومن بعده منصب المساعد الخاص لمدير هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية استطاعت كونداليزا أن ترى وتعايش ما لم يره بريجنسكى، وما كان يتخوف منه هذا المسئول الأمريكى السابق بشكل يقترب من حدود المرض، وتدرك «كونداليزا» أيضا أن الإرهاب لم يكن أبدا سلاحا فعالا فى توازنات القوى العظمى، وأن الإرهاب لا يعدو فى النهاية عن كونه نشاطا هداما ألحق أضرارا بالغة بالمجتمع الإنسانى، وأكثر من هذا فإن رئيس المخابرات المركزية الحالى «جورج تينيت» يختلف تماما عن «وليم كيسى» الذى كان يتمتع بقدر هائل من التعجرف والعدوانية، ويختلف عنه أيضا فى معرفته بطبيعة المنطقة العربية والشرق الأوسط وحقيقة وأبعاد المشاكل فى هذا الجزء من العالم.

هذا الشكل العام للإدارة الأمريكية الراهنة فيما يتعلق بالأمن القومى، بجانب تكشف أسرار هائلة عن ظاهرة الإرهاب والأفغان

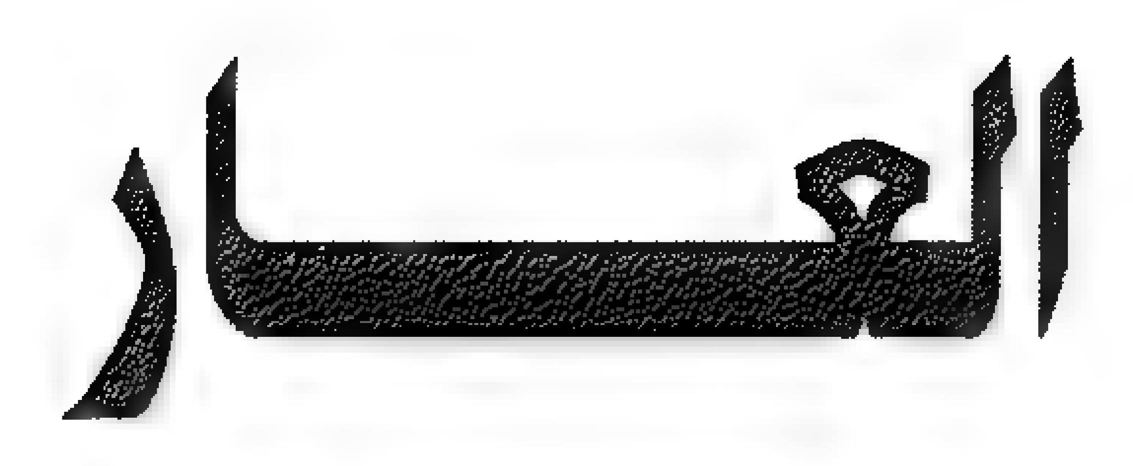


جورج تينيت: يعرف تماما حقيقة مشاكل الشرق الأوسط



وليم كيسي: كان عدوانيا وشديد العجرفة

العرب خلال الآونة الأخيرة وبواسطة وسائل الإعلام الأمريكية نفسها، وبالإضافة إلى أنه لم يعد هناك اتحاد سوفيتي يخيف البعض داخل الولايات المتحدة الأمريكية كما كانت الأحوال فى النصف الثانى من القرن العشرين، كل هذا يساعد على توقع اتجاهات إيجابية فيما بعد انتهاء الحرب مع الإرهاب داخل عقر داره فوق الأراضى الأفغانية، اتجاهات إيجابية بناءة تبتعد عن تصعيد رقعة الحرب والتوتر، وتتجنب تماما أسلوب المؤامرة واستغلال الدول الصغيرة فى معارك الكبار، وذلك لسبب بسيط هو أن أحداث ١١ سبتمبر قضت نهائيا على أية إمكانية أو احتمال ابتعاد أو انعزال الولايات المتحدة عن باقى أجزاء العالم، فهى جزء منه يؤثر ويتأثر بما يجرى فوق أراضيه من إيجابيات وسلبيات، كما أن هذه الأحداث المؤسفة أثبتت أن النيران والحرائق لا تعرف التمييز ولا تقف عند حدود بعينها، وأنها يمكن أن تتطاير حتى تصل إلى قمة برج التجارة العالمى ومقر البنتاجون بنفس السهولة التى بدأت بها فى جبال، ووديان، وكهوف أفغانستان. ■



"لم يكن للإرهاب وجه واحد أو سبب واحد أو مؤيد واحد، ولكن أوجها عديدة وأسبابا كثيرة وأكثر من دولة وهيئة وتنظيم كانت تقف خلفه وتبغى تحقيق أهدافها من ورائه وذلك كله فى إطار مدرسة ميكيافيللى السياسية مع أنهم نسوا، أو تناسوا، جميعا ما قاله ميكيافيللى فى هذا الصدد من أن «المرتزقة أو الإرهابيين يشعرون بتعطش كبير للسلطة وأنهم غير ملتزمين وغير مخلصين بالمرة!»"

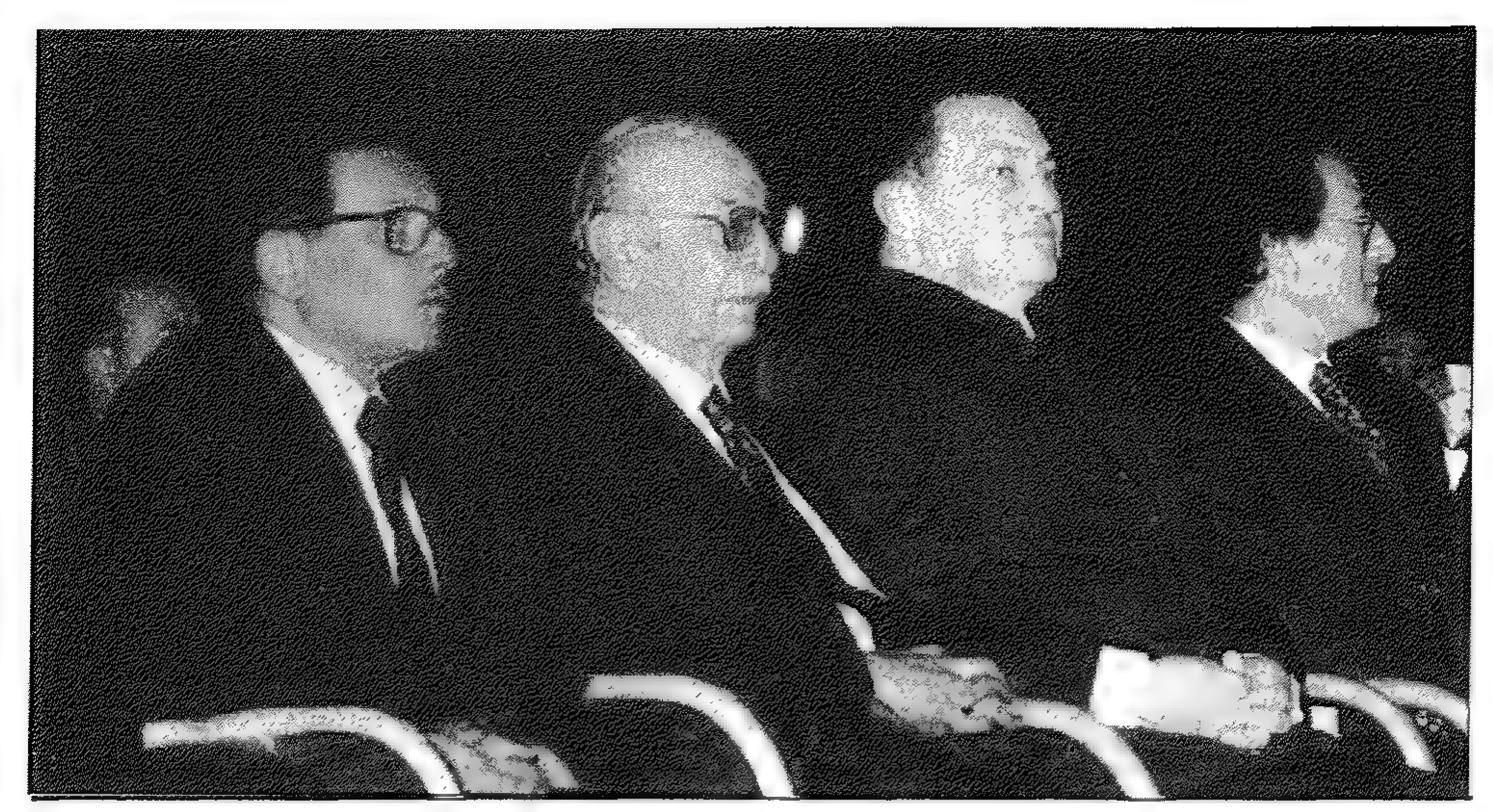
الإرهاب.. عار عالمى متعدد الجنسيات!

فى مساء ١٢ أكتوبر عام ١٩٩٧ أقام المصريون حفلا أوبراليا رائعا بمدينة الأقصر وفى أحضان معبد حتشبسوت، أو الدير البحرى فى تسمية أخرى، وخلال الحفل تم تقديم أوبرا عايدة التى كتبها ولحنها الموسيقار العالمى الشهير «فيردى» خصيصا من أجل احتفالات افتتاح قناة السويس فى عهد الخديو إسماعيل، وبناء على تكليف خاص من خديو مصر الذى كان يلهث للحاق بالموكب الحضارى الغربى، وفى هذه الليلة جاء الضيوف من مختلف أنحاء العالم، ومن مشاهير الدول، وكان من بينهم الممثل العالمى «شين كونرى» الذى اشتهر بأدوار العميل «٧..» جيمس بوند، وبعد انتهاء هذا الحفل التاريخى فى أحضان أقدم حضارة عرفها الإنسان أجاب جيمس بوند عن سؤال لصحفى ألمانى عن الحفل قائلا : «إنه شىء خيالى هذا الذى شاهدته مساء اليوم، وإنه لموقع فى منتهى الأمان».

وبعد ذلك بشهر كامل وخمسة أيام ـ وعلى وجه التحديد فى ١٧ نوفمبر عام ١٩٩٧ ـ انقضت مجموعة من خمسة شبان من العرب الأفغان بقيادة الإرهابى مدحت محمد عبدالرحمن على نفس المكان الذى شهد هذا الحفل التاريخى.. انقضوا يطلقون النيران على الزوار

من السائحين الأجانب، ثم انقضوا عليهم بعد ذلك بالمدى والسكاكين يقطعون فى أوصالهم ويبقرون بطونهم فى مذبحة وحشية جماعية راح ضحيتها ٥٨ سائحا، لم يفرق القتلة بين جنسياتهم أو انتماءاتهم، ولم تأخذهم شفقة بسيدة عجوز.. أو شابة أو حتى طفل أو طفلة، فقد كانت المهمة لا تقتصر على القتل أو التهويش، ولكنها تركز بشكل جنونى على القسوة والبشاعة، وإلقاء الذعر فى نفوس الجميع، فيما أعاد فورا إلى الأذهان تكتيكات القتال الوحشى التى اتبعها الأفغان فى القتال ضد القوات السوفيتية من عام ١٩٧٩ حتى عام ١٩٨٩، والتى لم يسمع العالم عنها شيئا لمدة ثمانى سنوات كاملة، ثم كان أن أطلت بوجهها البشع لأول مرة فى مدينة الأقصر شديدة الهدوء والسكينة، وداخل أرجاء أعظم وأروع معبد فى تاريخ الحضارة المصرية.. إن لم يكن فى تاريخ العالم كله!

فى ذلك قال البعض أن الحادث الوحشى جاء ردا على تصريح جيمس بوند الذى أشاد فيه بالجو الحضارى فى مصر وبدرجة الأمن والأمان التى تتمتع بها مصر ،فيما كان تحديا صارخا ومسموعا لكل ما أراد الإرهابيون أن يروجوه طوال سنوات عديدة كانوا خلالها يركزون هجماتهم على مصر، وعلى رموز مصر ومنشآت مصر، وبشكل خاص على مجال السياحة على أساس أنها شريان رئيسى لقلب الاقتصاد المصرى. وفى الوقت الذى لجأ فيه هؤلاء إلى تفسير عملى ومتاح لهذه المذبحة الوحشية، كان هناك فريق آخر ذهب إلى الحد الذى صور فيه الحادث على أنه ضربة للتاريخ الحضارى المصرى، خاصة إذا ما عرفنا أن حتشبسوت «البذرة المميزة لخالق الكون» كانت من أعظم ملوك مصر، وكان معبدها ذلك الذى شيدته فى مدينة الأقصر هو بداية لعصر جديد من العمارة المصرية الفريدة وحشد كفاءة الأيدى العاملة المصرية إلى الحد الذى وصل إلى أن نحت مسلات وأعمدة هذا المعبد الضخم، ونقلها من أسوان إلى الأقصر، كان يستغرق ٧ أشهر فقط، بينما حصلت الولايات المتحدة على

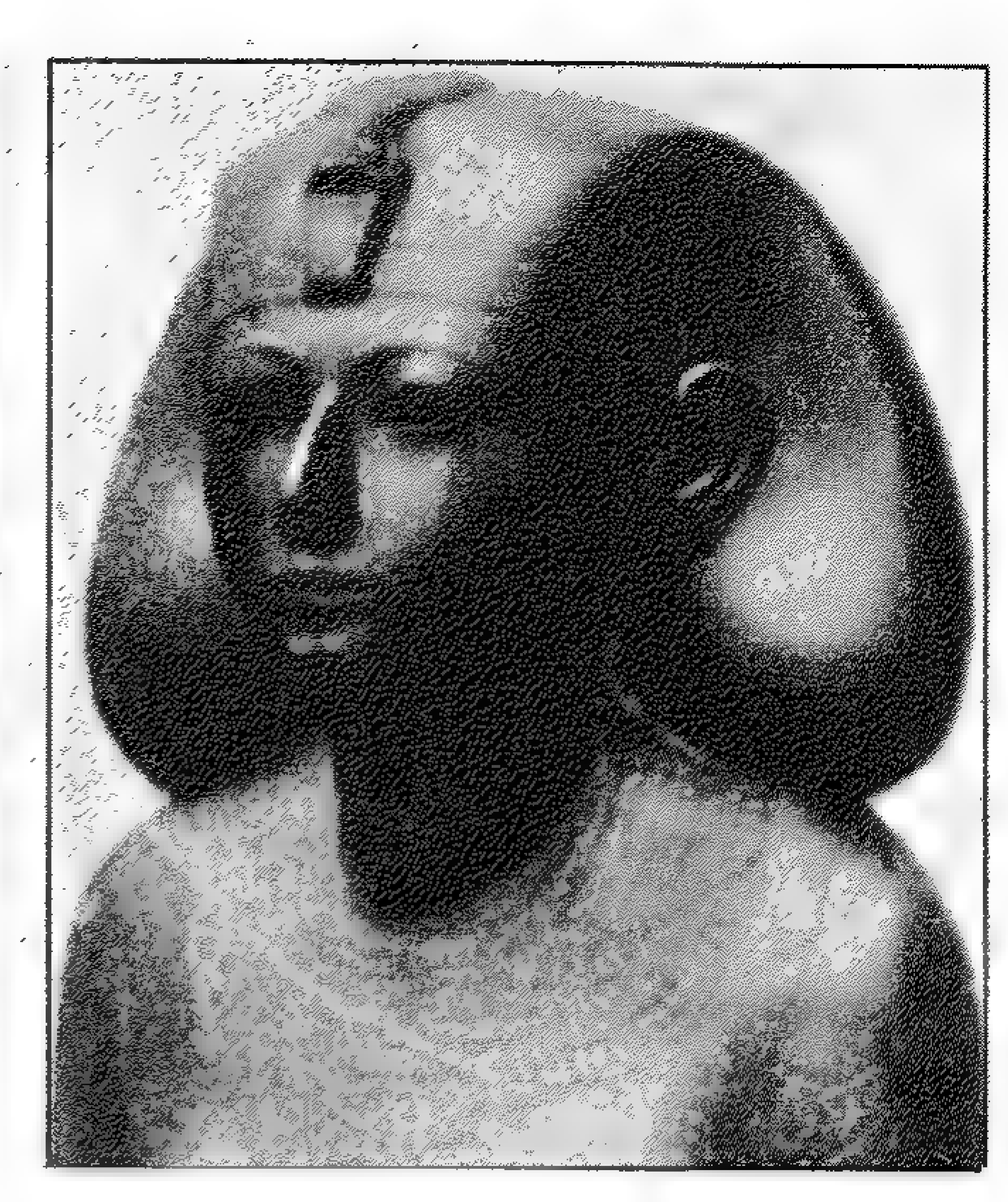


الرئيس فى معبد الكرنك ديسمبر ١٩٩٧ وثلاث رسائل مهمة للعالم كله

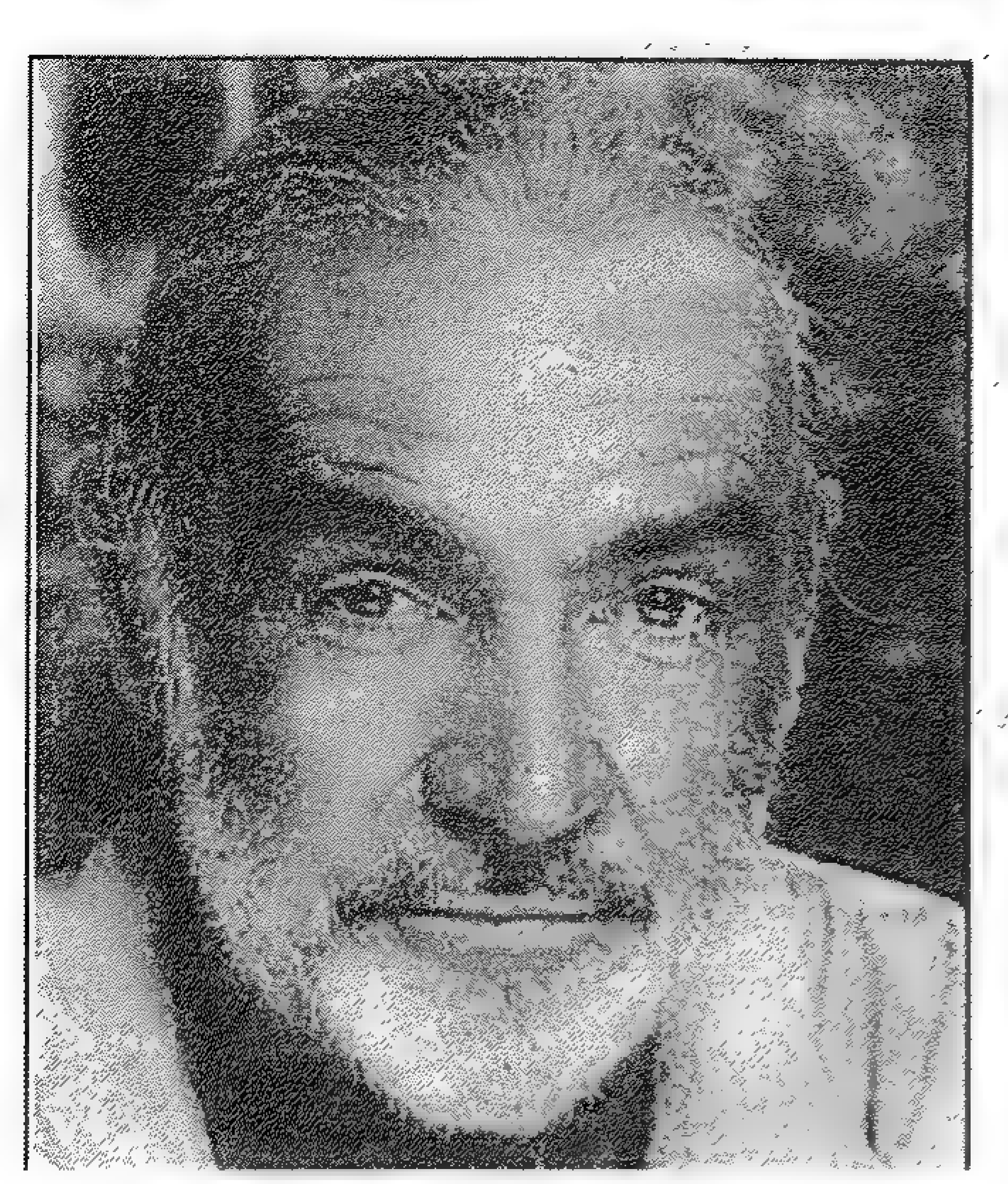
إحدى هذه المسلات فى عام ١٨٨٠ ونقلتها إلى واشنطن فى رحلة استغرقت سنوات رغم استخدام الرافعات والمحركات والسكك الحديدية الخاصة التى أقاموها من نيويورك إلى واشنطن خصيصا لهذا الغرض!

وذهب فريق ثالث إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير عندما ألصقوا التهمة بالإسلام والمسلمين، مع أن الإسلام كان منذ البداية دينا سماويا يتسم بالسماحة والتحضر وبالفهم العميق لدوافع النفس البشرية ونوازعها المختلفة.. راح كل فريق يفسر الأحداث حسب أهوائه وحسب أهدافه ومعتقداته دون أن يعترف أحد بأن الإرهاب كان صناعة خارجية عالمية ساهمت فيه دول عديدة، كما أشرنا فى سلسلة المقالات السابقة، ودون أن يلتفت أحد إلى معاناة مصر ـ مسلميها قبل أقباطها ـ من هذا الوباء الجديد الذى تسللت جرثومته خارج معمل الأبحاث فى أفغانستان، حيث كانت تتم التجربة الشريرة!

كانت مذبحة الدير البحرى بمثابة إعلان صريح عن أن وباء الإرهاب



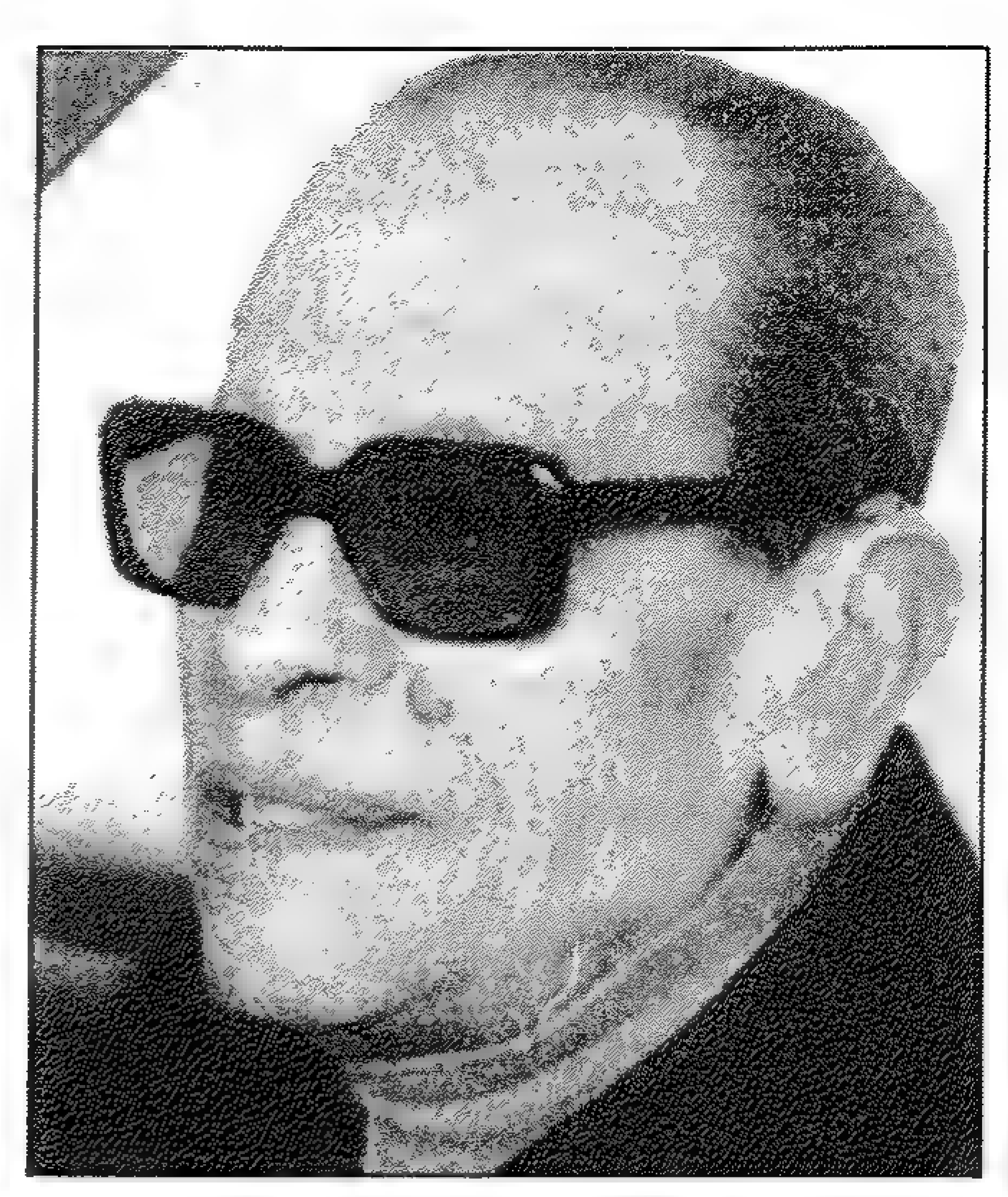
حتشبسوت.. وعصر معمارى فريد



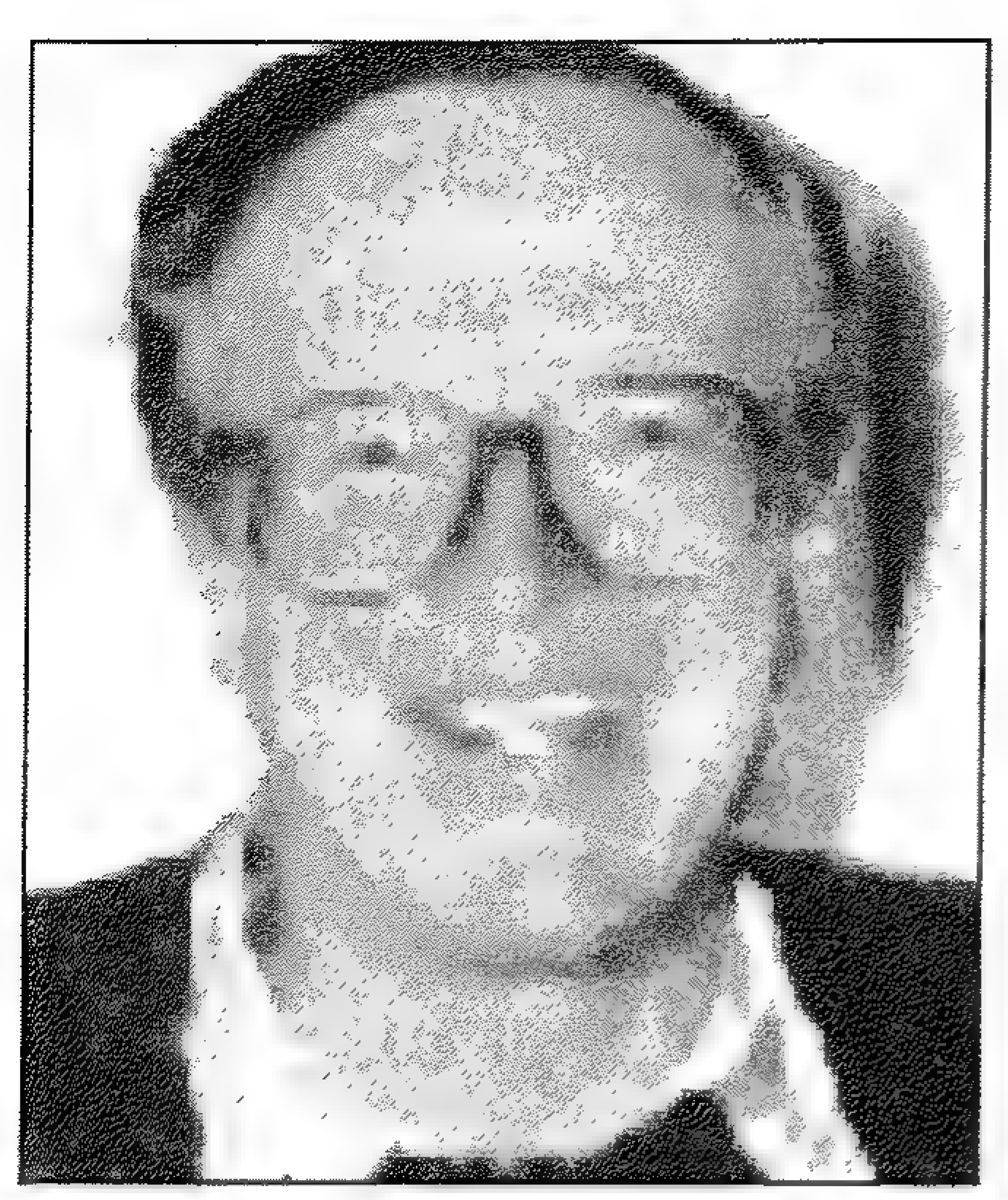


شين كونرى.. شهد بالأمن المصرى فجاءت المذبحة!

العالمى، الذى نشأ وترعرع فى أفغانستان، قد استهدف مصر بشكل خاص، وكانت مذبحة الدير البحرى فى الوقت ذاته بمثابة إعلان بحرمان مصر مما يقدر بثلاثة مليارات دولار سنويا «حوالى ١٢ مليار جنيه» يعتمد عليها الاقتصاد المصرى الذى كان يتطلع إلى الانطلاق إلى مكانة تليق بدولة عريقة، وتليق بشعب طال صبره ومعاناته التى تبلورت خلال الخمسين عاما الماضية فى دائرة صراعات الدول الكبرى.. ففى عام ١٩٦٧ منينا بأكبر هزيمة عسكرية فى تاريخنا الطويل لأننا كنا ندور فى فلك الاتحاد السوفيتى ونعادى أمريكا والعالم الغربى، وفى الثمانينيات والتسعينيات ابتلينا بوباء الإرهاب، لأننا تخلينا عن الاتحاد السوفيتى واتجهنا إلى المعسكر الغربى فكان أن ارتد إلينا الإرهاب الذى صنعوه فى أفغانستان لمحاربة السوفييت! أى عالم هذا الذى نعيش فيه؟ وأى خبل هذا الذى يصيبنا سواء اتجهنا شرقا أو غربا!! أو حتى لو التزمنا بالحياد كما سبق أن حدث خلال حقبة ما كان يسمى بسياسة عدم الانحياز وكتلة الدول التى رفعت هذا الشعار وكانت مصر من روادها! .. إننا نعرف



نجيب محفوظ.. ورسالة حضارية للعالم كله





روبرت فيسك.. سجل موقف مصر منذ سنوات

أهمية موقع مصر ونعرف أن دورها مهم ومحورى، كما يقولون، ولكن المفروض أن يكون سببا للخير والمنفعة، وليس فقط المصائب والمؤامرات.. وفى هذا المضمون ينبغى علينا أن نرحب بقرار الرئيس الأمريكى بوش بالتعجيل بتقديم ٩٥٩ مليون دولار كمساعدة اقتصادية لمصر لمواجهة الصعاب الاقتصادية الراهنة بعد أحداث ١١ سبتمبر، فهكذا ينغبى أن تكون علاقات الدول الكبرى مع الدول المهمة التى تؤثر على ترسيخ الاستقرار العالمى.

كان الصحفى البريطانى الشهير روبرت فيسك من صحيفة «الإندبندنت» البريطانية من أوائل الصحفيين الأجانب الذين طاروا إلى مدينة الأقصر بعد هذا الحادث البشع، وكان أن أشار فى مقالاته إلى التكتيكات الوحشية الأفغانية التى اتبعها مرتكبو مذبحة الأقصر، كذلك أشار الصحفى المرموق إلى طلب مصر المتكرر لكل من الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وسويسرا وعدد من الدول الغربية الأخرى أن تقوم بتسليم السلطات المصرية الإرهابيين الذين يعيشون فوق أراضى هذه الدول، والذين حصلوا على جنسيات الدول

التى يعيشون فيها فى الوقت الذى يخططون فيه ويدبرون لضرب مصر والنيل من أمنها واستقرارها، ولم يفت مصر أن تحذر جميع دول العالم فى ذلك الوقت من أن جميع هذه الدول ستعانى مستقبلا من نفس الإرهابيين الذين تؤويهم داخل أراضيها.. لم يفت مصر ذلك - كما سجله الصحفى البريطانى روبرت فيسك - وكان ذلك هو ما حدث تماما فى الولايات المتحدة الأمريكية فى يوم ١١ سبتمبر، ولم تشرع تلك الدول الغربية فى تسليم الإرهابيين المقيمين بها إلا منذ أيام معدودة!!

ونأتى بعد ذلك إلى تاريخ مهم آخر فى نفس هذا العام: ١٩٩٧ ففى أوائل ديسمبر وبعد هذه المذبحة البربرية بحوالى أسبوعين تعمدت مصر مبارك إقامة حفل كبير فى نفس المكان، وهو الحفل الذى وجه فيه أديبنا العالمى نجيب محفوظ كلمة حضارية إلى العالم كله، ووقتها خرجت بعض الأصوات فى العالم الغربى تنتقد إقامة هذا الاحتفال فى الوقت الذى لم تكن فيه دماء الضحايا الأبرياء قد جفت بعد! وكان هذا بعينه هو الفارق بين الخبرة والتجربة وبين أولئك الذين يجلسون بعيدا عن ألسنة النيران، وبمعنى آخر بين مصر التى تكتوى وحدها بنيران الإرهاب وبين دول العالم الخارجى التى ظنت أنها بمنأى عنه وتتحدث من منطلق العلياء. إن إقامة هذا الحفل الذى كان على رأس الحاضرين فيه الرئيس حسنى مبارك كان يهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- أولا: أن مصر ستستمر فيما هى مستمرة فيه وأنها لن تتقوقع ولن تتردد ولن تذعن لأهداف الإرهابيين وأنها مستمرة فى المواجهة الدامية مهما كلفها ذلك من تضحيات، وكانت هذه الرسالة موجهة أساسا إلى الرؤوس المدبرة للإرهاب فى كابول وفى العواصم الأوروبية المختلفة.

- ثانيا: أن مصر تتمسك وتعتز بوجهها الحضارى وأن تاريخها

القديم هو الجذور الحقيقية لشخصيتها الممتلئة والفريدة، وأنها لن تضحى يوما بهذا الجانب الأساسى من شخصيتها القومية.

- ثالثا: كان الهدف تعزيز الروح المعنوية للمجتمع المصرى الذى يعشق الاستقرار والأمان منذ فجر التاريخ، والذى شعر بالصدمة من هذه الأحداث الدموية التى لم يعتدها، ولو كان الشعب المصرى قد لمح لوهلة واحدة تردد قيادته أو إذعانها لمشاعر الخوف والإرهاب لكان قد انفرط العقد كله تماما كما خططت واستهدفت قيادات الإرهاب.

وبعد هذه السلسلة الطويلة من المقالات التى نشرت فى نفس هذا المكان فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر، وبعد هذا السرد التاريخى الطويل للأحداث والخبايا التى تكشفت وتدفقت بعد تدمير المركز التجارى العالمى وجزء من البنتاجون.. بعد كل هذا يمكن لأى إنسان أن يكتشف الخطأ القاتل المتمثل فى ربط الإرهاب بالإسلام، فهناك مليارات من المسلمين لا علاقة لهم من قريب أو من بعيد بأى نشاط إرهابى وتنحصر كل اهتماماتهم فى حياة إنسانية كريمة بعيدة عن الخطايا والشر والذنوب، وأن صناعة الإرهاب كانت سياسية بالدرجة الأولى، وكانت ورقة رابحة فى الحرب الباردة، وفى الصراع بين القطبين العالميين وأنهم فى ذلك استغلوا القوة الروحية الهائلة للمشاعر الإسلامية وطوعوها فى اتجاه مختلف تماما ويتناقض مع الروح الحقيقية للإسلام.

وقد ترتب على هذا الخطأ القاتل خطأ آخر أكثر تهديدا ويتمثل فى خروج ما يسمى بنظرية صراع الحضارات التى تبشر بخروج الإسلام كقوة معادية للغرب وبديل للخطر الشيوعى الذى انهار واندثر بانهيار الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٨٩، وأبسط ما يقال عن خطأ هذه النظرية هو القاعدة التى تقول أن ما بنى على باطل فهو باطل بدوره!

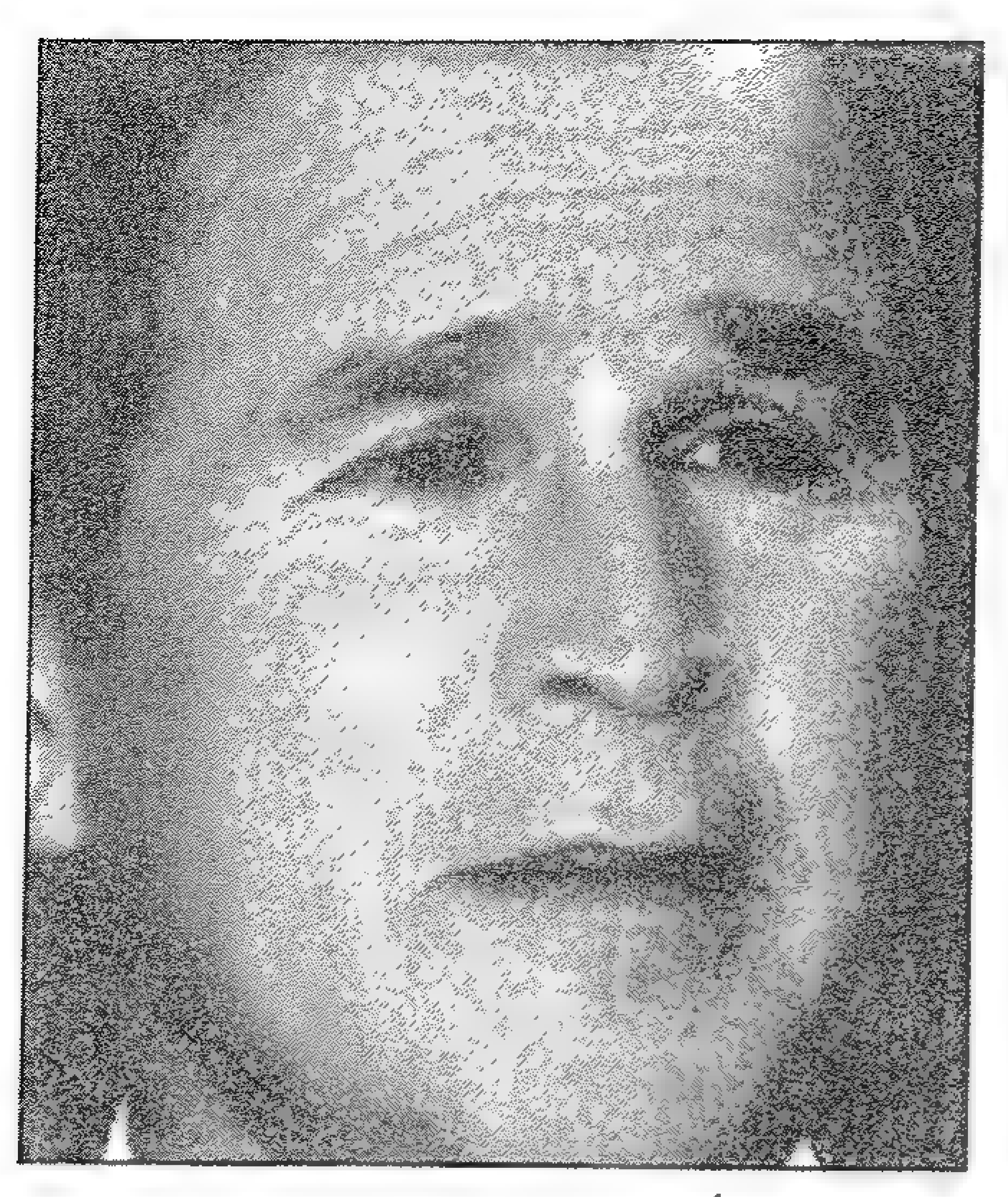
كذلك كان من الأخطاء الأخرى القاتلة القول بأن الفقر وسوء الأحوال المعيشية هما السبب وراء الإرهاب، وذلك لسبب بسيط هو أن هناك دولا ثرية وراء الإرهاب وكثير من الأثرياء، بل إن أسامة بن لادن هو أحد ملياردديرات العالم كله، كذلك هناك بلايين من الفقراء فى كل أنحاء العالم قد يخرج من بينهم لصوص أومنحرفون تماما كما يخرج من بين طبقات أخرى، ولكنهم ليسوا إرهابيين لأن الإرهاب شىء آخر يختلف تماما، وكانت دوافعه، كما رأينا، سياسية بالدرجة الأولى عبثت بها تنظيمات وهيئات ودول مختلفة، وعلى كل أن يعترف بخطئه، ويعلن عنه حتى يمكننا جميعا أن نفهم حقيقة ما جرى، وأن نشرع فى القضاء تماما على هذه الظاهرة التى تهدد الجميع، أما الحديث عن الانتقام والتحريض على ضرب دول أخرى أو منظمات بعينها لا علاقة لها بالإرهاب، فإن هذا الاتجاه يندرج بدوره تحت بند الإرهاب، ولعل هذا السبب بعينه هو الذى جعل الرئيس مبارك يقرر عدم الانتقام، رغم تعرضه شخصيا لحادث أديس أبابا فى عام ١٩٩٥، ورغم أنه كان قادرا على توجيه ضربة انتقامية حاسمة ستلقى مباركة وترحيب الجميع، ولكنه قرر ألا يلجأ لذلك لأنه يدرك تماما أن الثمن الباهظ سيدفعه الأبرياء، وأن هذا بالتالى هو نمط آخر من الإرهاب، وأن الإرهاب الحقيقى سيحتفل عندما تندلع النيران!

قد يكون هذا هو درس الخبرة الأخير الذى تقدمه مصر بعد تجربة طويلة فى هذا المجال، وبعد أن أخذ العالم بكل خبرات مصر فى مكافحة هذه الظاهرة البغيضة، وقد يكون هذا الدرس بالذات مفيدا للهند وباكستان اللذين تصاعد الموقف بينهما إلى حد احتمال استخدام الأسلحة النووية بسبب الهجوم الإرهابى على البرلمان الهندى، ولو حدث ذلك فإن أفراح الإرهابيين والفوضويين لن تتوقف وستصل إلى عنان السماء.

وإذا كان الدرس المصرى لا يكفى الأصوات التى تطالب واشنطن بتوسيع دائرة الانتقام لتشمل دولا أخرى بالمنطقة فإن هناك موقفا



تشرشل ومرقف مماثل عندما هاجمه الألمان بالصواريخ «فى ـ ٢»





بوش . وأصوات ضاغطة لتوسيع دائرة الانتقام

آخر مماثلا فى تاريخ الغرب واجهه رئيس الوزراء البريطانى الشهير ونستون تشرشل عندما لجأت ألمانيا النازية لاستخدام صواريخ «فى ـ ٢» لأول مرة فى التاريخ، وكانت هذه الصواريخ تنقض بسرعة أعلى من سرعة الصوت لتدمير مئات من المنازل والبيوت فى قلب العاصمة لندن مما أحدث ذعرا فى نفوس البريطانيين أضخم بكثير مما أحدثه تدمير مركز التجارة العالمي فى نيويورك، ووقتها فكر تشرشل فى استخدام الإنثراكس أو الجمرة الخبيثة ـ نفس السلاح البيولوجى الذى يتحدثون عنه الآن فى الولايات المتحدة ـ وذلك للرد على الصواريخ الألمانية والانتقام من الشعب الألمانى، على أن السياسى البريطانى الداهية تراجع عن ذلك فى آخر لحظة، ولو كان استسلم لمشاعر الانتقام لما كان التاريخ كله كما هو عليه الآن، ولكان قد ألحق بنفسه وبوطنه عارا لا يمكن لأى مجد أو إنجازات أن تعمل على محوه من ذاكرة التاريخ، ومن ذاكرة شعـوب الأرض بأجمعها. ◼

خاتمـــة

حتى الانتهاء من إعداد هذا الكتاب ومثوله للطبع، كان الغموض يحيط بمصير بن لادن، ولا أحد يستطيع أن يجزم إذا ما كان قد لقى حتفه، أو أنه استطاع الفرار إلى إحدى الدول المجاورة، أو أنه لا يزال مختبئا داخل الأراضى الأفغانية، أما الملا عمر فقد قيل أنه استغل المباحثات بين طالبان وقوات تحالف الشمال التى كانت تدور حول تسليم نفسه هو وأتباعه، ثم استقل دراجة بخارية مواصلا رحلة الهروب، ولكنه لم ينس هذه المرة أن يأخذ معه عدة ملايين من الدولارات قيل أنها أصبحت تشكل حملا ثقيلا على رجل يطارده الجميع ويحاول جاهدا الفرار والنجاة بحياته.. وبدولاراته!

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا، والذى لابد وأن يطرأ على عقل أى إنسان يستخدم عقله، هو كيف يحاول زعماء تنظيم القاعدة مستميتين أن ينجو بحياتهم وأن يفروا من المعركة التى طالما قالوا أنهم سيخوضونها حتى الموت، وذلك فى الوقت الذى استطاعوا فيه أن يقنعوا مجموعة هائلة من الشبان أن يلقوا حتفهم عنفا - كما

شرحنا فى صفحات هذا الكتاب ـ بعد أن اقتنعوا وأيقنوا أن هذا هو السبيل الوحيد للجهاد؟! كيف حدث ذلك.. هل هى الدولارات واستغلال حاجاتهم إلى المال؟ أى أنها عملية «غسيل مخ» شيطانية اتقنها الملا لى وزعماء تنظيم القاعدة، ولكنهم كانوا آخر من يؤمنون بها؟ هذا هو السؤال الحائر الذى إذا توصلنا إلى الإجابة الصحيحة عنه نكون فى الوقت ذاته قد توصلنا إلى «الميكانيكية الشيطانية» لقوام فكرة الإرهاب وخروجها فى صورة ظاهرة عالمية، ويظل هناك بعد ذلك شىء واحد مؤكدا هذا أن العالم أصبح مختلفا بعد أحداث ١١ سبتمر، وأن علاقات كثيرة جرى تصحيحها، وأن مفاهيم عديدة جرى تعديلها، وأن رموزا حكومات وهيئات كثيرة جرى فضح أدوارها، وأن الإسلام خرج بريئا وناصعا ـ كما كان وسيظل دائما ـ من هذه السبة التى أراد البعض أن يلحقها به، والتى تآمر البعض الآخر ليصعد من أحداث سبتمبر ٢٠٠١ إلى حد الصدام بين المسلمين وبين سائر الحضارات الأخرى!

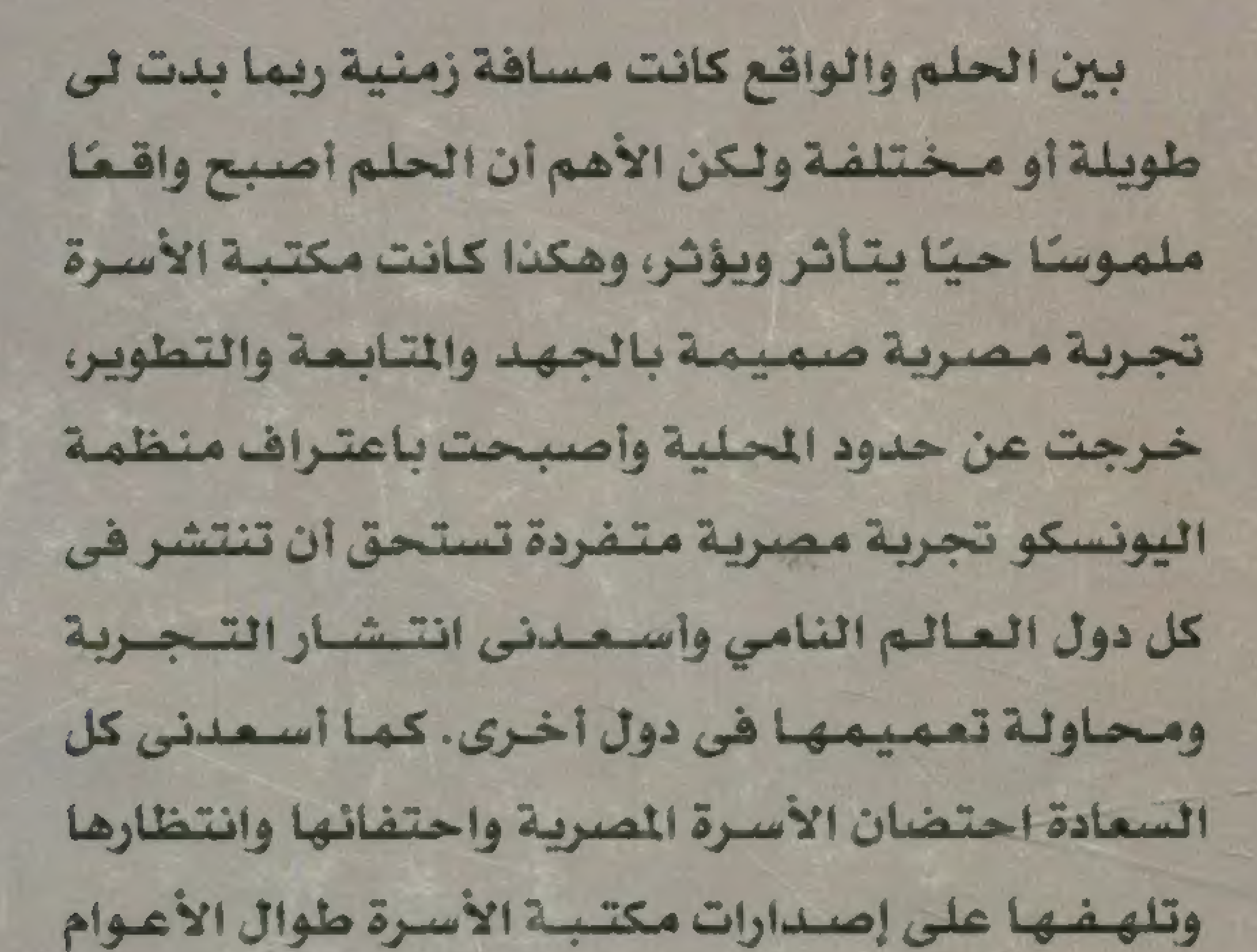
والآن أتصور أن العالم كله بعد إقباله الكبير على تفهم حقيقة الإسلام والمسلمين.. أتصور إلى درجة اليقين أنه فى انتظار أن يتحرك العالم الإسلامى ليقدم نفسه إلى الأطراف الأخرى بالصورة الحقيقية والصحيحة للدين السماوى العظيم الذى استطاع أن يفجر طاقات الإنسان فى كل مكان، والذى استطاع أن يخلق حضارة عريقة وثرية تفاعلت إيجابيا مع كل الشعوب والحضارات، وامتزجت بسخاء فى تكوينها فأصبحت جزءا أساسيا من الحضارات الإنسانية الراهنة.. وما سوف يكون منها على مدى الوجود الإنسانى الذى هو جوهر الحياة برمتها.■

محمد عبدالمنعم

الحادث الصاعقة ١١ سبتمبر قبل وبعد

رقم الإيداع	٢٠٠٢ /٣٣٤٠
الرقم الدولى	977-201-058-5





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة 2001
مهرجان القراءة للجميع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب